



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه و آله

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

دكتور يوسف جعفر سعادة

الجهاد
بين
النظرية والتطبيق
من خلال ثورة
الحسين بن علي (ع)



مجلس
التشاور
والتشريع
الاسلامي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجهاد بين النظرية والتطبيق من خلال ثورة الحسين بن علي عليه السلام

كاتب:

د. يوسف جعفر سعادة

نشرت في الطباعة:

ذات السلوسل

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
10	الجهاد بين النظرية والتطبيق من خلال ثورة الحسين بن علي عليه السلام
10	اشارة
10	اشارة
13	تقديم الأستاذ الدكتور شاكر مصطفى
19	مقدمة المؤلف
25	محتويات الكتاب
35	الدوافع الأساسية والعوامل الفعلية الثورة «الحسين بن علي»
35	تمهيد :
49	الفصل الأول: تربية الحسين ع تربية اسلامية مثالية
49	اشارة
51	أولا : موقف القرآن الكريم
51	موقف المسلم المؤمن من العقيدة الإسلامية :
65	تربية الحسين القرآنية :
71	خلاصه
79	الفصل الثاني:ثانيا - فكرة الثورة في الإسلام ومدى شرعيتها :
79	اشارة
81	ثانيا : فكرة الثورة في الإسلام ومدى شرعيتها
81	الحكومة الإسلامية :
90	هل يجب عزل الخليفة أو الإمام؟متي، وكيف؟
95	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :
95	موقف السنة النبوية من الحكم الإسلامي .
106	خلاصة

113 اشارة

115 ثالثا: ماأخذة الحسين عليه السلام من تعاليم ومفاهيم وأمر دينوية وأخروية من ابيه الإمام علي عليه السلام ..

115 اشارة

118 1- آراء الإمام علي (عليه السلام) في الحكومة الإسلامية :

120 2- صفات الإمام في الإسلام؟ وكيف يحكم؟ وما واجباته تجاه الأمة؟

123 3- من هو الإمام الجائر؟ وما هو مصيره؟

125 4 - موقف المسلم تجاه الإمام الجائر :

133 الفصل الرابع:فكرة تحويل الخلافة

133 اشارة

135 فكرة البيعة ليزيد

139 «صدي فكرة البيعة ليزيد»

147 يزيد بن معاوية

149 رجاله وأنصاره

149 اشارة

151 1- عبيد الله بن زياد :

158 2- عمر بن سعد :

162 3 - شمر بن ذي الجوشن :

164 4 - مسلم بن عقبة المري:

167 الفصل الخامس:خروج الحسين عليه السلام ونهضته وخطوات سيره الي كربلاء

167 اشارة

171 أولا - موقفه من البيعة ليزيد :

175 ثانيا - موقف الحسين (عليه السلام) من المعارضين لموقفه، من البيعة، ومن الخروج علي الحاكم الجائر:

183 ثالثا - المراسلات التي جرت بينه وبين الأطراف المعارضة لحكم يزيد :

185 رابعا : سفراء الإمام إلي الشعوب وزعمائها المعارضين للنظام :

- 186 خامسا : اختيار الكوفة مسرحا لأعماله وذيوع أفكاره وبمبادته : لماذا الكوفة كمركز انطلاق الثورة؟
- 198 سادسا - الطريق، كأداة من أدوات الدعوة إلي نهضته والانضمام معه في مهمته :
- 202 سابعا - الخطب التي ألقاها في جميع الناس من مؤيدين ومعارضين له في مواقف متفرقة ومناسبات متعددة، يوضح فيها أهدافه وسياسة الأمويين :
- 205 ثامنا - موقف رجاله وأنصاره منه :
- 216 تاسعا - استخدام القوة والتلاحم العسكري :
- 231 الفصل السادس:نتائج وآثار الثورة
- 231 مرحلة ما بعد الحسين
- 237 أولا - آثار سياسية :
- 239 ثانيا - آثارها علي البيت الأموي :
- 241 ثالثا - آثار اجتماعية وأخلاقية وتربوية :
- 243 رابعا - آثارها علي المعاصرين لها، وعلي المفكرين والعلماء والأدباء من بعد :
- 252 خامسا - آثار ومعالم أثرية :
- 253 سادسا - آثار نفسية :
- 254 سابعا - آثار انتقامية وثأرية :
- 256 ثامنا - آثار ثورية :
- 256 اشارة
- 258 أولا - الطائفة الأولى: ثورات أهل البيت والصحابة وأبنائهم
- 258 1- ثورات المدينة المنورة :
- 258 أ- زينب بنت الإمام علي (عليه السلام) - علي بن الحسين (عليه السلام) :
- 265 ب - ثورة عبدالله بن حنظلة الغسيل الأنصاري . وهو الصحابي العظيم المنعوت بالراهب :
- 272 2- ثورة - عبدالله بن عفيف الأزدي :
- 273 3- ثورة مكة المكرمة :عبدالله بن الزبير :
- 280 4- ثورة التوابين - بزعامة :سليمان بن صرد الخزاعي :
- 283 5 - المختار بن أبي عبيدة الثقفي :
- 293 6- ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث:

- 7- ثورة زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام): 302
- 8- ثورة - «يحيى بن زيد بن علي» 307
- 9- ثورة «عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب» : 310
- 10 - ثورة أبي مسلم الخراساني وقيام الدولة العباسية : 311
- ثانيا - الطائفة الثانية:ثورات البيت الأموي ورجالاتهم : 316
- اشارة 316
- 1- معاوية الثاني : 316
- 2- الضحاك بن قيس الفهري : 316
- 3- النعمان بن بشير : 317
- 4- زفر بن الحارث الكلابي : 317
- 5- عمرو بن سعيد بن أبي العاص الأشدق: 317
- 6- «سلم بن زياد»: 318
- 7- يزيد بن المهلب بن أبي الصفرة : 319
- 10 - عبد الرحمن بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع : 320
- 11 - مروان بن محمد: 320
- 12 -اهل حمص 321
- 13- يزيد بن خالد القسري : 321
- 14 - سليمان بن هشام بن عبد الملك 321
- 15 - محمد بن خالد بن عبدالله القسري : 321
- ثالثا - الطائفة الثالثة:ثورات الخوارج : 323
- اشارة 323
- 1- مرداس أبو بلال : 324
- 2- نجدة بن عامر الحنفي : 325
- 3- نافع بن الأزرق : 325
- 4- عبدالله بن الماحوز : 326

- 326 5 - قطري بن الفجاءة المازني :
- 326 6- عمير بن الحباب بن جعدة السلمى :
- 327 7- أبو فديك :
- 327 8- عبدالله بن الجارود :
- 328 9- رباح: ويلقب «شير زنجي» أي أسد الزنج
- 328 10- «صالح بن مسرح التميمي»:
- 328 11- «شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني الحروري»:
- 329 12- «مطرف بن المغيرة بن شعبة»
- 330 13 - شريح بن هانيء:
- 330 14 - شوذب : واسمه : بسطام من بني يشكر:
- 331 15 - ميسرة السقاء :
- 331 16- عكاشة بن أيوب الفزاري :
- 332 17- بهلول بن بشر، الملقب - كثارة :
- 333 18 - أبو حمزة الخارجي :
- 333 19 - عبدالله بن يحيى :
- 333 20 - الضحاك بن قيس الشيباني :
- 334 21 - شيان بن سلمة الجروري الخارجي: (شيان بن عبد العزيز اليشكري:
- 334 22 - «الحارث بن سريج»:
- 336 23 - جديع بن علي الأزدي المعني، المعروف بالكرماني :

337 الخاتمة.

339 المراجع والمصادر.

351 تعريف مركز.

الجهاد بين النظرية والتطبيق من خلال ثورة الحسين بن علي عليه السلام

اشارة

الجهاد بين النظرية والتطبيق من خلال ثورة الحسين بن علي عليه السلام

تأليف د. يوسف جعفر سعادة

منشورات : ذات السلوسل

الكويت

ص: 1

اشارة

الجهاد بين النظرية و التطبيق من خلال ثورة الحسين بن علي عليه السلام

ص: 2

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1408 هـ - 1987 م

الناشر زات السلاسل الطباعة والنشر والتوزيع الكويت

الإدارة العامة

مجمع الأوقاف - برج 15

شنتة 15 - الدور السابع

ص.ب: 12041 - الشامية - الكويت

تلفون: 2466266/2466255

ص: 3

تقديم الكتاب باقة من الزهر والعطر عند مدخله. ومن التقاليد أن تكون الباقة ملونة مثيرة، وأن ينشر صاحبها أمام القاريء زهرة هنا وعطرا هناك. وأن يقدم فيها قراءته الخاصة للكتاب قبل أن تكون للقاريء بدوره قراءته الأخرى .

إنها محاولة لعرض نفائس الكتاب وأخباره في شيء من الإيجاز المشوق إن لم يكن في شيء كثير أو قليل من المديح ومداعبة الغرور.

علي أن أستاذن القاريء في مخالفة هذا التقليد الذي قد يحمل أحيانا علي محمل الرياء والمجاملة، لا رغبة في المخالفة ولكن لأن صديقي صاحب الكتاب اشترط علي أن أكون حرا في طرح كلمتي كما أراها. واشترط علي ثانيا ألا أجامل والمجاملة قد تكون حلوة في كل شيء إلا في الحق والعلم . واشترط علي ثالثا أن أكتب النقد ووجهة النظر الأخرى ليكون ثمة منبر للرأي الآخر في الكتاب .

وقبلت المهمة لا لأنه صديق عزيز فحسب، وإنه للصديق العزيز .

ولا لأنه حاول الموضوعية ولقد فعل علي قدر طاقته ما استطاع إليها سبيلا .

ولكنني قبلتها لأنني أولا وأخيرا أحترم حرية الرأي، ولأنني أذبح آخر شرائيني لكي يقول الآخر رأيه كله ، ولأنني لا أري في قيم الناس أئمن من حرية الرأي .

إنها التعبير عن احترام الإنسان ، وعن إنسانية الإنسان .

وفي ظل حرية الرأي قرأت هذا الكتاب . وفي ظلها أكتب هذه الكلمات . أهي مخالفة للتقاليد؟ لتكن لكن الحرية أئمن وأحق بأن تراعي ...

الجهاد بين النظرية والتطبيق هو عنوان الكتاب ، وقصة الحسين الشهيد هي موضوعه. ولست أعرف في التاريخ كله شهيدا آخر ما يزال دمه المبارك ينزف وينزف منذ ألف وثلاثمائة وخمسين سنة حتي اليوم، ويشير ما يشيره هذا الدم المبارك من الجدل والأجواء ، لا لشيء إلا لأنه لحمه الخير ورمز الفداء من أجل وحدة المسلمين ، ويجب أن يكون لحمه الخير وزمزم الفداء علي مر العصور.

ولقد أقبل صاحب هذا الكتاب علي موضوعه بنية صافية طيبة وأتمه حتي النهاية بنية صافية طيبة كذلك. أشهد بهذا فقد عرفته عن قرب، منذ أقبل علي العمل حتي التمام، ولست أشك فيه ، ولكن النوايا الطيبة علي جمالها وضرورتها ومبرراتها، لا تكفي منطلقا وعذرا، فثمة ضرورات أساسية لا بد من توافرها في العمل التاريخي أيضا. أولها وأهمها مناقشة الأسس الكبرى للموضوع وتحديد الخطوط العامة الأولية . وهنا أجدني مفترقا عن صديقي الكريم، فناقدا له في إطار هذه الأسس، ومخالفا له في بعض الأمر...

وقد نظر صاحبي إلي القضية كلها من منظار الدين والدين وحده ، سواء في تقويم الشهيد العظيم أم في تقويم الخليفتين معاوية ويزيد. وهي في كل

الأحوال وجهة نظر لا يمكن إغفالها ولها احترامها الكامل ، ولكن أليس من الضروري أن ندخل في الحسبان الظروف السياسية والظروف الاجتماعية التي جددت في ذلك العصر.

وقد أراد صاحبي أن يقدم في موضوع الجهاد رمزين: واحد للخير وآخر للشر. وصعد في هذا الرمز ما شاء التصعيد وهبط بذاك ما شاء الهبوط ليبرز التناقض الذي أحب إبرازه. وبصرف النظر عن حسن النية في هذا العمل ، وعن سمو الفكرة التي يدعو المؤلف إليها وهي ضرورة الشهادة في سبيل الدفاع عن المبدأ، وعدم التردد أمام الموت في سبيل الحق - بصرف النظر عن نبل هذا الهدف فإنه هنا استخدم التاريخ... والتاريخ قاس لا- يرحم. والزيادة فيه أو النقص تظهر بسرعة. لأن الميزان ليس حكرًا علي المؤلف وإنما هو مشاع للجميع... ولسان الميزان حاد حاد كشفرة السيف أو أشد!

تمنيت في الواقع لو استطاع صاحبي ألا يقتصر علي الجانب المأساوي للشهادة ولكن المصادر التي تملا حواشي الكتاب هي التي قصمت جناحيه وحرمته أن ينفذ إلي غير ذلك . اعتمدها حقائق نهائية ولم يخضعها للنقد والتشذيب . لقد غرق في موضوعه حتي الأذقان ، عاشه . عاناه في دمه وشرابينه لعله يأتي فيه بجديد ولكن سلطان المصادر كان أقوى منه ، وحال بينه وبين رؤية كان يمكن أن تكون أكثر دقة وعمقا . ولا أقول حال بينه وبين الحقيقة المجردة ، ومن ذا الذي يزعم أنه واصل في التاريخ إلي الحقيقة المجردة أو ما يشبه الحقيقة المجردة؟

تمنيت مثلا لو ناقش صاحبي بعض الأفكار التي أوردها علي أنها مسلمتات ، وفي الكتاب كثير منها، مما يمكن أن يوضع علي نار هادئة - لو أمكنت النار الهادئة - من التحقيق والرأي . ومن ذلك مثلا :

1- يمشي الكتاب مع ركب الكتب التاريخية التي ما زالت تروي منذ روايات القرن الهجري الأول أن الدولة الأموية حولت الخلافة إلى ملكية كسروية، وراثية. ويمكننا القول هنا من منطلق تاريخي محض أن معاوية هو أول من طبق فكرة الوراثة فعلا، ولكنه لم يكن هو صاحب النظرية أصلا.

وكان المجال واسعا أمام صاحبي ليبيدي آراءه في هذا المجال، وهو قادر كما أعلم - علي ذلك.

ليس يعني ذلك أبدا التسوية بين آل البيت الذين صلي الله عليهم، وبين آل أمية، ولكننا نناقش الفكرة. فمن أراد الخوض فيها فعليه أن ينطلق أولا من مبدأ أساسي هو أفضلية آل البيت في الحكم، فإن فعل وجد أكثر من رأي في هذا الباب ووجد من الأفكار الأخرى ما يناقش فيه الكثيرون.

صحيح أن معاوية سلب الخلافة من آل البيت ومن غيرهم، ولكن هل هو الذي قال بكسرويتها؟ وهل دامت هذه الكسروية لأكثر من ابن واحد له، فما بال المسلمين لم يعيدوها إلي ما كانت عليه في العهد الراشدي؟

ذلك أمر لم يتعرض له صاحبنا وكان عليه أن يفعل ذلك.

2- ويتحدث كتاب السير والتواريخ منذ القديم في قصة الحسين سيد الشهداء فإذا بهم - عن عمد سياسي وديني - يصبون جام غضبهم علي الدولة الأموية جملة واحدة. ويجعلونها دولة الفسق والفجور والخمر والمنكر والجور والظلم، ولا يجدون فيها ما يذكر فيشكر. أكانت الدولة الأموية كذلك بالفعل؟ وكيف بقيت بعد كربلاء سبعين سنة؟ وما ذنب عبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز وهشام ومروان بن محمد فيما فعل يزيد، وقد قال تعالى: « وَلَا تَزِرَ وَزِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى » وقال تعالى: « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ »؟ وهل يلغي قتل الحسين كل ما قامت به الدولة من فتوح

ودفاع ومن تأسيس للحضارة العربية الإسلامية تسعين سنة؟ وقد تنازل معاوية الثاني عن الخلافة، وكان في الناس جماهير من الصحابة وكان التابعون وكان المسلمون ما يزالون تحت وهج النبوة، فلماذا لم يجمعوا علي واحد من آل البيت لو كانوا يريدون؟

ألا يعتقد صاحبي أن الأمر يحتاج إلي مناقشة وتحليل وعرض لآرائه. لا أدر لماذا أغفل الكاتب موقف العباسيين من آل البيت؟

ليس يعني ذلك أيضا التسوية بين الحسين وآل البيت الشهداء من بعده، ولا المفاضلة بين العباسيين والأمويين، ولكن ميزان الحق واحد.

وتتحدث كتب التاريخ في قصة الحسين وليس فيها كتاب لا يبكيه أو لا ينحي بالأئمة علي الجريمة التي يمثلها قتله. ولكن في القصة جانبا ملأته العصور بالمبالغات وبالقصص الشعبي وبالأحقاد السياسية والأساطير. وقد غشي السورة ما يغشي. وقد آن لهذه القصة بعد طول الأمر أن تعود إلي حجمها الطبيعي في التاريخ، ولكنني لم أجد في الكتاب هذه المحاولة، إن لم أجد بالعكس نوعا من التصعيد والتكريس لها. ألا تستحق وحدة الإسلام والمسلمين مثل هذه المحاولة؟

ليس يعني هذا أيضا وأيضا أنني أنكر فظاعة الجريمة وبشاعتها أو أنني نقص من شأنها، ولكن قصة انقضت منذ ألف وثلاثمائة وخمسين سنة، ألا تستحق من المسلم المؤمن أن يفكر في جدوي إثارها علي الدوام والإلحاح في هذه الإثارة؟

خاصة وأن الشهيد خرج من أجل وحدة المسلمين.

فقد كان لثورة الحسين أثار في المجتمع، ولا زال استشهاده يعيش بينا رمزا للفداء والتضحية، رمزا للوحدة. وكان هذا هدف الشهيد. إلا أن

كثيرا من الأحداث التي ظهرت في العصر الأموي لم تكن لها علاقة بقضية الشهيد وهل كان الخوارج نتيجة لهذا الحدث؟

وبعد فقد ادخرت إلي النهاية مآثر للكتاب تكفي كي نغفر له الكثير :

أولاها أنه قدم لنا مشعلا من مشاعل المثالية والجهاد والدفاع عن الحق وفداء الذات من أجله . وكم نحتاج إلي هذا المشعل الهادي في زماننا هذا.

الثانية أنه بذل الجهد في التوثيق والجمع فالكتاب متكامل ووراء قافلة طويلة من الكتب والمراجع قضى المؤلف الليالي الطوال في مراجعتها وأخذ ما يخدم مثاليته منها، وإنه لمثالي من رأسه إلي أخمص قدميه

الثالثة إنه حاول أن يكون حر الرأي وأن يقول ما يعتقد، ومن آيات رأيه الحر أنه ترك لي هذه المقدمة أكتب فيها من النقد ما شئت واشترط علي ذلك .

الرابعة إنه اجتهد . واجتهد قدر الطاقة والعلم والجهد، وحسب المرء أن يجتهد فإن له أجراً إن أخطأ وأجرين إن أصاب . ولست أشك في أن صديقي صاحب الكتاب قد نال علي الأقل الأجر إن لم ينل الإثمين . وسوف ينال في كل الأحوال من الكثيرين أفضل الثناء.

د. شاكر مصطفى

ص: 9

من الملاحظ أن المؤلفين والكتاب والباحثين الذين تناولوا في كتاباتهم « الحسين بن علي » أنهم اهتموا أكثر في سرد سيرته ، فتناولوا فترة حياته منذ صغره مع جده (صلي الله عليه واله وسلم) وأمه الزهراء (عليه السلام) وتوقفوا قليلا عند شبابه ، ثم انتقلوا سريعا إلي حركته البطولية والفدائية الرائعة، وموقفه الجهادي تجاه الظلم والباطل فأسهبوا في البحث والكتابة عن معركة «الطف» التي دارت بين الحسين من جهة وعبيد الله بن زياد من جهة أخرى، وأكثروا في الشرح والوصف والتفصيل لتلك المعركة بإبراز صور البطولات والحركات الفدائية الأهل بيت النبي (صلي الله عليه واله وسلم) المصاحبين للحسين (عليه السلام) وأصحابه ، والاهتمام أيضا بتوضيح وتصوير المناظر الحزينة الباكية لتلك المعركة .

وبذا فإن هؤلاء عند تناولهم للأسباب والنتائج التي ترتبت علي نهضة الحسين لم تكن في مستوي تناولهم للأحداث الحربية والمواقف العنيفة ، إذ تناولوا أسبابها ونتائجها بإيجاز واختصار، ولم يقوموا بتفسيرها تفسيراً واضحاً ووافياً كما لم يبحثوا نتائجها إلا بصورة مبسطة لم تتعد في آثارها السنين القليلة لاستشهاد الإمام (عليه السلام).

ومن جانب آخر، فإننا منذ كنا صغارا وشباناً وإلي وقتنا هذا، نحرض علي ارتياد المجالس الحسينية أيام شهر محرم الحرام، وتتردد عليها بخاصة في الأيام العشرة الأولى من الشهر، لنستمع إلي الوعاظ والمقرئين وهم

يذكرون قصة الإمام (عليه السلام) وصراعه ضد الباطل، ووقوفه وثباته للحق، ثم معركته الكبيرة مع الجبابرة، في محاولة مكثفة منه وجهد مخلص للقضاء علي الباطل والظلم، وكنا نخرج من هذه المجالس بهذه النتائج فقط، فلم نتعرف علي خلفيات هذا الصراع وأسبابه الحقيقية ودوافعه الفعلية، ونتائج المؤثرة في الدولة الإسلامية والأمة المسلمة، جيلا بعد جيل، حتي وقتنا الحالي .

كما أن هناك في الحقيقة أسبابا أخرى دفعتني إلي تأليف هذا الكتاب . فقد كنت أقرأ مرة في كتاب للأستاذ «عبد العزيز سيد الأهل» وموضوعه : «الإمام زين العابدين» وقد استهوتني فقرة في مقدمته يذكر فيها المؤلف الأسباب التي دفعته لتأليفه ، بأنه يرغب في الحصول علي بركة أهل البيت من كتابه هذا حتي لو كتب شيئا يسيرا عنهم. فرغبت أنا أيضا في الحصول علي تلك البركة.

كما أن أحد تلاميذي وهو من المختصين في دراسة السينما والإخراج السينمائي طلب مني أن أكتب له موضوعا عن الإمام الحسين بن علي إذ إنه يرغب في تصوير فيلم سينمائي عنه وعن حركته .

ولهذا أصبحت لدي الرغبة والشوق إلي تناول هذا الموضوع وعلي الأخص من جانب الأسباب والنتائج، لأبين أمرين رئيسيين :

أولا : الأسباب الحقيقية والفعلية للصراع والكفاح البطولي للحسين وأهل بيته وصحبه . أي أسباب خروجه من جذورها. فهل كان السبب طلب أهل العراق منه نجدتهم والوقوف معهم ضد واليهيم ؟ أو أن رسله الذين بعثهم إلي العراق هم الذين شجعوه للقيام بحركته؟ أم أن تهديد يزيد له والضغط عليه لبيايعه، كان العنصر الجوهري في الجهاد في سبيل الله كي يخلص المسلمين من ظلم الحكام والولاة والقواد في الدولة الإسلامية؟

أم أن هناك أسباب أخرى جوهرية وأساسية أبعد في تأثيرها علي نفسية

الحسين، وأقواها في تحريك ضميره الديني للتفكير في النهضة المباركة؟

ثانيا : نتائج الثورة الحسينية ، وقد يتصور الكثير منا أن حركة الحسين انتهت بمقتله في كربلاء ، فحزن عليه الناس أياما وشهورا ، ثم سارت الأمور بطبيعتها ، وقلما يعرف شباب اليوم الآثار والنتائج الضخمة التي ترتبت علي حركته وكيف أنها استمرت بعد استشهاد لفترة طويلة حتي أسقطت الدولة الكبرى التي قاومته وقتلته .

فالنتائج كثيرة ومتعددة، منها السياسية والاجتماعية، والاقتصادية والدينية ، فالمجتمع الإسلامي لم يهدأ بعد ثورته ، فقامت ثورات وحركات مناهضة للحكم ، من وقت شهادته مباشرة ، وحتى سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية .

وبذا فإن الكتاب سينتهج في أسلوبه مفصلا الموضوعات التالية :

تتناول الفصول الأولى منه الأسباب المختلفة للثورة. وهي تلك الأسباب والدوافع التي تكمن في تربيته الإسلامية البحتة، والتي شربها من منبع القرآن الكريم، وجدته الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) وأبيه الخليفة (عليه السلام) فما التأثيرات القوية التي كانت للقرآن والسنة المحمدية وتعاليم علي (عليه السلام) في موقفه؟ ومن خلال كل ذلك نتناول نظام الحكم في الإسلام، و علي الأخص حكم الدولة الإسلامية وإمام المسلمين ، كما سنوضح الإمام الجائر وموقف المسلمين منه ، حيث إن تلك التعاليم وتفسيرها والتي تعلمها الحسين جيدا وهضمها وعرف أسرارها واحدة واحدة، مكنته من معرفة الوسائل الصحيحة لتطبيقها وتنفيذها في الحياة .

ثم نتناول في الفصول التالية يزيد بن معاوية ، وكيفية وصوله إلي الحكم، وكيف تمت بيعته ، وصدي تلك البيعة ، ثم الأحداث التي جرت في عهده القصير وموقفه منها، وكيفية إخماد الحركات المناوئة لحكمه وحكم

أسرته ، موضحين مواقف رجاله الذين استخدمهم في قيادة دولته ، والأسلوب الذي استخدموه في العمل علي استقرار الدولة وثباتها وتمكينها من البقاء .

وفي الفصول قبل الأخيرة نتناول المراحل والخطوات التي مرت بها معركة الحسين وتطوراتها وقد قسمت إلي عشر مراحل وخطوة . منها، موقفه من البيعة ليزيد، ومن المعارضين لموقفه ، والمراسلات التي جرت بينه وبين المعارضين لحكم يزيد، واختيار الكوفة محلا للصراع، والطريق وأهميته وأثره في دعوته ، وخطبه في جموع المسلمين ، ومواقف أنصاره و رجاله منه ، ثم استخدام القوة وإعلان الحرب في النهاية ، والمرحلة التالية لما بعد استشهاده .

وفي الفصل الأخير، نتناول نتائج ثورته، وهي تفسير للمرحلة التالية لاستشهاده، وقد مرت هذه المرحلة في ثورات وحركات مناهضة للحكم الأموي استمرت من وقت شهادة الحسين وحتى سقوط الدولة الأموية وقد قسمت هذه الثورات إلي ثلاثة أقسام : 1- ثورات أهل البيت، والصحابة والتابعين وأبنائهم، والعلماء، والرجال الصالحين.

2- ثورات أهل البيت الأموي ورجالاتهم.

3- ثورات الخوارج.

والله أسأل أن يكون قد وفقني في إنجاز هذا العمل المتواضع، الذي أقدمه للشباب المسلم المؤمن اليوم، المتمسك بدينه وعقيدته وقيمه وتراثه ، والذي يحاول البحث عن الحق والخير، ليسير في طريقهما دوما، ويتعرف علي الباطل لينبذه ، والشر ليقضي عليه . والله ولي التوفيق .

ص: 13

محتويات الكتاب

تقديم الأستاذ الدكتور شاکر مصطفى... 1

تقديم المؤلف... 5

الدوافع الأساسية والعوامل الفعلية لثورة الحسين بن علي... 9

تمهيد... 9

الفصل الأول: تربية الحسين تربية إسلامية مثالية... 23

أولا : موقف القرآن الكريم : ... 25

- موقف المسلم المؤمن من العقيدة الإسلامية... 25

- تربية الحسين القرآنية... 39

- خلاصة... 45

الفصل الثاني :

ثانيا : فكرة الثورة في الإسلام ومدى شرعيتها... 55

- الحكومة الإسلامية... 55

- كيف يمكن عزل الخليفة أو الإمام - ومتي؟... 64

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... 69

- موقف الحسين من السنة النبوية... 76

- خلاصة... 80

ص: 3

الفصل الثالث : ...

ثالثا : تأثيره بالمثل والاتجاهات الفكرية لأبيه... 89

1- أراؤه في الحكومة الإسلامية... 92

2- صفات الإمام في الإسلام وواجباته تجاه الأمة... 94

3- الإمام الجائر ومصيره... 97

4- موقف المسلم تجاه الإمام الجائر... 99

الفصل الرابع : فكرة تحويل الخلافة... 107

- فكرة البيعة ليزيد... 109

- صدي فكرة البيعة... 113

- يزيد بن معاوية... 121

- رجاله وأنصاره : ... 123

1- عبدالله بن زياد . . . 125

2- عمر بن سعد... 132

3- شمر بن ذي الجوشن... 136

4- مسلم بن عقبة المري... 138

الفصل الخامس : خروج الحسين وخطوات سيره إلى كربلاء... 141

أولا : موقفه من البيعة ليزيد... 145

ثانيا : موقفه من المعارضين لموقفه بالخروج علي الحاكم الجائر... 149

ثالثا : المراسلات التي جرت بينه وبين الأطراف المعارضة لحكم يزيد... 157

رابعا : إرساله السفراء إلي الشعوب وزعمائها المعارضين للنظام الحاكم... 159

خامسا : اختيار الكوفة محلا للصراع... 160

سادسا : الطريق وأهميته في الدعوة...172

ص: 4

سابعاً : خطبه التي ألقاها في جموع المسلمين لتوضيح أهدافه وسياسته...176

ثامناً : رجاله وأنصاره وموقفهم منه...179

تاسعاً : استخدام القوة وإعلان الحرب والتلاحم العسكري...190

الفصل السادس : نتائج وآثار الثورة :

مرحلة ما بعد الحسين : ...205

أولاً : آثار سياسية...211

ثانياً : آثارها علي البيت الأموي...213

ثالثاً : آثار اجتماعية وأخلاقية وتربوية...215

رابعاً : آثارها علي المعاصرين لها، وعلي المفكرين والعلماء من بعد ...217

خامساً : آثار ومعالم أثرية...226

سادساً : آثار نفسية...227

سابعاً : آثار انتقامية وتأريية...228

ثامناً : آثار ثورية : ...230

1- الطائفة الأولى : ثورات أهل البيت والصحابة وأبنائهم...232

1- ثورات المدينة المنورة : ...232

أ- ثورة زينب بنت الإمام علي...232

ب - ثورة عبدالله بن حنظلة الأنصاري...239

2- ثورة عبدالله بن عفيف الأزدي...246

3- ثورة مكة المكرمة : عبدالله بن الزبير...247

4 - ثورة التوابين : سليمان بن صرد الخزاعي...254

5- المختار بن أبي عبيدة الثقفي...257

6- ثورة عبد الرحمن بن الأشعث... 267

7- ثورة زين بن علي... 276

ص: 5

8- ثورة يحيى بن زيد ... 281

9- ثورة عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ... 284

10- ثورة أبو مسلم الخراساني وقيام الدولة العباسية ... 285

2- الطائفة الثانية : ثورات البيت الأموي ورجالاتهم ... 290

1- معاوية الثاني ... 290

2- الضحاك بن قيس الفهري ... 290

3- النعمان بن بشير ... 291

4- زفر بن الحارث الكلابي ... 291

5- عمرو بن سعيد الأشرق ... 291

6- سالم بن زياد ... 292

7- يزيد بن المهلب بن أبي الصفرة ... 293

8-9 الإضطرابات والحروب في عهد نصر بن سيار ... 293

10- عبد الرحمن بن أبي عبيدة بن عقبة ... 293

11- مروان بن محمد ... 294

12- أهل حمص ... 295

13- يزيد بن خالد القسري ... 295

14- سليمان بن هشام بن عبد الملك ... 295

15- محمد بن خالد بن عبدالله القسري ... 295

3- الطائفة الثالثة : ثورات الخوارج : ... 297

1- مرداس أبو بلال ... 298

2- نجدة بن عامر الحنفي ... 299

3- نافع بن الأزرق... 299

4- عبدالله بن الماجوز... 300

5- قطري بن الفجارة... 300

ص: 6

- 6 - عمير بن الحباب السلمي... 300
- 7 - أبو فديك . . . 301
- 8 - عبدالله بن الجارود . . . 301
- 9- رباح ... 302
- 10 - صالح بن مسرح التميمي ... 302
- 11- شبيب بن يزيد الشيباني . . . 302
- 12 - مطرف بن المغيرة بن شعبة... 303
- 13 - شريح بن هانيء ... 304
- 14 - شوذب ... 304
- 15 - ميسرة السقاء... 305
- 16 - عكاشة بن أيوب الغزاري ... 305
- 17 - بهلول بن بشر. . . 306
- 18 - أبو حمزة الخارجي ... 307
- 19 - عبدالله بن يحيى (طالب الحق) ... 307
- 20 - الضحاك بن قيس الشيباني ... 307
- 21- شيبان بن سلمة الحزوري ... 308
- 22 - الحارث بن سريج ... 308
- 23 - جديع بن علي الأزدي الكرمانى ... 310

الفصل السابع :

الخاتمة... 311

المراجع والمصادر... 313

الدوافع الأساسية والعوامل الفعلية الثورة «الحسين بن علي»

تمهيد :

يردد كثير من الكتاب والمؤلفين والمحدثين ، الأقدمين منهم والمعاصرين كما يتكرر علي ألسنة الناس بأن خروج الحسين إلي العراق كان سببه الرئيس أو البارز هو طلب أهل العراق وبخاصة أهل الكوفة منه بالإسراع إليهم ليخلصهم من ظلم ولاة الأمويين وعسفهم وجورهم ، في ظل خليفتهم يزيد بن معاوية .

فالتاريخ يذكر أن أهل الكوفة ممثلين بزعمائهم من الأشراف والصحابة والتابعين ، قد بعثوا برسائل كثيرة و برسل عديدين ، في محاولات مكثفة لحث الحسين علي الخروج والتوجه إليهم ليكون بينهم كي يقود ثورتهم الشعبية ضد الظلم والظالمين ، فيمسك هو بزمام الحكم بعد التخلص من دولة التسلط، مؤكداً له موقفهم هذا، اعتقاداً منهم أنه هو خليفة المسلمين بعد وفاة أخيه الحسن (عليه السلام) كوريث شرعي له بالخلافة والإمامة .

ولكننا نسأل ، هل كان فعلاً، طلب أهل الكوفة وعلو صراخهم له بالإسراع لنجدتهم، سبباً في خروج الحسين إلي العراق ودافعا إلي ثورته ضد الدولة الأموية؟

وهل كانت رسائلهم إليه دافعا قويا لنهضته الجبارة ضد التسلط

الأموي؟ وهل كان رسله الذين بعثهم إلي الكوفة لاستكشاف الأحوال فيها، عامة من العوامل القوية في القيام بحركته الدينية في الدولة الإسلامية؟

أم كان تهديد يزيد بن معاوية له والضغط عليه بعنف لبياعه، عنصراً أساسياً في تفكيره جعله يضحي بحياته وحياة أهل بيته وأصحابه كي يتخلص من يزيد ويقضي عليه حتى يسيطر هو فيحكم المسلمين؟

إننا حينما نقرأ التاريخ ونتمعن في أحداثه، ونتتبع سير الحوادث، ونطلع علي الأحاديث والروايات التي سردها المؤرخون، ونقلها أصحاب الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) وغيرهم من التابعين، والمنصفين من المؤمنين، يتضح لنا أن الأسباب والدوافع الحقيقية التي دعت الحسين وجعلته يثور وينهض بحركته، ويضحي بنفسه وأهله وأصحابه، لم تكن هي النقاط التي سردناها في سياق الأسئلة السابقة.

فهو لم يثر لتهديد يزيد له بالقتل، لأنه لن يكن من الذين يخشون الموت، لا علي نفسه ولا علي أولاده، حيث إن المؤمن الذي وهب نفسه الله لا يخاف الموت، ويتضح هذا من مبدئه الذي اعتنقه: «هل هو إلا الموت فمرحبا به» شعاره الذي يستهين في سبيله بكل عزيز.

كما يتضح من رده علي «الحر بن يزيد» حين هدده بالموت: «أبالموت تخوفني؟»

ولم يقم بحركته بسبب الرسائل التي بعثها أهل الكوفة إليه يشجعونه علي زعامة ثورتهم ضد الدولة الأموية، إذ كان قد قرر ذلك قبل الكوفيين وزعمائهم بمدة طويلة، وقبل أن يعلموا بتولي يزيد الحكم، عندما ظهرت فكرة توليته أيام معاوية، العاهل الأول للدولة الأموية، فأصبح الحسين المعارض الأول لبيعته، وتجمع الناس حوله مما جعل «مروان بن الحكم» الوالي بالمدينة يحذر معاوية من خطره.

هذا ما كان عليه الحسين من رأي تجاه البيعة منذ أيام معاوية ، وأيضاً حينما طلب منه الوالي «الوليد بن عتبة» في المدينة ، البيعة فرفضها بقوله : « ومثلي لا يبايع مثله ».

كما أنه لم ينهض بسبب آراء ومقترحات رسله وسفرائه الذين بعثهم إلي الكوفة ليستكشفوا الأحوال فيها ويخبروه بأمر أهلها، فيما إذا كانوا جادين في ثورتهم .

وتبرز هذه الحقيقة حينما نلاحظ أنه اتجه إلي الكوفة مع أهله وأصحابه دون أن ينتظر أجوبة هؤلاء، أو ينتظر منهم توضيحاً لموقف أهل الكوفة منه ، فقد سار إليها وكان يستعلم عن الأحداث فيها . فعرف مثلاً بمقتل جماعة من أهله وأصحابه الذين بعثهم إلي هناك وهو في الطريق ، ولم يكن في المدينة .

فالحسين وهو خارج إلي العراق كان مصمماً علي أمر ، وكان هذا الأمر هاماً وعظيماً ، سيهز الشعوب ويحركها من ناحية ، ويحدد البداية لنهاية أمور يرفضها الإسلام وأصوله من ناحية أخرى.

فلنتظر إذن إلي الأسباب والعوامل الحقيقية التي دعت الحسين إلي القيام بحركته المباركة ، ونهضته الجليلة ، ضد الدولة الأموية عموماً، ويزيد علي وجه الخصوص .

يذكر التاريخ أن الصلح الذي تم بين الحسن بن علي (عليه السلام) ومعاوية كان من بنوده ، أن يكون الأمر للحسن بعد معاوية ، فإن حدث شيء للحسن فلاخيه الحسين ، وليس لمعاوية أن يعهد به إلي أحد، أو أن يكون شورى بين الناس وأن يصل لكل ذي حق حقه (1).

ولكن معاوية لم يحترم ميثاق الصلح ولا بنود المعاهدة تلك ، فكما هو

ص: 11

1- إبراهيم بيضون: شخصيات شيعة ص 56، محمد جواد مغنیه : من هنا وهناك ، ص 104.

معلوم عمل علي موت الحسن (عليه السلام) بالسسم، ثم نشط في البحث عن وسيلة يتمكن بها أن يعهد بأمر الحكم من بعده إلي ابنه يزيد.

عندئذ بدأ تحرك الحسين عمليا لإجهاض هذه الفكرة، وحاول في كتاباته إلي معاوية أن يبعده عنها، ولكنه كرجل من سلالة الأنبياء يرث صفاتهم، حيث يكره الغدر والتقص والغش، لم يرد عليه بمناوئته، حفاظا علي عهد أخيه، واحتراما لميثاق صلحه الذي أبرمه مع معاوية، فلم يبدأ تحركه الفعلي إلا حينما ظهرت فكرة التولية ليزيد، ولم يتم بعمل إيجابي إلا عندما تولي يزيد الحكم وجلس علي مقعد الخلافة. فلم يحب الحسين (عليه السلام) أن- يأخذ الرجل بالظنة ولا بالتفكير أو النية، بل أراد أن يكون تصرفه تجاه الأمر فعلا لا قولاً عند حدوثه. فعندما جلس يزيد في الحكم، بدأت معارضة الحسين (عليه السلام) وحينما أمر يزيد الناس جميعا بالبيعة له، فبايع من بايع ورفض من رفض، وحينما طلب من الصحابة وأولادهم أن يبايعوه، كان للحسين موقف آخر، إذ حينئذ يكون الأمر قد حدث، فيكون الرد والفعل الواضح، دون لف أو دوران، ودون خشية أو خوف .

رأي الحسين (عليه السلام) كما رأته جماعة الناس، أن يزيدا هذا لا يمتلك ذرة من الصلاحية التي تؤهله لأن يجلس من الأمة المسلمة حيث كان يجلس من قبل : «أبو بكر وعمر وعثمان وعلي»، فلقد كانت خلافة واحد من طرازه أدهي كارثة تنزل بالدولة والأمة، لا سيما وهو يستخلف في عصر لا تفصله عن عصر النبوة والوحي سوي سنوات معدودة، وفي جيل لا يزال يحيا فيه رجال شامخون أبرار من أصحاب رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) : «الحسين بن علي، عبدالله بن عباس، أبي الدرداء، عبدالله بن عمر، عبدالله بن الزبير، عبد الرحمن بن أبي بكر، قيس بن سعد بن عبادة» (1).

ص: 12

1- خالد محمد خالد: أبناء الرسول في كربلاء، ص 32.

فيزيد لم يكن مؤهلاً لتولي الخلافة، أو ليخلف الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) في ذلك المنصب الخطير، وفي رئاسة الدولة الإسلامية، سواء من ناحية، صفاته الخلقية أو خبراته السياسية (1) فقد دب الرعب والفرع والخوف في نفوس أهل المدينة خاصة، وأهل الأمصار الأخرى عامة، عند سماعهم بتولية يزيد الخلافة برغم أهلها ورغم الناس .

واشترك الناس جميعاً في النقمة علي يزيد، لأنه متهاون مسترسل، وسيظل متهاوناً مسترسلاً لا يرجي منه خير ولا يؤمل فيه صلاح.

وفي الحقيقة أن أهل المدينة مساكين، فسيكون لهم شأن وأي شأن، مع يزيد بن معاوية، كما كان لهم شأن مع أبيه من قبل، ولكن يزيداً سيزيد تلك الشؤون هذه المرة، ليدمجها مع أهل مكة، المدينة المقدسة الأولى - التي كرمها الله وعظمها، وفضلها علي سائر الأمكنة في بقاع الأرض.

وما من شك أن يزيد بن معاوية قدر أن الخلافة لن تصفو له وفي الناس هذا الحسين الإمام، يفرض سلطانه علي كل القلوب وكل الضمائر، ويغزو والمجتمع الإسلامي بجاذبيته الأسرة، وشخصيته التي يحف بها سنا من نور النبوة وجلال الإيمان، ومهابة الحق، ووقار السمة، ونبل الطباع، واكتمال الرجولة والإنسانية، فما تستطيع قوة في الأرض أن تصده عن النضال في سبيل الحق، وما يستطيع أي إنسان أن يغريه بإيثار السلامة والعافية (2).

فالحسين أحس بالمسؤولية تناديه وتطلبه لإيقاف المنكرات عند حدها ولا سيما أن الذي يضع هذه المنكرات ويشجع عليها هو الجالس في مقعد رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) (3). فكان عليه أن يقوم بواجبه، وهو الذي نذر حياته كلها

ص: 13

1- علي حسني الخربوطلي: 10 ثورات في الإسلام، ص 70.

2- بنت الشاطيء: سكينه بنت الحسين، ص 43.

3- باقر القرشي: حياة الحسين، ج 2/ ص 272

للجهاد والمجاهدة مع النفس ومع الباطل أينما كان ، وعلي الخصوص حينما رأي أن المجتمع الإسلامي آنذاك يتطلب القيام بعمل انتحاري فاجع يلهب الروح النضالية في هذا المجتمع، ويتضمن أسمى مراتب التضحية ونكران الذات في سبيل المبدأ، لكي يكون منارا لجميع الثائرين حين تلوح لهم وعورة الطريق ، وتضمحل عندهم احتمالات الفوز، وترجح عندهم أمارات الفشل والخذلان.

فكانت ثورته ضد أرستقراطية البيت الأموي، وضد تحويل الخلافة من الشوري والانتخاب والديمقراطية ، إلي نظام ملكي وراثي يشبه النظام القيصري الروماني. و كانت أيضاً ضد استئثار الأمويين بالخلافة دون سائر الصحابة ، فأصبح قائدا وزعيما لحزب أهل المدينة ، الذي تألف من أبناء كبار الصحابة وأبرزهم - فضلا عن الذين ذكرناهم - : «عبدالله بن جعفر الطيار ، وأبان بن عثمان»- الذين أجمعوا رأيهم علي المعارضة لبيعة يزيد بكل قوة (1).

فكان في إقدام الحسين بن علي (عليه السلام) علي بيعة يزيد، انحراف عن أصل من أصول الدين، من حيث إن السياسة الدينية للمسلمين لا تري في ولاية العهد وراثة الملك إلا بدعة هرقلية دخيلة علي الإسلام، ومن حيث اختيار شخص يزيد مع ما عرف من سوء السيرة ليتولي منصب الخلافة أكبر وزر يحل بالنظام السياسي للإسلام.

فلم يكن من رأيه أن يؤخذ الحكم بالقوة والعنف والتهديد والابتزاز فالحكم الإسلامي أسلوبه معروف ، ووسيلة الحكم في الوصول إلي منصب الخلافة معروفة أيضا لدي المسلمين. ولذلك كره أن يتعرض للتهديد والقوة ، وإجباره التنازل عن المبادئ الإسلامية في سبيل وصول فرد غير

ص: 14

1- علي حسني الخربوطلي : المرجع السابق ص 73.

مؤهل إطلاقاً أن يكون رئيساً علي المسلمين ووصية لتنفيذ الأحكام والمبادئ الإسلامية .

فلم يقبل بالأسلوب الذي تعامل به يزيد، والذي تعاطاه أبوه من قبل مثلما كتب يزيد إلي عامله بالمدينة ، الوليد بن عتبة :

« أما بعد، فخذ حسينا وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر بالبيعة أخذا شديدا ليست فيه رخصة حتي يبايعوا » (1).

وهو وإن لم يستعمل هذا الأسلوب من التهديد أو العنف إلا إقراراً منه بضعفه وعدم أحقيته في أن يكون حاكماً للمسلمين ، كان يدرك تماماً أيضاً، أن في بيعة الحسين وأبناء الصحابة ، بيعة العراق وبيعة الحجاز.

فتعتبر نهضة الحسين إذن حفظ للخلافة وصيانة لها، لأن الخلافة الإسلامية ليست مجرد سلطة زمنية علي الأمة ، بل هي نيابة عن الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) وامتداد ذاتي الحكومته المشرقة . فثار الحسين وخرج وهو يحسب أن الناس ما زالوا يطلبون العدل الاجتماعي، وأنه من الطبيعي أن ترفض الكرامة البشرية أن يفرض عليها حاكم عرييد في مجتمع يعتبر العريدة معصية تستوجب عقاب الله والمجتمع . وطبيعته ترفض ما يحدث ، ترفضه لحد الأزمة، فإن السيف والإرهاب يطالبانه بالبيعة (2).

وهناك من المؤرخين من يذكر أسباب أخرى لحركة الحسين ووقوفه أمام حكم يزيد. فيرجع أسبابها إلي الماضي البعيد، إلي الخلاف الذي كان قائماً بين العائلتين الهاشمية والأموية ، فيذكرون بأنه قبل أن يقف الحسين ويزيد، كانت الحوادث قد جمعت لهما أسباب التنافس والخصومة منذ

ص: 15

1- الطبري ج 6 ص 188.

2- بنت الشاطيء : المرجع السابق / ص 18.

أجيال . فقد تنافس «هاشم وأمية» علي الزعامة قبل أن يولد علي ومعاوية ، وأسلم أبو سفيان عند فتح مكة ، وكان إسلامه أعسر إسلام عرف بعد فتحها (1) .

ولكننا نري أن موقف الحسين ضد يزيد بسبب خلاف عائلي وعداء تقليدي بين البيتين الهاشمي والأموي، أمر من الصعب تقبله ، كما أنه من الصعب أيضاً ربط الإسلام العسر لأبي سفيان بموقف الحسين (عليه السلام) تجاه يزيد.

صحيح إن العداء كان قد استحكمت في نفسية «أبي سفيان» وطغي وتكبر في قبوله الإسلام والشهادة لمحمد (صلي الله عليه واله وسلم) بأنه رسول الله ، وصحيح أنه لم يقبل بهذه الدعوة إلا مرغماً وخوفاً، إلا أن السبب هذا لم يكن متحكماً في نفسية الإمام «علي» (عليه السلام) والحسين تجاه معاوية ويزيد. فقد كان العداء من طرف واحد فقط، إذ إن الإمام علي (عليه السلام) لم يقم بثورة ضد معاوية ، ولم يطالبه بشيء هو أحق منه فيه ، فقد كان معاوية واليا مثله مثل أي وآل في الأمصار الإسلامية ، وطلب علي (عليه السلام) من الولاة جميعاً تقديم استقالاتهم و التوجه إليه في العاصمة، وكان معاوية أحدهم، واستقال الجميع ما عداه ، رفض حكم الخليفة الشرعي، المنتخب شعبياً ، والمبايع من جميع الأطراف والأمصار.

فالإمام علي، لم يعاديه، ولم يظهر له عداوة شخصية ، ولكن هذه الصفات صدرت من معاوية تجاه الإمام علي (عليه السلام).

وكذلك كان الأمر بالنسبة إلي موقف الحسين (عليه السلام) فلم تكن حركته قضية شخصية تتعلق بحق له في الخلافة، ولم ترجع إلي عداوة شخصية

ص: 16

يضمهرها ليزيد، بل علي العكس من ذلك تماما، فقد بدأت العداوة والبغضاء والحقد من جانب يزيد.

فهو الذي تسلط علي الناس بالقوة وحكمهم بالعنف، وتسلم زمام أمور المسلمين بأساليب ملتوية، سواء من جانب أبيه الذي أخذ البيعة له قسرا، مستخدما في ذلك أسلوب الدسائس والمؤامرات، أو من جانبه هو، الذي بعث إلي أبناء الصحابة وغيرهم يجبرهم علي البيعة، ويهددهم بالقتل والتشريد إن امتنعوا عنها.

فالحسين عندما طلب منه في بداية الأمر والي يزيد علي المدينة، أن - يبايع بالخلافة له قسرا وبالإكراه، رفض هذا الأسلوب، وأثر عدم الاحتكاك في مدينة رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) فتوجه إلي مكة، عسي أن يتعد عن سفك الدماء وجلب التوتر والفوضى في هذه المدينة المقدسة. ولكن يزيدا ورجاله لم يقبلوا أن يفلت منهم، فتبعوه إلي مكة، ليس لأخذ البيعة منه قسرا، هذه المرة، ولكن لاغتياله بأسلوب رجال العصابات والمنظمات الإرهابية التي نسمع عنها هذه الأيام.

فبعد هذا العدوان السافر، والنية المبينة، والقصد المتعمد، مع سبق الإصرار علي ارتكاب جرائم القتل وسفك الدماء، تتأكد نية العداء الأموي تجاه البيت الهاشمي ويوضح الحسين موقفه من مخاصمة يزيد بقوله: «أنا وهم الخصمان اللذان اختصما في ربهم».

ونحن عندما نتذكر الأسباب التي سقناها من قبل، وما سنذكره من بعد نجد أن هذه العلة بعيدة علي الأقل من جانب الحسين.

فلو كانت هناك عداوة متأصلة في نفس الحسين دافعة إلي فعله وعمله، لكان من الأجدر أن يحارب معاوية من قبل، ويقف أمامه حتي يسقطه من الحكم الذي تولاه بالقوة والإرهاب بمحاربة أبيه وأخيه. ولكنه كما ذكرنا،

سكت عنه عسي أن يحترم تعهداته ، فحينما حدث العكس ، وظهرت خيانتته ، ونقض الاتفاقية رأي الحسين أن الواجب يحتم عليه أن يقوم بتعليم المسلمين أمورهم الدينية ، حتى لا- تتقلص المبادئ الإسلامية والأفكار السامية ، ولا تزول أكثر هذه المبادئ والأحكام قوة وعظمة .

فعندما صمت المسلمون تجاه الباطل الذي أنكره بعضهم بلسانه وأنكره الجميع بقلوبهم ، كان يعني ذلك أن الإسلام قد كف عن إنجاب الرجال ، وأن المسلمين فقدوا أهلية الانتماء لهذا الدين العظيم ، وأن مصير الإسلام والمسلمين أصبح معلقا بالقوة الباطشة «فمن غلب ركب»، ولم يعد للقرآن ولا للحقيقة سلطان (1).

فلم تكن قضية طموح تدفعه إلي المغامرة التي يستوي فيها احتمال الربح والخسران، بل القضية أجل وأسمى وأعظم، حيث إنها، قضية الإسلام ومصيره والمسلمون ومصيرهم.

إن مسألة العقيدة الدينية في نفس الحسين لم تكن مسألة مزاج أو مساومة ، فقد كان رجلا يؤمن أقوي الإيمان بأحكام الإسلام، ويعتقد أشد الاعتقاد بأن تعطيل حدود الدين هو أكبر بلاء يحيق به وبأهله وبالامة العربية الإسلامية قاطبة في حاضرها ومستقبلها، لأنه مسلم، ولأنه سبط محمد (صلي الله عليه واله وسلم)، فالإسلام عند الحسين هداية نفس وشرف بيت (2).

فإذا كان قد خرج علي يزيد، فإنما خرج ليؤكد حق الإسلام في حماية نفسه من الضلال والإفك ، وليكفر في تضحية مجيدة عن خطيئة الصمت التي اقترفها الناس طائعين أو مكرهين ، فمن المسلم به ، وجوب النهوض في وجه

ص: 18

1- خالد محمد خالد: المرجع السابق ص 91

2- العقاد : أبو الشهداء ص 77.

كل باطل، ومناصرة كل حق ، ولإبقاء هيكل الدين، ونشر تعاليمه، وبث أخلاقه .

وتأتي أخيراً، إلي العامل والسبب الذي يردده الكثير ، وهو الكتب والرسائل التي وردته من أهل الكوفة وزعمائهم، يدعونه بالقدوم إليهم ليخلصهم من حكم الجائرين، وينقذهم من الظالمين :

« فإن الناس بانتظارك ، لا رأي لهم في غيرك ، العجل العجل، فقد اخضرت الجنان وأينعت الأثمار» (1).

وكذلك الرسائل التي بعث بها سفراؤه إليه ، كمسلم بن عقيل، الذي أخبره أن يعجل بالقدوم إلي الكوفة حيث أصبح الأنصار مائة ألف مقاتل . فقد تزامن وصول الكتب والرسائل ، مع تفكير الحسين واستعداده للخروج من مكة والاتجاه إلي الكوفة لمناصرة أهلها، ولإبعاد الأفكار والمبادئ الجديدة ، التي في إمكانها أن تقضي علي المبادئ الإسلامية بشوائبها الحديثة ، وتبعد المسلمين عن أمور دينهم الحقيقية الذي أنزله الله سبحانه وتعالى علي جده الرسول (صلي الله عليه واله وسلم).

أود القول، بأنه إذا كانت لهذه الرسائل والكتب أهمية للحسين ، واعتبارها سببا أو دافعا لاتجاهه إلي العراق ، والكوفة خاصة، فإنها عندي ، ليست إلا وسيلة واحدة من بين عدة وسائل كان ينوي من ورائها تنفيذ ما أمره الله تعالى به، وما كان قدره الله تعالى له ، من قيامه بأعظم التضحيات وأخلدها في تاريخ البشر. وخاصة أن الأحاديث والأقوال التي جاءت علي لسان النبي (صلي الله عليه واله وسلم) والإمام (علي) والحسين نفسه ، تؤكد هذا المعني . إذ كان

ص: 19

1- عبد الكريم القزويني: الوثائق الرسمية لثورة الحسين ص 40/ الطبري ج 4 ص 234/ فؤاد علي رضا: غصن الرسول ص 117.

لا- بد من السير إلى الكوفة وليس إلى جهة أخرى، حيث باءت جميع المحاولات التي أبدتها معظم الصحابة وأبنائهم، ومعظم العلماء والرجال البارزين في ذلك الوقت، بالفشل في تغيير خط سير الإمام (عليه السلام) نحو الكوفة، أو بقاءه في مكة .

ولهذا وددت أن أفصل بالشرح الكامل موقف الحسين هذا من جوانب أخرى فضلا عما ذكرناه سابقا .

فإذا لم تكن قضيته شخصية ، ولم تكن قضية طموح، ولم تكن قضية عداوة وبغضاء تقليدية ، وإذا كانت قضية أكبر من ذلك ، أي قضية الإسلام والمسلمين ومصيرهم وأن الحسين رجل يؤمن بقوة أحكام الدين، ويعتقد بشدة أنه لا شيء يمكنه تعطيل حدود الدين ، فإذا حصل هذا التعطيل، كان البلاء والخطر والانحلال قد عم الإسلام والمسلمين وحق بهم جميعا ، فإنه ينبغي علينا أن نحلل موقفه من هذه الجوانب .فتحن نعلم ، أن الحسين (عليه السلام) هو ابن الإمام علي ، وسط محمد (صلي الله عليه واله وسلم) تربي في حجر النبي (صلي الله عليه واله وسلم) وورث مبادئ الدين الإسلامي وأحكامه منه (صلي الله عليه واله وسلم) ومن أبيه وأخيه وأمه الزهراء (عليه السلام) فإذا كان النبي (صلي الله عليه واله وسلم) قد أورثه جرأته وجوده ، وإذا كان علي علمه الشجاعة والعلم، فإننا نرغب أن نوضح ما تعلمه الحسين من القرآن الكريم، من مبادئ وأفكار سامية ضد الظلم والطغيان ، وما تعلمه من جده الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) في الموضوع نفسه ، وما أخذه من أبيه في ذلك أيضا.

فالحسين (عليه السلام) قد تأثر في طفولته بحياة جده النبي (صلي الله عليه واله وسلم) المتواضعة و بكل ما تزخر به من قيم سامية ، وكان يري فيه المسلمون صورة نبيهم الكريم (صلي الله عليه واله وسلم) ويجدون فيه نفحة عطرة من أثره ، وشعاعا بهيا من سناه ، حتي لقد بلغ من إعجابهم به أنه ذاعت فيهم ذائعة تقول: «إنه متعود بتعويذتين

حشوهما زغب جناح جبريل». وفي صباه تعلم من أبيه تعاليمه، ومن غيره من الصحابة والأنصار . وهذه التعاليم هي سبيله لفهم الإسلام علي أنه دعوة إلي الحق والعدل والحرية .

وعاش الحسين مدافعا عن هذه الأهداف الكبيرة، ومن أجلها أصبح اسمه في التاريخ: «سيد الشهداء».

كما أنه خلال رحلته في الحياة التي لم تستمر طويلا لم يتخل أبدا عن هذه المثل ، رغم كل صنوف الاضطهاد، فلم يقبل مساومة ولا تنازلا عن شعرة من الحق ، فإما الحق كاملا وإما الموت .

لكل هذا رغبت في تبيان وتوضيح ما تعلمه الحسين من القرآن، وما تعلمه من جده الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) وما أخذه من أبيه، وذلك للتعرف علي الأسباب الفعلية والأساسية أو جذور وأصول وركائز ثورته ونهضته.

وسيجيب هذا البحث عن الأسئلة الآتية :

ما موقف القرآن الكريم من تلك الأحداث؟ وما موقفه من الحاكم الجائر؟

وما موقفه من الثائر ضده؟ هل القرآن يؤيد سلطان الحاكم أيا كان؟ أو يدعو إلي تنحيته متي ما كان ضروريا؟

ما رأي النبي (صلي الله عليه واله وسلم) في تلك الأحداث؟ وما موقفه تجاه الحكومة الإسلامية؟

ما آراء الإمام علي في تلك الأمور؟ وما موقفه تجاه الحاكم الظالم والمغتصب لحقوق المسلمين؟

ومن خلال الإجابة عن الأسئلة السابقة، نكون قد أعطينا صورة

واضحة وصادقة عن موضوع بحثنا، ونكون قد وفينا حقه وأكملنا حلقاته، فنتعرف علي الحاكم في الإسلام، ومن هو الإمام العادل في نظر الفقه الإسلامي، وما موقف التشريع الإسلامي من الحاكم الجائر؟ وهي محاولة متواضعة لتفهم أسباب نهضة الحسين بن علي (عليه السلام) - جذريا، حتي نستطلع فيما كان خروجه واجبا أولا، أو كان جائزا ثانيا، و ذلك من النواحي الدينية والاجتماعية والأخلاقية .

ص: 22

الفصل الأول: تربية الحسين ع تربية اسلامية مثالية

اشارة

اولا :

موقف القرآن الكريم :

وتتناول في هذا الفصل الجوانب التالية :

- الإسلام والمسلم.

- موقف المسلم المؤمن من العقيدة الإسلامية .

- موقف المسلم المؤمن من إمامه الحاكم .

- من الحاكم الجائر في القرآن ؟ هل يؤيد القرآن سلطان الحاكم أيا كان ؟ أي يقبل بالأمر الواقع، أم يدعو ويأمر بالتخلص من الحاكم الجائر وتنحيته عند الضرورة؟

- كيف ومتي ينبغي أن يحدث ذلك؟

- موقف الحسين (عليه السلام) في القرآن الكريم .

ص: 23

موقف المسلم المؤمن من العقيدة الإسلامية :

يصور الإسلام الوحدة الإنسانية ، حين كان الإنسان موزعا بين قبائل وأمم وطبقات بعضها دون بعض ، وقوميات ضيقة. وكان التفاوت بين هذه الطبقات هائلا كالتفاوت بين الإنسان والحيوان، وبين الحر والعبد، وبين العابد والمعبود، لم تكن هناك فكرة عن الوحدة والمساواة إطلاقا، فأعلن القرآن ذلك الإعلان الثائر : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » (1) فالإسلام هنا قد أعلن كرامة الإنسان وسموه، وشرف الإنسانية وعلو قدرها « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ » (2). والإسلام هو التسليم لله في كل شيء، والتسليم الحق هو الطاعة ، وأهم أسس الطاعة: مسالمة الناس ومخالفتهم بخلق حسن وصيانتهم : صيانة الحوار، صيانة العرض، صيانة المال .

والإسلام سلام للقلب وتطهيره من الأرجاس، ومن شر الشيطان ، وتنقية للوجدان من كل الشوائب، واستمساك بالهدي والكمال. فهو إذن

ص: 25

1- سورة الحجرات 13.

2- سورة الإسراء : 70.

سلام للروح، سلام للحياة نفسها، سلام للوجود بسلام الناس . كما أن الإسلام رابطة تربط الناس في المجتمع المسلم، وأساس هذه الرابطة وقوامها العقيدة . فالجميع يلتقون من خلال - لا إله إلا الله - التي يؤمنون بها فيعملون بمقتضاها. ومن إيمانهم ل «لا إله إلا الله» تتجمع قلوبهم ويتوحد اتجاهها فتتأسس بينهم رابطة المحبة والمودة التي يأمر بها الإسلام، وأنه لا شيء في الوجود يجمع القلوب أقوى من العقيدة .

فكل رابطة غيرها من جنس أو لون أو لغة أو مصالح مشتركة أو أمانى مشتركة أو تاريخ مشترك، إلي آخر تلك الروابط التي يقيم الناس وجودهم وتجمعهم عليها في الجاهلية، عرضة لأن تتفتت وتتشتت، ولكن رابطة العقيدة في الله هي الأثبت والأقوي والأدوم، لأنها أعمق في القلوب، ولأنها لا تطلب شيئاً في المقابل (1).

ويري فريق كبير من العلماء، أن مجرد التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، لا يسمى إيماناً، وإنما يكون الإيمان بثلاثة أركان: اعتقاد الحق، والإعراب عنه، ومطابقة العمل له. فالعمل سواء أكان ثمرة الإيمان أو ركناً منه، فالجميع متفقون علي وجوبه، وإلا استوي وجوده وعدمه في المصير والأمال.

فالإيمان عقيدة ترسخ في النفس يصحبها اطمئنان إليها، وحرص عليها وإقرار بها، وعمل بمقتضاها. والمؤمن هو صاحب العقيدة القوية، الذي يثق فيها ويرتاح إليها، ويعرب عنها، ويحرص علي تحقيقها في العمل، وتطبيقها في السلوك ثم لا تزيده المحن والفتن إلا تمسكاً بها وإصراراً عليها (2) «يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» (3).

ص: 26

1- محمد قطب : دراسات قرآنية ص 428

2- عبد الرحيم فودة : من معاني القرآن ص 25.

3- سورة آل عمران: 114.

فالإيمان الذي نعتبره عقيدة ، هو في الحقيقة سلوك واقعي وإلا فلا قيمة لهذا الإيمان . والسلوك العملي التي هي حقيقة الإسلام وثمرته لا تتم بغير تربية عملية يبذل فيها كل الجهد لكي تؤتي ثمارها المرجوة بتوفيق من الله . كذلك كان يفعل الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) معطيا من نفسه القدوة والأسوة حتي ربي الجيل الأول من المؤمنين صحابته ، فتفتحت قلوب البشر للإسلام حين رأوا سلوكه العملي وأخلاقه العالية ممثلة في تصرفات هؤلاء القوم وأفكارهم ومشاعرهم، والطريق هي الطريق لا تتغير ولا تتبدل . فإذا تخلي المسلمون عن تعاليم دينهم، فقدوا مكان القيادة الذي أهلهم الله لها، بل فقدوا مقومات وجودهم حتي في حدود ذاتهم، فلا سبيل إلي الحياة الكريمة التي وعد الله المسلمين بها إلا التمسك بهذا الدين الكريم ومبادئه العظيمة، يتفهمونه ويطبقونه ويعيشونه.

«إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (1).

فالإنسان المؤمن مكلف في الأرض بإقرار منهج الله لتكون كلمة الله هي العليا ويكون النظام الرباني هو القائم بين الناس. ولذا كان لا بد من جهاد لإقرار منهج الله . جهاد يحرم الإنسان حتي من المتاع المباح، ويعرضه الآن يفقد ماله أو راحته أو أمنه أو أهله. بل قد يعرضه للتعذيب والتشريد، وقد يعرضه للموت بوسيلة من وسائل القتل. فماذا يعرض المؤمن عن ذلك كله ، ويغريه بتحمل العذاب في الحياة الدنيا بشتي صنوفه؟ إلا ذلك الإيمان الجازم بأن كل حرمان يتعرض له في الأرض - في سبيل مرضاة الله - جزاؤه النعيم الخالد الذي لا ينفذ، وماذا يمنعه من التقاعس - خوفا من عذاب الأرض؟ إلا الإيمان الجازم بأن عذاب الله عن هذا التقاعس هو العذاب الأشد الذي يجلب عن الاحتمال (2).

ص: 27

1- سورة الرعد: 1.

2- محمد قطب: مرجع سابق ص 138 .

«إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوَارِثِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (1).

فكل عمل يقوم به الإنسان ابتغاء مرضاة الله و بدافع الإخلاص وامتثال أمره وطاعته، هو وسيلة إلى التقرب إلى الله والوصول إلى أعلي مراتب اليقين ودرجات الإيمان ، حتي لو كان هذا العمل جهادا وقتالا وحكما وإدارة وتمتعا بطيبات الأرض وتحقيقا لمطالب النفس . وكل عبادة وخدمة دينية - بالعكس من ذلك تعتبر دنيا إذا تجردت من طلب رضا الله سبحانه والخضوع لأوامره ونواهيهِ وغشيتها غاشية من الغفلة ونسيان الآخرة، ولو كانت صلاة مكتوبة وهجرة وجهادا، وذكرًا و تسبيحا و قتالا في سبيل الله « إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » (2) .

فحياة المؤمن ليست مجموعة وحدات متفرقة مضادة، بل هي وحدة تسيطر عليها روح العبادة والاحتساب ، ويقودها الإيمان بالله والإسلام الأوامره، وهي تشمل الحياة كلها وميادين الكفاح كلها، وأصناف العمل كلها، إذا تحقق الإخلاص، وصحت النية، وأريد بها وجه الله، وكانت علي النهج الصحيح الذي جاء به الأنبياء (3) .

ويذكر «محمد قطب» في كتابه : «دراسات قرآنية» متناولا موضوع القضاء والقدر، فيقول (4) : «إن السلوك الإيماني الصحيح هو التسليم لقدر

ص: 28

1- سورة التوبة : 111 .

2- سورة الأنعام 163 .

3- السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي : السيرة النبوية ص 402 .

4- محمد قطب : ص 83 - 98

الله . ولكن هل هو القعود عن العمل والقعود عن تغيير الواقع السيء لأنه قدر من عند الله لا تنبغي مقاومته؟ والجواب ، لا . فالتغيير يسعي إليه بأمر الله ، وهذا الأمر قائم من ذلك الحين ومستمر إلي أن تقوم الساعة ، لم يطرأ عليه تعديل ولا تبديل . والله لا يطالب الناس بالتغيير أمدا معينا ثم يبطل بعد ذلك الأمر ليحيي بدلا منه التسليم للواقع السيء والقعود عن تغييره ، ولكن الله يقول : «وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَدَّ يَرْيَ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» (1) ويقول أيضا : «وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» (2).

ويقول أيضا جل شأنه : «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ» (3).

إنما التسليم لقدر الله ومعناه، فهمه الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) وفهمه منه الصحابة (رضي الله عنه) فكانت منهم تلك الأمة الفريدة التي وصفها الله بقوله : «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» (4) والتي صنعت بإيمانها بالله وقدر الله ، ذلك التاريخ الفذ في تاريخ البشرية كله . فهم منه الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) أنه يجاهد ويجاهد ويجاهد . ثم حين لا يؤمن فريق بعد هذا الجهاد كله، فذلك قدر من الله لا حيلة له فيه ولا مسؤولية عليه .

ولكن لا يعني هذا أن يكف عن الجهاد والدعوة إلي الحق، ولكن ليخفف الألم الذي يسببه إعراض المعرضين ، ثم يمضي في طريقه لا يكف لحظة عن الجهاد . فإذا تلقى التعذيب والتشريد، كان قدره أن الله شاء أن يتليبه فيصبر ولا تتحطم روحه تحت الضغط ولا يتخلي عن عقيدته ولا عن التصميم عليها، حتى يغير الله ما بهم بقدر جديد فينصرهم علي أعدائهم»

ص: 29

1- التوبة : 105 .

2- آل عمران : 139 .

3- آل عمران: 139 .

4- آل عمران : 110 .

فالمعني الصحيح للإيمان بقدر الله خيره وشره : هو دفعة هائلة للحركة والجهاد في واقع الأرض، وعندما بدأت الأمة تنحرف عن التصور الصحيح للإسلام وتنحرف عن السلوك الصحيح، فقد وقع ذلك الانحراف في عقيدة القضاء والقدر الذي يحسبه الجهال هو الإسلام.

فرحمة الله تحيط بقلوب المؤمنين المستسلمين الله ، المسلمين قلوبهم له، والمطمئنين في رحابه . وحين يسلم الإنسان نفسه كلها لله ، لا تعود نفسه هي التي تهمة ، إنما يكون دين الله هو الذي يهمة ، وتكون نفسه مستسلمة القدر الله وراضية بما يصيبها في سبيل الله مدركة في ذات الوقت أن هناك حكمة وراء قدر الله سواء عرفها الإنسان لوقتها أم لم يعرفها .

والاستسلام لقدر الله ليس معناه الاستسلام للهزيمة أو للظلم الذي يقع علي الإنسان في الأرض من الجبارين . والطغاة، وليس معناه العجز والعود، أو ما يفهم الناس من اللفظ، السلبية الكاملة تجاه الأحداث، إنما معناه ، الرضي النفسي بما يأتي من عند الله بعدما أدي الإنسان واجبه جهادا وعملا- وتوكلا علي الله وأخذ بالأسباب ، ثم العودة في ذات الوقت إلي الجهاد والعمل والتوكل علي الله ، انتظارا لقدر من الله جديد، ورجاء في قدر من الله جديد. فلا يحطم الظلم روح الإنسان، لأن في حس الإنسان المؤمن أن هذا ابتلاء من الله له، له عليه الثواب الضخم، فلا يقعد عن مجاهدة الظلم ، لأن الله أمره بمجاهدته، ولأنه دائما يطمع في عون الله كلما جاهد في أمر من الأمور. « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ» (1)

ولكي يتمكن الإنسان المؤمن ، من تطبيق المبادئ والأوامر الإلهية

ص: 30

والدعوة إليها، كان لا بد من الحرية . حيث دعا الإسلام إلى حرية الرأي ، وأعلن إطلاق هذه الحرية دون تقييد بوسيلة هذا الإعلان :
«وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (1).

أولئك هم أصحاب فلاح، لأنهم حققوا لأنفسهم مستوي ارتفعوا به فوق الشبهات فتركت نفوسهم ونمت إنسانيتهم ، وليست تزكية النفس ونماء الإنسانية في الإنسان إلا بمقدار ما يستطيعه الإنسان من حرية يمارسها واختيار وإرادة يمكن أن يوجه بها ما يختار ويشاء. فالآية توجب علي الإنسان أن يجاهر إلي الخير ويجهر بالنهي عن كل شيء وقررت أن من لم يفعل ذلك فهو ليس من المفلحين. وللإنسان المؤمن الحق، إذا استشعر بالظلم أن يجهر بصوته ولو بسوء القول حتي يلفت إليه النظر وإلي مظلمته، ما دامت قد انصرفت عنه ممن كان يجب عليهم الاستماع إلي شكايات الناس : «لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا» (2).

«الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» (3).

فهداية القرآن تقود الناس إلي أن يكونوا إنسانيين فيما جعله إنسانا وفيما خلقه حيواناً . والإنسان لا يصلح أن يكون خليفة الله في الأرض، فخلافته علي هذه الأرض مقرونة بالصراع بين الخير والشر، بين الحكمة والهوي، بين العقل والغرائز، وبنجاحه في هذا الصراع بأن يكون في جانب الخير إذا

ص: 31

1- سورة آل عمران : 104.

2- النساء : 148.

3- الحج : 41.

تمكن من القدرة علي إدراك تمييز الخير من الشر، وقوة الإدراك علي اختيار الخير دون الشر، وحدوث العزم والتصميم علي تنفيذ الخير دون الشر. وهذه القدرات والاستطاعات لا- تتوفر له إلا- إذا توفرت له الحرية، ولن تتوفر له الحرية إلا إذا تحرر وتخلص من رق الغرائز والشهوات. ويكفي إذلالا- للإنسان وامتھانا لكرامته أن يكون تابعة باستمرار وطيعا لما لا يتخلص منه ، ولما يقوده حتما إلي الهلاك. فأبي كرامة للإنسان إذا فقد حرّيته؟ وأية حرية للإنسان إذا استجاب كرها لشهواته وغرائزه؟ فأية إنسانية إذا فقد حرّيته وكرامته؟ ما كان للإيمان بالله إلا أن يكون الإنسان إنسانا و يبقى إنسانا . فحين ينظر الإنسان فيري الخير والشر يصطرعان ، ويشهد معركة الرذيلة والفضيلة ، والشر عارم والرذيلة متبجحة ، وكثيرا ما ينتصر الشر علي الخير ، وتعلو الرذيلة علي الفضيلة ، وحينما يستيقظ ضميره يعز عليه ألا تكون للخير كرة وألا يلقي الشر جزاءه. وما من دعوة دينية جاء بها نبي، أو خطة إصلاحية هتف بها مصلح، إلا وهبت لمقاومته الأعاصير والرياح، وحيكت من حولها الفتن السود، وتداعت لمناوأتها قوي البغي والطغيان وقوي الشر.

وتتعدد قوي الشر، منها التقليد الجامد البليد، الذي عرفه بعض الناس وألقوه وحمدوا عليه ، فلم يقبلوا فيه تعديلا ولا تبديلا .

ومنها الوضع الاجتماعي الفاسد، الذي ينتفع به الفاسدون المفسدون ويرون فيه وفي الدفاع عنه دفاعا عن مناصبهم ومصالحهم.

ومنها أيضا الشهوات الطامحة الجامحة التي لا تعرف غير حاجتها ولا تستهدف غير متعتها.

ومنها كذلك، الجهل المعتم المظلم الذي ينحدر به العقل ويتحجر به القلب ويموت فيه الضمير .

كما أن منها، العناد الذي يغذيه الغرور والشعور بالكبر، ويتعهده

الشيطان فينفخ في صاحبه روح الشر ويقوده الهوي إلى البغي والعدوان (1).

هذه الآفات والأمراض تتراكم علي نفوس بعض الناس حتي تسد عليهم منافذ الإحساس فلا يبصرون بأعينهم نور الحق ، ولا يسمعون بأذانهم صوته ، ولا- يفكرون بعقولهم فيه ، فهم كما يقول سبحانه وتعالى عنهم : « وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ » (2).

وقوي الشر، يكون جل همها، الفساد في الأرض، أي إتلاف ما فيها من نبات أو حيوان أو إنسان أو كلها، وذلك بإشعال نار الحروب وإثارة الفتن وحياسة الدسائس .

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تَسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ » (3).

فالذين ينقضون ما أبرمه الله من أوامر، وأحكمه من وصايا، والذين يقطعون صلتهم وصلة الناس بالله ، وصلة الناس بعضهم ببعض، فيمشون بالنمائم لإثارة سموم الخصام، وقطع أواصر الأرحام، ويسعون بين الجماعات بعوامل الفرقة والمنازعات حتي تنحل الروابط ويختل النظام وتضعف الأمة، والذين يفسدون في الأرض بالفتن والدسائس يثيرونها بين الأفراد والجماعات، وبالحروب التي يضمرون نارها بين الأمم والشعوب التهلك الحرث وتفتك بالنسل، وتشر الهلع والفرع حيث يكون الأمن والسلام، هؤلاء هم الذين خسروا الدنيا والآخرة ، لأنهم استبدلوا النقص بالوفاء ، والقطع بالوصل، والفساد بالإصلاح، والعقاب بالثواب .

هؤلاء هم الفاسقون الذين يضلهم الله بالشبهات، ثم لا يكون من

ص: 33

1- عبد الرحيم فوده : المرجع السابق ص 42.

2- سورة فصلت: 5.

3- سورة البقرة : 12.

الضلال إلا الخسران الدائم اللازم في الدنيا والآخرة .

« أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ » (1).

فهم الذين آثروا النفاق والفساد في الأرض والخداع والجري وراء الأطماع .

« الَّذِينَ يَتَقَضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » (2).

وهنا حينما يتعدي الإنسان حدوده الطبيعية، وينسي القيم الخلقية كليا، أو يكفر بها صراحة، ويتغافل عن كل غاية نبيلة، ومقصد شريف، وعن كل واقع وحقيقة غير الحقائق المادية، وتحقيق مآر به الجسدية وإرواء ظمئه الحيواني وتتكون في جسمه معدة خيالية أو صناعية، ونفس أمارة بالسوء لا يقر لها قرار ولا يضبطها وازع أو رادع، وحينما تصيب الإنسانية نوبة شديدة من الجنون، يبعث الله لها جماعة من الجراحين أو عصابة من السفاحين تقضي عليها وتقطع دابرها وتستأصل شأفتها (3).

لأن هذا الإنسان هو كما يقول الله سبحانه « إِنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا » (4).

فالبغي الذي هو العدوان وهو من قوي الشر، هو عدوان الإنسان علي نفسه أولا يظلمها، وعلي مجتمعه الأصغر بعد ذلك بالتباعد عنه، وعدم الترابط به، والإحساس بشعور من فيه، ثم علي مجتمعه الكبير بعد ذلك،

ص: 34

1- سورة البقرة : 16.

2- سورة البقرة : 27.

3- السيد أبي الحسن الندوي : مرجع سابق ص 402.

4- سورة المائدة : 32.

بالبغي علي الغير، وتشجيع الغير علي البغي ليظلم ويعتدي كل قوي أو قادر علي ضعيف غير قادر .

والبغي هو العدوان والظلم والتحكم المقيت ، والظلم فاحشة الفواحش ولعنة اللعنات، ومن أبغض ما حرم الله ونهي عنه. وإن أفضعه وأقساه ما كان عدوانا علي الحرمات والحقوق. فهو في هذه الحالة لعنة تطارد الإنسان في دنياه ، وتلتصق به في آخرته، فتسود صفحته وتمحوه سيئاته ، وتقربه من عذاب جهنم وبئس المصير .

ولذا، كان لا بد من الوقوف أمام هذه المفسدات، ومنعها من الانتشار والتحكم في الناس ، فقد وجب قطعها وموتها في سبيل المصلحة العامة للمسلمين. فالأخلاق القرآني لا يقبل بهذه الأمور وهذه التصرفات .

ولهذا كان لا بد من العدل، فالعدل هو لب الشريعة للمجتمع الإسلامي وركيزة أحكامه ، والعدل هو الإحساس الكامل بالأمان، والقوة الدفينة الخفية التي تشعر الإنسان بالطمأنينة علي نفسه وماله. ومن أجل هذا أوصي الله تعالي بالعدل وأمر به مرة بعد مرة ، لأنه من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية التي أقرت العدل وجعلته أمرا ربانيا ليعطي أكمل صورة عن المجتمع العادل المثالي: (1) « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يُجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نِ قَوْمِ عَلَيَّ أَلَّا تَعْدِلُوا، أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، وَاتَّقُوا اللَّهَ » (2).

والإنسان مطالب بالعدل علي شتي صورته، فمجتمع الأمة التي خلقها الله بعد أن يكون مجتمعا يساق ويدفع من خارج أفرادها، وأصبح معبرا عن المجتمع الإنساني الذي تسوده خصائص الطبيعة الإنسانية ، ويطلب أن

ص: 35

1- سنية قراة : الرسائل الكبرى ص 368.

2- سورة المائدة : 8.

يكون العدل في المجتمع بين المؤمنين في الحكم والقول، ويتشدد في طلب ذلك بحيث لا يتأثر بمحسوبة ولا هوي ن «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ» (1).

ويكون الجهاد والقتال والتعرض للموت في سبيل الله هو الأداة التي لا غناء عنها لإقامة الحق والعدل الرباني في الأرض، فلا بد إذن أن تخلص هذه القضية تماما في نفوس المؤمنين حتي لا يحجزهم حاجز عن القتال في سبيل الله . «لَئِنْ قَتَلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَاتُمْ لِمَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» (2).

إن الموتى في سبيل الله لم يموتوا أبدا ولا يموتون أبدا ، أحياء عند ربهم، وأحياء في الأرض كذلك ، «وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرِزِقُونَ» (3).

كل الناس يموتون فتذهب ذكراهم بعد فترة تطول أو تقصر بمجرد أن يذهب الجيل الذي كان يعاصرهم من الناس. فهل يذهب ذكر الشهداء من الأرض؟

هل ذهب ذكر حمزة وعلي والحسين؟ وألوف غيرهم من الشهداء؟

هل ذهب ذكر المواقف التي استشهدوا فيها والبطولات التي سجلوها؟ أم أنها باقية للأجيال ، لكل الأجيال ، تتملاها كأنها هي حاضرة اللحظة؟

كلا. لا يموت الشهداء أبدا . ويذهب الطغاة فيموتون. ويتحولون علي الأكثر، إلي أسطر باهتة في كتب التاريخ .

ص: 36

1- سورة الحديد : 25

2- سورة آل عمران : 157.

3- سورة آل عمران : 169

ولكن الشهداء الذين قتلهم أولئك الطغاة لا يذهبون، لأنهم لا يموتون ويظلون ذكري حية في قلوب الأجيال ، لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، ولأنهم قدموا في سبيل الله عملا باقيا لا يموت .

إن الحياة التي هي معقد كل أمل، ومناطق كل رجاء، ومرجع كل ما تطمح إليه الهمم، وتتجه نحوه العزائم، زمامها بين من أوجدها وهو الله سبحانه وتعالى.

والموت وهو عدم الحياة ، ومصير الأحياء، وطيف الخوف الذي يعرض للإنسان في كل آن ، فيخشاه ويتوقاه ، هو كذلك بين القاهر والقادر علي كل شيء وهو الله سبحانه .

والأحياء بعد الموت للنشور، وبعث الموتى من القبور، حيث يثاب المحسن ويعاقب المسيء، ويقتص للمظلوم من الظالم، وهو كذلك من عمل الله .

فمعني ذلك أن يراقب الإنسان ربه في كل حال من أحواله، وعمل من أعماله فيؤمن بوجوده معه أينما كان ويعمل ما ينفعه في دنياه وآخرته، « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » (1).

وما نود تأكيده، أن الجهالة وصلت بالمسلمين إلي أن :

يطيعوا المتسلطين عليهم الذين لا يحكمون بما أنزل الله زعما بأن الله هو الذي أمرهم بذلك : « وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا، قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ، اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (2) .

فالمسلم أو المؤمن لا يمكن أن يطيع أي حاكم مسلط عليه ، ولكنه

ص: 37

1- سورة الشعراء : 89.

2- سورة الأنعام : 28.

يطيع الحاكم المؤمن أو العادل ، حيث إن الحكام أو أولي الأمر منكم «ليسوا أي أناس يحكمون المسلمين ، أو ينصبون أنفسهم ليكونوا حكاما . إنما هم ضرورة ينبغي أن يكونوا من المسلمين ، من الجماعة المسلمة، أي من المؤمنين ، فالخطاب الذي وجهه الله تعالى هو أصلا للذين آمنوا « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » . فحين يتولي أمر المسلمين بالجبر والغصب قوم غير مؤمنين لا- يحكمون بما أنزل الله علي الناس فإن الله لا يأمر بطاعتهم علي الإطلاق ، بل إن سبحانه يأمر بعدم طاعتهم ومحاولة إنهاءهم والتخلص منهم. فيكون علي الناس السمع والطاعة فيما يجتهد ولي الأمر المسلم الذي يطبق الشريعة (شريعة الله) بشرط إلا يخالف نصا ولا قاعدة عامة من قواعد التشريع «وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» (1).

والجهاد والقتال في الإسلام إنما يكون في سبيل الله ولا شيء غير سبيل الله ، وهذا هو العنوان الدائم له في القرآن والحديث .

«فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» (2) .

فإنسان عليه أن يعيش حياته وهو لا يهاب الموت ولا يخشاه ، بل يجد فيه بغيته وما يتمناه ، وبدلا من أن يعيش كما يعيش الناس خائفا فزعا من الموت نجده ينتظره ويترقبه ، إنه يعرف أن فيه السعادة والهناء، فبالموت يتم اللقاء، وهل يخشي الحبيب لقاء حبيبه (3) .

ص: 38

1- سورة النساء : 69-70.

2- سورة النساء : 74.

3- محمد قطب : مرجع سابق ص 479.

فإذا امتلأت نفس الإنسان بالإيمان بالله . وعمر قلبه بهذا الإيمان وبقوته التي لها وحدها الرعاية وأخذت نفسها الدفاع عن المؤمنين « إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ » فلا يهزها سبب من الأسباب التي يخشاها الآخرون، ولا يضعفها في الإقدام وهم من الأوهام التي تأخذ بنفوس غير المؤمنين . ويصف الله سبحانه نتائج إيمان تلك النفوس ويضع في مقدمتها : عدم الخوف من شيء يواجهها، وعدم الحزن علي أمر يفوتها، فهي قوية في استقرارها وفي إقدامها وفي بلوغها إلي أهدافها. وما كانت لهذه النفوس المؤمنة هذه القوة، ولهذه النتائج من الظفر، إلا أنها أخلصت لله في إيمانها ، فلم ترفي طريق الحياة ما يخيفها، ولم يقع في تصورها من وهم يزعجها أو يقلقها (1). فليس هناك إيمان بالله علي سبيل الحقيقة إلا ويستتبع حتما عدم الخوف وعدم القلق « يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ » (2).

« أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ » (3).

تربية الحسين القرآنية :

وهكذا كان الحسين بن علي (عليه السلام)، الرجل المسلم المؤمن الذي لا يستطيع الشيطان أن يسيطر عليه ولا أعوان الشيطان وأولياؤه : «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ» (4).

ص: 39

1- محمد البهي : الدين والحضارة الإنسانية ص 265

2- سورة آل عمران : 171 - 172.

3- سورة يونس : 62.

4- النحل : 99.

وهو كان ينظر إلى الدنيا بمنظار غير الآخرين الذي يقول عنهم الله عز وجل، بأنه: «رَزَيْنَ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ . ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ» هذا هو سر ابتعاد من يريد متاع الحياة الدنيا عن الإسلام.

والحسين لا يريد أن يبتعد عن الإسلام، بل يسعى إلى التقرب إليه وبشدة لا نهائية، فهو يتخوف من انهيار المبادئ الإسلامية، فيتراجع المسلمون ويتأخرون كما حدث ويحدث الآن، يتقدم غيرنا ونتراجع نحن المسلمين .

فالحسين (عليه السلام) عرف القرآن وقرأه جيدا وفهمه. فهو وإن قرأه ليكتب الله علي قراءته له الأجر، طالما كان التوجه فيها إلى الله والرغبة فيها إلى الله، ولكنه عرف أيضا أن الأجر يتفاوت ولا شك علي قدر ما في التلاوة من التدبر الذي أمر الله به، وعلي قدر ما يؤدي التدبر إلى الغاية المطلوبة منه، فليس التدبر غاية في ذاته، إنما هو وسيلة لأمر عظيم يراد: «فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا نَقَّشَ عَرُّ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ» (1).

ذلك هو الأمر العظيم الذي يراد: أن يتحول الاستماع إلى القرآن وتلاوته والتأثر الخاشع به إلى «هدى»، إلى سلوك ملتزم بما أنزل في الكتاب، أي بعبارة أخرى، يتحول إلى منهج حياة .

ص: 40

والحسين هو المسلم المؤمن بأركان الإيمان : اعتقاد الحق والإعراب عنه ، ومطابقة العمل له . فهو من أصحاب العقائد القوية التي يتقون فيها، ويرتاحون إليها، ويعربون عنها، ويحرصون علي تحقيقها في العمل وتطبيقها في السلوك، ولا تزدهم المحن والفتن إلا تمسكا وإصرارا عليها .

فقد تمسك بالدين الكريم ومبادئه العظيمة تأسيا برسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) وتفهمه وطبقه بعد أن عايشه .

وكأي إنسان مؤمن بالله ، ومكلف بإقرار منهج الله، قام بواجبه تجاه هذا المبدأ السامي الكريم، لتكون كلمة الله هي العليا، ويكون النظام الرباني هو القائم بين الناس . وهو من المسلمين لقدر الله ، ولكن دون القعود عن العمل والقعود عن تغيير الواقع السيء . ولكن فهمه من الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) بأن يجاهد ويجاهد ويجاهد، دون أن يكف عن الجهاد والدعوة إلي الحق ، دون الخوف من التعذيب أو التشريد . فقد الله أن يبتليه ، فيصبر ولا يتخلي عن عقيدته ولا عن التصميم عليها، حتي يغير الله ما بهم وينصره علي أعدائه .

فإذا كانت عقيدة القضاء والقدر، هي السعي الدائم لتنفيذ أوامر الله ثم التسليم بما يقع بالفعل علي أنه قدر من الله ، لأن لا يتم في الكون كله إلا- ما أراد الله وقدره ، فإن معناه عنده ، ليس الكف عن المضي في الطريق ، بل معناه أن الصدمات لا تحطم قلوب المؤمنين حين يصطدمون بقدر من عند الله لا يجلب لهم الخير الذي يحبون، إنما يجلب لهم الضرر، وإنما يقومون بصدمتهم بذات العزيمة فيمضون في الطريق في انتظار قدر جديد من عند الله.

ولذا، أقر الجهاد لإقرار منهج الله ، ذلك الجهاد الذي يحرم الإنسان حتي من المتاع المباح، ويعرضه لأن يفقد ماله وراحته وأمنه وأهله .
فتعرض .

للموت وتحمل العذاب في الحياة الدنيا بشتي صنوفه في سبيل مرضاة الله ، بقوة ذلك الإيمان الراسخ بالله .

وهو قد عرف التصور الصحيح للإيمان بقدر الله خيره وشره ، بأنه دفعة للحركة والجهاد في الأرض ، حين بدأت الأمة بالانحراف عن التصور الصحيح للإسلام.

وهو الجهاد الذي قصد به وجه الله ، وأراد به إعلاء كلمته ، ورفع راية الحق ، ومطاردة الباطل ، وبذل النفس ، في سبيل مرضاة الله ، حيث لم يرد به شيئاً من حظوظ الدنيا، ولا ليحظي به منصبا ، أو يظفر بمغنم، أو يظهر شجاعة ، أو ينال شهرة . فهو قد سلم نفسه كلها لله ، فلم تعد نفسه هي التي تهمة ، بل إن ما همه هو دين الله فقط. فاستسلمت نفسه لقدر الله راضية بما يصيبها في سبيله . وهو الذي لم يحطم الظلم روحه، لأنه كإنسان مؤمن ، حس أن هذا ابتلاء من الله له، فلم يقعد عن مجاهدة الظلم، لأن الله أمره بمجاهدته.

وهو الذي كان يريد التقرب إلي الله . وكانت وسيلته في الوصول إلي ذلك ، العمل ابتغاء مرضاة الله ، مخلصا وامثالاً لأمره وطاعته. فأجاب دعوة الله تعالى : «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَيَّ الْحَيْرِ...».

فقد أراد أن يكون من المفلحين، وليس من أصحاب الاتجاه المادي في الحياة ، أي أن يكون من الذين تزكت نفوسهم ونمت إنسانيتهم.

فكان حرا واختار الحرية يمارسها، وإرادة يمكن أن يوجه بها ما يختار ويشاء. فقد كره الذل والاحتقار والمهانة، وتجنب أن يكون تابعة إلا لله.

وإذا كان الإسلام قد أعلن كرامة الإنسان وسموه، وإذا أعلن النبي (صلي الله عليه واله وسلم) أن الإنسان أعز وجود في هذا الكون. وأغلي جوهرة في هذا العالم ،

وأن الله رفع مكانة الإنسان حتي صار خليفته ونائبه ، خلق له العالم، فليس من الحق والعدل أن ينهض ملك أو حاكم يكتسح البلاد ويستعبد العباد ، ويضرب الرقاب ، ويهلك الحرث والنسل ، ويأتي علي الأخضر واليابس لتحقيق مأرب حقير في نفسه ، فإنه لا بد لهؤلاء الأشرار من رادع يردعهم ، ومن جراحين يستأصل شأفتهم ، ومن جهاد في سبيل الله يقومهم .

فالحسين هو أحد الجراحين الذي بعثه الله ليقضي علي الفاسقين ويقطع دابرهم، ويستأصل شأفتهم .

فهو الجراح والرادع والمجاهد، لمن؟

لهؤلاء الذين ينتفضون ما أبرمه الله من أوامر .

والذين يقطعون صلتهم وصلة الناس بالله ، وصلة الناس بعضهم ببعض .

والذين يثيرون سموم الخصام، ويسعون بين الجماعات بعوامل الفرقة والمنازعات، والذين يفسدون في الأرض بالفتن، والحروب بين الأمم والشعوب .

والذين ينشرون الهلع والفرع حيث الأمن والسلام.

والذين يكفرون بالقيم الخلقية ، والمهتمين بتحقيق المأرب الجسدية والظماً الحيواني، وذوي النفوس الأمارة بالسوء.

والذين تصيبهم نوبات الجنون، فيبغون علي المجتمع، ويشجعون الغير علي البغي.

والذين يحثون علي الظلم، ويشجعون الظالمين والمعتدين علي الضعفاء .

ص: 43

والذين «كأنوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون» (1).

فالحسين من المؤمنين الذين وقفوا أمام هذه المفسدات، وتصدي لها لمنعها، لأنه قد وجب قطعها وموتها، في سبيل مصلحة عامة المسلمين وغيرهم من البشر .

فهو يبغى أن ينفذ أمر الله ، بإقامة العدل والدعوة إليه بشدة لأن الإنسان مطالب به علي شتي صورته.

فجاهد وقاتل وتعرض للموت في سبيل إقامة هذا الحق والعدل الرباني في الأرض ، دون خوف من الموت ، لأن الموتى في سبيل الله لا يموتون، بل هم أحياء عند ربهم، وأحياء في الأرض كذلك ، حيث لا تذهب ذكراهم مطلقا، فلا يموت الشهداء، ولكن يموت الطغاة.

فالحسين هو ذلك المؤمن الذي لا يستطيع أن يطيع الحاكم الجائر المتسلط علي رقاب الناس ، ولكنه يطيع الحاكم المؤمن والعاقل .

فهو لا يطيع من يتولي أمر المسلمين بالجبر والغصب ، لأنه ليس من المؤمنين ولا يحكم بما أنزل الله . ولكنه يطيع ولي الأمر الذي يطبق الشريعة ، ولا يخالف نصا ولا قاعدة من قواعد التشريع الإلهي .

وهو في سبيل ذلك لا يهاب الموت ولا يخشاه ، بل يرى فيه السعادة والهناء لأنه يؤمن بأن الموت لقاء الحبيب ، فهل يخشي الحبيب لقاء حبيبه؟ وهل هو إلا الموت فمرحبا به . فقد امتلأت نفسه بالإيمان بالله ، وبمصيره، والثقة بنفسه علي أن يدافع عن المؤمنين ، فلم يهزه سبب مما يخشاهم الأخرى، ولم يضعفه وهم من الأوهام، بل إنه استبشر بنعمة الله ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول (صلي الله عليه واله وسلم) .

ص: 44

ويمكننا إلقاء مزيد من الضوء علي موضوعنا بذكر مزيد من الآيات الكريمة تساعد في توضيحه وتفسيره :

أ- إن الإنسان المؤمن يتبع في حكمه وإدارته وقيادته ما أمره الله به :

1- «اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ» (1).

2- « وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ » (2).

3- « وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ » (3).

4- « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » (4).

5- « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » (5).

6- « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » (6).

7- « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (7).

ص: 45

1- الأعراف : 3.

2- المائدة: 49.

3- الذاريات : 19 - الشوري: 38.

4- آل عمران : 103.

5- المائدة : 44، 45، 47.

6- المائدة : 44، 45، 47.

7- المائدة : 44، 45، 47.

8- « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » (1).

9- « فِي تِلْكَ الدَّارِ الْآخِرَةِ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » (2).

10- « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ » (3).

« صدق الله العظيم »

ب - وهو ذلك الإنسان الذي يتوكل على الله ويضع كل همه في إقامة العدالة :

قال تعالى :

1- « وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا

« (4).

2- « اَعْدِلُوا هُوَ اقْرَبُ لِلتَّقْوَى » (5).

3- « وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى » (6).

4- « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (7).

5- « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » (8).

ص: 46

1- آل عمران : 31

2- النساء : 80.

3- الأحزاب : 23 .

4- الطلاق : 3

5- المائدة : 8.

6- الأنعام: 152.

7- النحل: 90.

8- النساء : 59

ج- وهو الذي يتخذ الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) أسوة فيما يعتنق من مبادئ ويظهر من الأفعال :

1- « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » (1).

2- « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » (2).

3- « وَمَن يَطْعُ الرِّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » (3).

4- « رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ » (4).

5- « وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ » (5).

د- ويكون مصير هذا الإنسان المؤمن العادل وجزاؤه في الدنيا والآخرة ما يقرره الله سبحانه وتعالى :

قال تعالى :

1- « وَمَن يَعْمَلْ مِثْلَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا » (6).

2- « تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا » (7).

3- « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (8) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى » (9).

ص: 47

1- الأحزاب : 21.

2- الحشر : 7.

3- النساء : 80.

4- آل عمران : 53.

5- النور : 52.

6- طه : 112.

7- مريم : 63.

8- النازعات : 40، 41.

9- النازعات : 40، 41.

4- « وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » (1).

5- « هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » (2).

6- « أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ » (3).

7- « يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » (4).

ه- هذا من جانب، وأما من جانب آخر، فإن الله سبحانه وتعالى يوضح مصير الإنسان الظالم، ووجوب مقاومته وكيفية ذلك، والظالمون هم كما يتبين من قوله تعالى :

1- « الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » (5).

2- « الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (6).

3- « وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » (7).

ص: 48

1- الزمر: 61.

2- المائدة: 119.

3- يونس: 62.

4- المجادلة: 11.

5- البقرة: 27.

6- التوبة: 67.

7- البقرة: آل عمران: 75.

4- « إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (1).

5- « يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » (2).

6- « مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا » (3).

7- « إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا » (4).

8- « وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا كَبِيرًا » (5).

و- وبيّن الحق تعالى مصير هؤلاء في قوله :

1- « إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا » (6).

2- « فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » (7).

3- « وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ » (8).

ص: 49

1- الشوري: 42.

2- الصف: 8

3- السائدة: 32

4- الأحزاب: 57.

5-

6- الجن: 23.

7- الزمر: 22.

8- إبراهيم: 42، 43.

4- « وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا أُوَاهُمُ النَّارُ » (1).

5- « فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ » (2).

6- « إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَابًا لَّا يَبِينُ فِيهَا أَحْقَابًا » (3).

7- « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » (4).

8- « ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذُرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا » (5).

9- « يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ » (6).

10 - « وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ » (7).

11- « وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ » (8).

12- « وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا » (9).

ز- وبعد، فهل ينبغي مقاومة الظلم والظالمين؟ وكيف؟ وما مصير المجاهد في سبيل الله؟ يقول الحق تعالى :

1- « فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي

ص: 50

1- السجدة : 20

2- النازعات : 37، 38، 39.

3- النبأ : 21، 22، 23.

4- الشعراء : 227.

5- مريم : 72.

6- الأحزاب : 66.

7- آل عمران : 57.

8- آل عمران : 192.

9- طه : 111.

سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ أَوْ يَغْلِبُ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا « (1).

2- « يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ « (2).

3- « إِذَا مَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ « (3).

4- « الَّذِينَ إِنْ مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ « (4).

5- « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ « (5).

6- « يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَيَّ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ « (6).

7- « وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُؤَ أَخْبَارَكُمْ « (7).

8- « أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ « (8).

ص: 51

1- النساء: 74.

2- آل عمران: 114.

3- الحجرات: 15.

4- الحج: 41.

5- التوبة: 111.

6- لقمان: 17.

7- محمد: 31.

8- آل عمران: 142.

- 9- « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » (1).
- 10 - « وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ » (2) .
- 11 - « وَالشُّهَدَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ » (3).
- 12 - « وَجِيءَ بِالتَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » (4).
- 13 - « وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ » (5) .
- 14- « وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » (6) .
- 15- « الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ » (7).

ص: 52

1- العنكبوت : 69.

2- محمد: 4.

3- الحديد: 19.

4- الزمر: 69.

5- البقرة : 154.

6- النساء : 95.

7- التوبة : 20.

الفصل الثاني: ثانيا - فكرة الثورة في الإسلام ومدى شرعيتها :

إشارة

ويتناول هذا الفصل الأجزاء التالية :

- المسلم في نظر السنة النبوية .
- موقف النبي (صلي الله عليه واله وسلم) تجاه الحكومة الإسلامية .
- الحكم أو الإمام في نظر الرسول (صلي الله عليه واله وسلم).
- الحاكم الجائر وإجازة الخروج عليه والإطاحة به، وكيفية ذلك .
- موقف الحسين في السنة النبوية .

ص: 53

يشعر المسلم في مجتمعه أن حقه منوط بحكم شريعة الله لا- بإرادة حاكم ولا قرابة كبيرة فلا يخضع البشريه للبشر، إنما يخضعون حاكمين ومحكومين الله وشريعته ، وينفذون حاكمين ومحكومين حكم الله وشريعته ، فيقف الجميع أمام الله رب العالمين علي قدم المساواة الحقيقية في طمأنينة وثقة و يقين . فالحاكم في الإسلام لا يمثل طبقة ولا بيتا ولا طائفة ، إنما هو رجل من المسلمين اختاروه بالشوري وبملاء حريتهم لينفذ شريعة الله ، لا شريعته الخاصة ، شريعة الله التي تسوي بين الجميع في الكرامة الإنسانية وحق الحياة. ونصيب الحاكم من هذه الشريعة هو نصيب كل فرد آخر من المسلمين ، لا امتياز له إلا حق الهيمنة والإشراف وحق السمع والطاعة من المحكومين ، طالما كان ذلك كله في حدود شريعة الله (1).

فالخلافة أو الإمامة تثبت للإنسان بطاعة الله والقيام بحق الأمانة التي كلفه الحق بها. وإذا كان الإنسان يولد عبدا لله - سواء اعترف بهذا أو كابر - فإن الإنسان لا يولد خليفة الله ، إنما يصير خليفة الله إذا أراد الله له ذلك والخلافة عن الله هي شرف الإنسان الحقيقي، وربما فقد الإنسان هذه

ص: 55

الصفة ولم يفقد صفة القوة، والسلطان أو البأس، غير أن القوة التي تبقى له تكون قوة بلا شرف: قوة عمياء لا تلبث أن تحطم نفسها علي مذبح عبادة الذات أو عبادة الهوي التي تمتليء بها الحياة (1).

فمن تجبر في الأرض واستكبر علي آيات الله والأنبياء، ونسي نعمة الله عليه، وجحد كما جحدت الأمم السابقة، انسحب منه قانون الاستخلاف فأبيد، ونجاه الموت من الحياة وطويت عليه الصفحة، ولا- يظلم الله تعالي أحدا إنما يظلم الناس أنفسهم « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » (2).

والحكومة الإسلامية تتميز بأنها حكومة دستورية أساس دستورها القرآن، فهي ليست حكومة استبدادية لأنها مقيدة بالقرآن، والشوري ركن أصيل في بنائها. وتستمد سلطانها من الجماعة، وتتقيد برأيها في تطبيق النصوص الشرعية التي مردها إلي كل مجتهد من المسلمين لا إلي طائفة بعينها من رجال الدين.

وهي أيضا حكومة شعبية يختار الحاكم فيها بمعرفة ممثلي الأمة ويقوم الحكم علي العدل والمساواة، وتطلق حرية العقول والأفكار، ولكن لا تترك مقاييس العدالة والمساواة لتضطرب مع أهواء البشر، بل لا بد أن تسير مع الخطوط الرئيسة لفلسفة الإسلام الفكرية والتشريعية (3).

وسياسة الأمة الإسلامية فيها توازن بين سلطة الحاكم وسلطة الأمة فلا يطغي أحدها علي الآخر، الحاكم له السمع والطاعة في المعروف، والأمة لها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح لولي الأمر.

ص: 56

1- أحمد بهجت: الله في العقيدة الإسلامية ص 297.

2- سورة العنكبوت: 39.

3- فتحي عثمان: الفكر القانوني الإسلامي ص 119.

ويذكر الفقهاء في تعريف الإمامة أو الخلافة ، إن :

(الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به).

والحراسة تعني : حفظ الدين وتنفيذه ، أي إبقاء حقائقه ومعانيه ونشرها بين الناس كما بلغها رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) وسار عليها الصحابة . وليس من حق الفرد المسلم أن يبدل دين الله ، حيث لا حق له في تضليل الآخرين وإفساد عقيدتهم.

وقال الفقهاء في ذلك : (إن علي الإمام حفظ الدين علي الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة) .

وتنفيذه : أي تطبيق أحكامه في سائر معاملات الناس وعلاقاتهم فيما بينهم ومع الدولة .

وسياسة الدنيا به : تعني إدارة شؤون الدولة والرعية علي وجه يحقق المصلحة ويدرأ المفسدة (1) .

فإذا كانت المناصب العامة أمانة في عنق الإمام يجب أن يضعها في أهلها، وأموال الدولة أمانة يجب صرفها في وجوهها، وما للأفراد والجماعات من حقوق مشروعة أمانة يجب تمكينهم منها .

الشروط الواجب توافرها في الخليفة أو الإمام (2):

1- الإسلام : فيشترط أن يكون الخليفة مسلماً .

2- العلم : أن يكون جامعاً للعلم بالأحكام الشرعية ، لأنه مكلف بتنفيذها،

ص: 57

1- الماوردي : الأحكام السلطانية ص 3- ابن خلدون في المقدمة من كتاب : عبد الكريم زيدان/ أصل الدعوة : ص 221.

2- أبو الحسن الماوردي : الأحكام السلطانية من كتاب : عفيف طيارة : روح الدين الإسلامي: ص 290.

ولا يمكن التنفيذ مع الجهل بها . والعلم قبل العمل، حيث إن العلم هو الذي يؤدي إلي الاجتهاد في النوازل والأحكام.

3- العدل : أن يكون عدلا في دينه ، لا يعرف عنه فسق ، متقيا لله ورعا، عارفا بأمور السياسة وشؤون الحكم، جريئا علي إقامة حدود الله لا تأخذه في الله لومة لائم ، شجاعا ، ذا دراية بمصالح الأمة وسبل تحقيقها مع حرص عليها وتقديمه لها. والعدل هو الحكم بما أنزل الله وإيصال الحكم إلي مستحقه .

« ويذكر القرطبي بصدد ذلك (1) :

« أن يكون الإمام عدلا ، لأنه لا خلاف بين الأمة أنه يجوز أن تعقد الأمة لفاسق .

ويجب أن يكون أفضلهم في العلم لقول الرسول (صلي الله عليه واله وسلم): « أئمتكم

شفعاؤكم فانظروا بمن تستشفعون».

وفي القرآن الكريم قال الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ » فبدأ بالعلم ثم القوة. ويقول: «الماوردي» في شرح إدارة شؤون الدولة والرعية ، بأن أوجه هذه السياسة الإسلامية التي يلتزم بها الحكم الإسلامي : العدل : فعلي الخليفة أن يقوم بما يلزم لتحقيق ، العدل ومنع الظلم، وأول ما يلزمه في هذا الباب : اختيار الموظفين الأكفاء والأمناء ومراقبتهم، فظلم الناس خطأ كظلم الناس عمدا من جهة لحوق الضرر بالمظلوم وكرهه للظالم، وفي الحديث جاء : (من لم يحمد عدلا ولم يذم جورا، فقد بارز الله تعالى بالمحاربة).

ص: 58

4- الاجتهاد : واشترطه بعض الفقهاء .

5- أن يكون من قریش : (الأئمة من قریش) . ولكن إذا كان القرشي عار من شروط الخلافة وآخر كان مستوفيا لها وهو غير قرشي، قدم المستوفي لها علي القرشي. لأن مقاصد الخلافة لا تتحقق بالقرشي وهو عاطل وعار من شروطها، وإنما تتحقق بالآخر الكفيء القدير، لأن الأصل العام في الولايات : لزوم توافر القدرة والكفاءة(1).

6- سلامة الحواس والأعضاء.

من يملك حق انتخاب الخليفة ؟

إما أن يقوم به أفراد الأمة الذين لهم حق الانتخاب مباشرة ، وإما أن يقوم بذلك أهل الحل والعقد، فيكون هذا انتخابا من الأمة عن طريق ممثلها ، فهو انتخاب غير مباشر.

فالأمة هي التي تملك حق نصب الخليفة قياما منها بهذا الواجب الشرعي الذي خوطب به المسلمون، والأمة صاحبة الحق في اختيار من تراه أهلا لهذا المنصب : (من اتفق المسلمون علي إمامته وبيعته ثبتت إمامته ووجب معونته) (2). فالبيعة هي بيع النفس للخليفة ، ومن ثم كان لزاما أن يتروى المرء كثيرا حتي يبيع نفسه ، فيم يبيع ولمن يبيع ؟

وفي تفسير الإمام الرازي : (إذا وقعت الواقعة اجتمعوا وتشاوروا فأثني الله عليهم). أي أنهم لا ينفردون برأي، بل ما لم يجتمعوا عليه لا يعزمون عليه (3) .

ص: 59

1- ابن حزم : الملل والنحل ج 4 ص 102.

2- المغني لابن قدامة الحنبلي ج 8 ص 17 - عبد الكريم زيدان : أصل الدعوة / ص 197 .

3- تفسير الرازي : ج 27 ص 177.

فإذا تقرر أن منصب الخليفة واجب بإجماع فهو من فروض الكفاية وراجع إلي اختيار أهل الحل والعقد يتعين عليهم نصبه ويجب علي الخلق طاعته . وأهل الحل والعقد هم المتبوعون في الأمة ، الحائزون علي ثقتها ورضاهما، لما عرفوا به من التقوي والعدالة والإخلاص والاستقامة وحسن الرأي، ومعرفة الأمور والحرص علي مصالح الأمة ، فهم ذات نفوذ كبير في الشؤون كافة ، وهي كثيرة الشبه بطبقة النواب لأنهم كانوا في موضع الثقة من الطبقات الإسلامية كلها.

فالأساس الذي تقوم عليه الخلافة هو أنها عقد حقيقي بين المنتخب وبين الجمهور، وليس أمعن في الديمقراطية من أن يتعاقد طرف مع طرف آخر علي شروط معينة بحيث إذا أخل أحد المتعاقدين بالشروط انحل العقد.

فاختيار الأمة لإمامها شرط لشرعية حكمه، فلا يصير إماما له علي الناس حق الطاعة ، إلا إذا بايعه أهل الحل والعقد الذين تختارهم الأمة من أهل العدالة والعلم والرأي، وتتبعهم في أمورها العامة وأهمها: اختيار الخليفة ومبايعته (1) فمجلس الشوري المنتخب من الشعب أقدر علي اختيار الإمام، كما حدث في اختيار الخلفاء الراشدين من أخذ البيعة الخاصة من أهل الحل والعقد قبل البيعة العامة .

فالشكل العام للحكم في الإسلام هو الشوري التي تعني الحرية في الرأي وتعني المشاركة العامة في الحكم، وكذلك هي عنوان حكم الشعب لنفسه . والشوري كما وردت في القرآن إنما تدعو طوائف الشعب كله لا فئة منه أو جماعة خاصة لتولي أمر الشوري، فالآيات القرآنية خاطبت أفراد الدولة جميعا : « وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى

ص: 60

1- فتحي عثمان : الفكر القانوني الإسلامي ص 138 - عبدالله العلايلي : الإمام الحسين ص 226.

بَيْنَهُمْ» (1). وقد اشترط الله تعالى في كتابه أن يكون (أولي الأمر منكم) أي من اختياركم أو ممثلين لكم، ولم يذكر (أولي الأمر عليكم) فنحن نعتقد أن الدين الإسلامي لا يفرض طاعة المستبد علي المسلم. فبالشوري يدعم الرأي السديد، ويعدل الرأي المعوج، ويكمل الرأي الناقص، ويهمل الرأي الفاسد.

الإمامة عند الشيعة، والشروط الواجبة فيها :

يلتقي الشيعة مع المذاهب الإسلامية كلها في الاتفاق علي فكرة الإمامة، ولكنهم يختلفون عنهم بأن الشيعة يرون أن منصب الإمام منصب إلهي كالنبوة، أي أن الله اصطفاه هذا دون غيره ليكون إماماً أو خليفة علي المسلمين. وقد وردت فكرة الإمامة في حديث عن النبي (صلي الله عليه واله وسلم) : من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية). ومن قوله تعالى :

«يَوْمَ تَدْعُو كُلُّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أَوتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَمُونَ فَتِيلاً» (2). والإمامة ترادف الخلافة، فاللفظتان تعبران عن معني واحد وهو: «الرياسة العامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن الرسول (صلي الله عليه واله وسلم)» (3).

إن خلافة الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) منصب هام وخطير للغاية لأن صاحبه يجمع بين السلطتين الدينية والزمنية، فينبغي والحال هذه أن يكون النص عليه بالاسم لا بالوصف، وبالتصريح لا بالتلويح.

ص: 61

1- سورة الشوري/38.

2- سورة الإسراء/71.

3- محمد كامل سليمان : الأيديولوجية الشيعية في رثاء الحسين ص 32

فالإمامة هي زعامة في أمور الدنيا والدين ، وهي نيابة عن الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) في حفظ شريعته من الزيادة والنقيصة وإقامة الحدود ودرا الفساد، وهي واجبة بعد النبي (صلي الله عليه واله وسلم) لثلا يضيع أمر دينه .

وقد منعت الشيعة إسناد أمر الإمامة ونصب الإمام إلي الناس كائنا من كان ، وقالوا نزولاً علي حكم الله وحكم رسوله (صلي الله عليه واله وسلم) أن أمرها مسند إلي الله تعالي وحده ، و يكون نصبه من عنده .

والفرق أن تعيين النبي (صلي الله عليه واله وسلم) بشخصه يكون بالمعجزة، وتعيين الإمام يكون بالنص من الله أو المعصوم. وهي عند السنة من الفروع لا من الأصول فوجوبها كفاية لا عينا إذا قام به البعض سقط وجوبها عن الكل. ولكن الولاية المحمدية عند الشيعة أصل وليست بفرع، لأن الولاية عملية قلبية داخلية ، والفرع موضوعه الأفعال الخارجية ، والفرع يثبت بالظن من خبر الواحد وظواهر الكتاب والسنة. والولاية لا تثبت إلا بالقطع والتعيين كغيرها من الأصول. والولاية المحمدية هي كل حق يثبت لرسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) علي المسلمين فهو بذاته ثابت للإمام المعصوم لأنه الممثل الشرعي للرسول (صلي الله عليه واله وسلم) في جميع الشؤون التي تقبل النيابة والتمثيل (1). فالإمامية تري بأن نصب الإمام يجب علي الله بحكم العقل ، لأن الإمام لطف من الله يقرب الناس من الطاعات ويبعدهم عن المعاصي. فالإسلام دين نزل من السماء بلا إرادة من الإنسان ، بل تلبية للمصلحة العليا، كما أن واضح هذا الدين خلق الإنسان بلا إرادة منه وإنما لمصلحته العليا، فالإسلام ليس نتاج رأي الإنسان بل جاء لتحديد رأي الإنسان ، وجدير بمثل هذا الدين أن تكون قيادته أيضاً معينة من قبل السماء لا منتخبة من عند الناس لأن الله الذي خلق الإنسان وأرسل نظامه لا بد أن يعين قاداته الذين ينفذون دينه في خلقه كما

ص: 62

1- محمد جواد مغنية : فلسفات إسلامية ص 158.

يشاء ، لا أن يترك قيادة خلقه لمن يختار ونه أو ترشحه الظروف كيفما كانوا أو شاءت (1) .

ويعتبر في الإمام :

1- أن يكون مسلما ذكرا بالغا .

2 - عالما عاقلا- ذا بصيرة ، فيكون أفضل أهل زمانه ، أي أفضل من راعيته في جميع صفات الكمال ، فهو أعلم الجميع وأزهدهم، عالما بدين الله كما نزل علي خاتم الأنبياء ، و يكون قوله وفعله وتقريره حجة ودليلا علي الحق تماما ككتاب الله وسنة رسوله (صلي الله عليه واله وسلم)، فيكون عالما بجميع أحكام الشريعة، حاملا- لعلم رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) وغير عاجز عن حل مشكلة من المشكلات الاجتماعية ، ولا يحتاج إلي الآخرين في شيء من علوم الشريعة مطلقا .

3- أن يكون كريما وشجاعا، بل أكرم وأشجع أهل زمانه، يدبر الأمور بحكمة في السلم والحرب ، وشجاعا يذب عن البلاد، ويحمي حوزة الدين، ويصمد عند الشدائد.

4 - وقد اتفق الشيعة جميعا - ما عدا الإسماعيلية والإمامية ، علي عدم وجوب العصمة للإمام، ولكن الإمامية تذكر بأن الأئمة كالأنبياء في وجوب العصمة عن جميع القبائح والفواحش من الصغر إلي الموت عمدا وسهوا ، فعليه أن يكون منزها عن النقائص ومنزها عن كل ما يشين .

5- وتعتقد الإمامية بإمامة اثني عشر فردا من آل الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) ويدل علي إمامتهم ما رواه السنة في صحيح البخاري وصحيح مسلم : (لا يزال أمر

ص: 63

1- السيد حسن الشيرازي : كلمة الإسلام ص 45.

الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قریش (1).

وقد جمع «علي عبد الرازق» في كتابه «الإسلام وأصول الحكم» ما قاله علماء المسلمين في تحديد الخليفة وسلطته بقوله :

(للخليفة عند المسلمين حق القيام علي دينهم، فيقيم فيهم حدوده وينفذ شرائعه، وله بالأولي حق القيام علي شؤون دنياهم أيضا، وعليهم أن يحبوه بالكرامة لها، لأنه نائب رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) وليس عند المسلمين مقام أشرف من مقام الرسول (صلي الله عليه واله وسلم). فمن سما إلي مقامه فقد بلغ الغاية التي لا مجال فوقها لمخلوق من البشر عليهم أن يحترموه لإضافته إلي الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) ولأنه القائم علي دين الله والمهيمن عليه، والأمين علي حفظه. والدين عند المسلمين أعز ما يعرفون في هذا الكون، فمن ولي أمره فقد ولي أعز شيء في الحياة وأشرفه. عليهم أن يسمعوا له ويطيعوا ظاهرا وباطنا، لأن طاعة الأئمة من طاعة الله، وعصيانهم من عصيانه، فنصح الإمام ولزوم طاعته فرض واجب وأمر لازم، ولا يتم إيمان إلا به، ويثبت إسلام إلا عليه.

وجملة القول، إن الإمام خليفة الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) وهو أيضا حمي الله في بلاده، وظله الممدود علي عبادته. ومن كان ظل الله في أرضه، وخليفة الرسول، فولايته عامة ومطلقة، كولاية الله تعالي، وولاية رسوله الكريم (صلي الله عليه واله وسلم). ولا غرو حينئذ أن يكون له حق التصرف في رقاب الناس وأموالهم وأبضاعهم (2).

هل يجب عزل الخليفة أو الإمام؟متي، وكيف؟

إذا كانت الأمة هي التي تختار الخليفة فلها حق عزله، لأن من يملك

ص: 64

1- محمد جواد مغنية: مرجع سابق /ص 400.

2- محمد جواد مغنية: المرجع السابق /ص 393.

حق التعيين يملك حق العزل. ويكون المبرر الشرعي لعزله :

في خروجه عن مقتضى وكالته عن الأمة خروجاً يبرر عزله .

وفي عجزه عن القيام بمهام الخلافة، وعجزه عن النظر في أمور المسلمين فيختار غيره ليقوم بمصالحهم. وكذلك في جنونه المطبق وعماه ، وفي تفریطه بمبدأ الشوري فهو من أهم مقومات نظام الحكم في الإسلام، به نطق القرآن ، وجاءت السنة وأجمع عليه الفقهاء، وهو حق للأمة وواجب علي الخليفة ..

ومن أقوال الفقهاء في هذا الأمر :

- للأمة خلع الإمام وعزله بسبب يوجب ، مثل أن يوجد منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين وانتكاس أمور الدين ، كما كان لهم نصبه و إقامته الانتظامها وإعلانها (1).

- ويقول الإمام «ابن حزم»:

« هو الإمام الواجب طاعته ما قادنا بكتاب الله تعالى وستة رسوله (صلي الله عليه واله وسلم) فإذا زاغ عن شيء منهما منع من ذلك وأقيم عليه الحد والحق ، فإن لم يؤمن أذاه إلا بخلعه، خلع وولي غيره» (2) .

- ويذكر الشيخ محمد عبده بأن :

« الأمة أو نائب الأمة هو الذي ينصب الخليفة، والأمة هي صاحبة الحق في السيطرة عليه ، وهي التي تخلعه متى رأت ذلك من مصلحتها، فهو حاكم مدني من جميع الوجوه ، وليس في الإسلام سوي سلطة الموعظة الحسنة (الدينية) والدعوة إلي الخير والتنفير من الشر، وهي سلطة خولها الله

ص: 65

1- ضياء الدين الرئيس: النظريات السياسية في الإسلام ص 270.

2- الملل والنحل لابن حزم ج 4 ص / 102.

الأدني المسلمين يقرع بها أنف أعلاهم، كما خولها لأعلاهم يتناول بها من هو أدناهم . (1)

وقال أبو بكر الصديق في خطابه يوم بيعته : «أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم».

وقال الطبري : «فلا طاعة واجبة لأحد غير الله والرسول أو لإمام عادل» (2) .

وقال البيضاوي : «أمر الناس بطاعتهم بعدما أمر بالعدل علي وجوب طاعتهم ما داموا علي الحق» (3).

- وذكر الرازي : «إن طاعة الأمراء إنما تحب إذا كانوا علي الحق» (4).

- وقال الزمخشري : بأن « المراد بأولي الأمر منكم أمراء الحق» (5) .

- ويقول عمر بن الخطاب : من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فإنه لا بيعة له هو ولا الذي بايعه .

وهو الذي قال : «الحمد لله الذي جعل في أمة عمر من يقومه بحد السيف» عندما قال له أحدهم : والله لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه

بحد السيف (6).

وعندما قال له رجل من المسلمين : اتق الله يا عمر، قال له : ألا

ص: 66

1- فتحي عثمان : الفكر القانوني الإسلامي / ص 144.

2- التفسير الكبير : ج 5 ص 89.

3- تفسير البيضاوي : ص 115.

4- مفاتيح الغيب : ج 3 ص 356.

5- الكشاف : ج 1 ص 375.

6- محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام ص 132 .

فلتقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها» .

- وجاء في تفسير القرطبي: (وقال ابن عطية: والشوري من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، فمن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب) فلا بقاء لحاكم مستبد في دولة الإسلام (1).

فالمشاوره حق للأمة وواجب علي رئيس الدولة ، والتفريط بها إلي حد تركها موجب للعزل، حتي إن العلماء قالوا: « لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم)».

فالتطاعة واجبة لأولي الأمر منكم، وهم أصحاب العلم بالكتاب (كتاب الله) وما دعا إليه الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) وهم الذين تربوا علي فهم كتاب الله وما نزل بالحق وطاعة هؤلاء واجبة فيما لا يخرج عن الكتاب وعن دعوة الرسول (صلي الله عليه واله وسلم)، وما جاء به الكتاب ودعا إليه الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) لم يكن إلا هداية بالحق وتمسكا به ودعوة للوحدة وعدم الفرقة وللقوة في جميع صورها ونبد الضعف في جميع أشكاله: «تلك حدود الله فلا تتعدوها، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون» . فإذا شذ عنها الإمام أو الخليفة ابتغاء مغنم لنفسه أو لأهل بيته أو طبقة من المسلمين دون طبقة ، سقطت طاعته.

فمعارضة الحاكم الإسلامي حين يخرج علي شريعة الله واجب محتم علي كل مسلم لا يتم إيمانه دون القيام بها، ويتهدده العذاب في الدنيا والآخرة إذا هو نكل عن أدائه . وقد أجمع المسلمون فيما ذكر «ابن عبد البر» أن المنكر واجب تغييره علي كل من قدر عليه (2).

وهكذا فقد قرر علماء المسلمين أن للأمة خلع الخليفة لسبب يوجبه

ص: 67

1- تفسير القرطبي : ج 4 ص 249.

2- تفسير القرطبي ج 4 ص 48.

وإن أدى ذلك إلى الفتنة احتمال أدنى المضرتين، لأن السلطة الإسلامية تستمد شرعيتها من أمرين :

1- إقامتها لشريعة الله ، فإن عدلت عنها أو عدلت بها، عدلنا بالسلطة أو عدلنا عنها، فيجب طاعة الله والرسول وتقديمها علي طاعة أولي الأمر. ولا خلاف في جهاد من منع بعض شريعة الله ، وأولي به من منع كل شريعة الله.

2 - رضي الناس عنها، فأولي الأمر لا يكونون منها بغير رضي، والإمامة عقد عند الفقهاء : عقد بين الإمام والرعية ، وأساس العقود الرضي . وتكون ولاية المتغلب ليست أصلاً فلا تجوز لأنها خروج علي قاعدة التراضي، ولذا حبد الفقهاء التخلص منها كلما كان ذلك ممكناً، وينتهي التراضي إلي الأمة كلها حين يصير لها أن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وأن تعزل حاكمها إن زاغ أو حاد (إنما الطاعة في المعروف فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) (1).

إن المشورة في نظام الحكم في الإسلام ذا أهمية بالغة ، فهي سبيل معرفة الرأي والصواب ، فبعرض الآراء ومقارنتها ومناقشتها يظهر الصواب غالباً كما أن بالمشاركة استفادة من خبرات الآخرين. وتجار بهم التي اكتسبوها في سنين وجهود وتضحيات. كما أن بها عصمة لولي الأمر من الإقدام علي أمور تضر الأمة ولا يشعر هو بضررها ولا سبيل إلي إصلاح الضرر بعد وقوعه ولا يرفعه كونه حسن النية ، وفيها تذكير للأمة بأنها هي صاحبة السلطان، وتذكير لرئيس الدولة بأنه وكيل عنها في مباشرة السلطان ، وفي هذا وذاك عصمة من الطغيان الذي هو من صفات الإنسان «كُلًّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ».

ص: 68

1- متفق عليه : علي محمد جريشة: المشروعية الإسلامية العليا، ص 268.

قال البخاري : وكانت الأئمة بعد النبي (صلي الله عليه واله وسلم) يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها (1).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

موقف السنة النبوية من الحكم الإسلامي .

ومن الحاكم الجائر؟ وكيف يجب عزله ومتي يتم ذلك؟

ينطوي الجهاد في الإسلام في أعماقه علي لون من أعظم ألوان الحب العميق للنوع البشري، فالمسلم يعتبر أن الأرض هي أرض الله التي استخلف الإنسان عليها، والمسلم خليفة في الأرض، وهو مسؤول بوصفه هذا أن يجاهد في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان .

المسلم مسؤول عن الشر الموجود في الأرض، والمفروض أن يقاومه .

والمسلم مسؤول عن إسلام النوع البشري، والأصل المفروض أن يحارب الأثم وكل صور الأثم، كالطغيان والفساد والخطايا هي معارك جهاد علي المسلم أن يرفع سيفه فيها.

فإذا كان الملوك والجبارين الطغاة يمنعون عن الناس ضوء الحقيقة ويمنعون الناس من الاتصال بالله وينتكسون إلي عبادة الطغاة والذهب ، فإن علي الإسلام أن يرفع سيفه وقرآنه . فالإنسان المسلم إذا كان لديه القوة لتغيير الحياة رفع سيف الجهاد ، فإن لم يملك القوة عليه أن يدعو الناس جميعا إلي الهداية . هذا الحب الذي انطوت عليه العقيدة الإسلامية ، هو المسؤول عن انتشارها كضوء الشمس في بداية الدعوة (2) .

ص: 69

1- تفسير القرطبي: ج 4 / ص 250.

2- أحمد بهجت : مرجع سابق / ص 297.

فالمؤمن راض عن نفسه ، عن وجوده ومكانه في الكون، لأنه يعلم أنه ليس ذرة ضائعة ، ولا كما مهملا ، ولا شيئا تافها ، بل هو قيس من نور الله ، ونفحة من روح الله ، وخليفة في أرض الله . والفرد المسلم بحفاظه للنظام الشرعي يتعبد الله كأنه يراه فيحس قوله تعالى : « وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ » . والإسلام يقف متفردا بجعل مقاومة الظلم وغيره من صور المنكر في المجتمع الإسلامي واجبا وليس مجرد حق ، فيحقق بذلك كفالة القضاء علي كل انحراف يظهر من جانب السلطة. فالسكوت كتمان ، وكتمان الحق حرام، والسكوت عن الحق شيطان أخرس، والسكوت إعانة علي المعصية . فإسقاط حقوق الحاكم والحاكم نفسه واجب علي المسلمين إذا توفرت الشروط كالقدرة ، فكل من قدر علي الامتناع وجب عليه وإلا تحقق فيه الإثم وحققت عليه المسؤولية باعتباره شريكا للحاكم في إثمه.

إن الشرعية الإسلامية تتأبي حكم الفرد، وكذلك تأبي حكم الأكثرية الجاهلية الناعقة .

ويحدث الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) عن الأمراء الظالمين : (فمن نابذهم نجا،

ومن اعتزلهم سلم أو كاد يسلم، ومن وقع في دنياهم فهو منهم) (1).

فقد يكون بتر عضو عاجلا لا بد منه لإنقاذ الجسم كله، وقد يكون إسقاط الحاكم أو عزله إنقاذا للنظام كله ، لأن بقاءه يهدد النظام نفسه. والفرد مهما كان موقعه ، يضحى به من أجل بقاء نظام يقيم شرع الله في الأرض ويعبد الناس رب العالمين .

قال النبي (صلي الله عليه واله وسلم) : (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا) (2).

ص: 70

1- علي محمد جريشة: المرجع السابق/ص 268

2- رواه أحمد ومسلم والترمذي.

فأثني الله عليهم : (رضي الله عنهم ورضوا عنه).

ولكل فرد الحق في أن يبدي رأيه فيما يري فيه المصلحة أو إزالة مفسدة (الأمر بالمعروف) ولا يجوز للخليفة أو لغيره من أولياء الأمور الانتقاص من هذا الحق ، كما لا يجوز للأفراد التنازل عنه أو تعطيله ، لأنه حق أوتوه من الشرع ليتمكنوا من أداء ما افترض عليهم من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ذكر الإمام مسلم عن النبي (صلي الله عليه واله وسلم) أنه قال : (الدين النصيحة . قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم).

فيكون النصح هنا خالصا للخليفة ، والخليفة سلطانه في الحكم مقيد بسultan الإسلام، والخليفة يستهدي بشرع الله ، فلا يعطي ولا يمنع ولا يقدم ولا يحجم إلا ببرهان من شرع الله ، وينفذ القانون الإسلامي بعدل ومساواة وجدية لا تمنعه من إقامة الشرع صداقة أو قرابة ولا أي معني من المعاني التي لا يعترف بها الشرع في مجال التنفيذ .

فالأمر بالمعروف هو الواجب الذي أمر به الدين أن يضرب علي أيدي الظالمين ، وأن نعترض علي كل تصرف شائن ، فإن انتصر الحق ، فيها، وإلا فإن الباطل إن بقي بعد ذلك ، بقي مكشوف السوء مزييا عليه ، فلن يحب أحد بقاءه مرضيا لرب العالمين ، كما ترمي إلي ذلك أوهام المرجفين.

وقد كان الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) يأخذ العهد من أصحابه أن يقولوا بالحق أينما كانوا ، وهو القائل :

(سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلي إمام جائر فأمره ونهاه فقتله).

والله سبحانه وتعالى محرم تحريما قاطعا ، الخروج عن نصوص

الشريعة، ويعتبر العامل بغير الشريعة كافرا وظالما وفاسقا :

« وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (1).

ولا شك أن العزل وسيلة لسياسة تصحيح الوضع ورد الحق إلي نصابه ، فالشريعة هي العدل من مصادرها وبتشريعها وتنفيذها ، تحرم الظلم وتحاربه، ابتداء من العدوان علي حدود الله وانتهاء إلي العدوان علي حقوق الأفراد. ومقاومة الظلم ليست مجرد حق ، بل هي واجب وفرض ، ولا بد أن تكون حاكمة «وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» فالحكم بين الناس بالعدل هو واحد من الأمانات الكبرى التي ينبغي أن تؤدي إلي أهلها ، وهم هنا الناس جميعا، وذلك لأهميتها البالغة في حياة الأمة المسلمة المكلفة بتطبيق العدل الرباني، ويبرزها لأنها تنير الطريق لكيفية أداء هذه الأمة لأماناتها . فالعدل الذي تأمر به الآية القرآنية لتطبيقه بين الناس ليس شيئا آخر غير شريعة الله ، والحكم بالعدل في حقيقته هو الحكم بما أنزل الله.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفائي يجب وجوده في الأمة ويجب علي المسلم القيام به وتأديته وإن أدي ذلك إلي قتله ، ويؤيد ذلك الحديث الشريف (سيد الشهداء حمزة، ورجال قال كلمة حق لسلطان جائر فقتله).

وهذا ليس إلقاء النفس في التهلكة، لأن الاستشهاد في سبيل الله مكرمة لا تهلكة ، فالإسلام من أوله إلي آخره دعوة عامة إلي البسالة والجرأة والتضحية والاستهانة بالموت في سبيل الحق. فليست الحياة هي ما نحيا

ص: 72

فيها، ولكن الحياة هي ما بعد الممات، وإن الإنسان إنما يعيش لتحقيق ما كتبه الله، وكل ما في الوجود إنما يتم بإرادة الله ، فلا يقع إلا ما شاء الله .

والمؤمن الذي يغمره الإحساس بالرضا بعد كل قدر من أقدار الله لا- يخاف الموت ، ويهون عليه أنه في سبيل الناس قبله من النبيين والصديقين والشهداء الصالحين ، فلا عليه إذا اقتفي أثرهم وسار في در بهم ، فالموت انتقال من حياة إلي حياة ومن طور إلي طور.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد أو باللسان ضرب من ضروب الجهاد المشروع، لما يترتب عليه من تقوية نفوس المحققين وخذلان المبطلين وإيقاف الظالمين عند حدهم (1). فالظلم ظلمات يوم القيامة وعاقبته وخيمة، والظالم مقطوع الصلة بالله فهو مخذول غير منصور. فعلي المسلم أن يدوم علي الاستقامة والثبات علي الحق حتي لا تقوت الثمرة، وبها يصل المسلم إلي الغاية ولا ينقطع عن ركب الصالحين . والمجتمع الذي يشيع فيه العدل يحس أفراده بالاطمئنان علي حقوقهم، لأن القانون يكون مع المحق وإن كان ضعيفا، لا مع المبطل وإن كان قويا . فإذا شاع الظلم وندر العدل أحس الأفراد بالقلق الدائم علي حقوقهم وزال عنهم الاطمئنان والاستقرار، وكان ذلك إيذانا بدمار هذا المجتمع. وإذا شاع الظلم وغارت معاني العدل ، كثر المظلومون الذين لا يرون في هذا المجتمع حماية لهم ولا حفظا لحقوقهم ، وإنما يرون فيه هضم حقوقهم، فيجرهم هذا إلي عدم الاهتمام به وبقائه ومن ثم يؤدي إلي تعاونهم علي هلاكه وفنائه . فالظلم كالنار يحس بوطأتها المظلوم .

لهذا قيل : (إن الدولة العادلة تبقي وإن كانت كافرة، والدولة الظالمة تفني وإن كانت مسلمة).

ص: 73

1- عبد الكريم زيدان : مرجع سابق /ص 72.

وللفرد مسؤوليته في إصلاح المجتمع، فهي واجب علي الفرد المسلم. (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) (1).

(من رأي منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان).

هذه هي مسؤولية الفرد في إزالة الفساد، وعليه أن يكون في حالة استعداد وتهيؤ للإصلاح وإزالة الفساد .

وقد اعتبر الإمام (ابن تيمية) عدم الإنكار القلبي ردة عن الإسلام. فقال : (والمرتد من أشرك بالله تعالى، أو كان مبغضا للرسول (صلي الله عليه واله وسلم) ولما جاء به ، أو ترك إنكار منكر بقلبه) (2).

وفي حديث للرسول (صلي الله عليه واله وسلم) :

(والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن علي يد الظالم ولتأطرنه علي الحق أطرا ولتقصرنه علي الحق قصرا ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم علي بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم) (3).

وهذا دليل صريح علي تحميل الفرد مسؤولية الإصلاح ورفع الفساد ، وتأكيد علي منع الظالم من الظلم ، الذي هو من أعظم الفساد في الأرض .

وقد أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم ، فيعمهم العذاب .

ويفسر ابن كثير الآية الكريمة : « وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » ، بأن الله يحذر المؤمنين فتنة ، أي اختبارا ومحنة يعم بها المسيء وغيره ، لا يخص بها أهل المعاصي ولا من

ص: 74

1- عبد الكريم زيدان : مرجع سابق / ص 124.

2- سنن أبي داود : ج 3 ص 132، ص 133/ الترمذي ج 7 ص 216.

3- سنن أبي داود : ج 3 ص 132، ص 133/ الترمذي ج 7 ص 216.

بأشر بالذنب ، بل يعمها (1) . « أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْكُمْ » (2).

فأله يلفت نظر الخلق إلى أنه يهلك الأمم بالذنوب رغم قوة هذه الأمم .

وعن أبي بكر الصديق ، أنه سمع رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) يقول: « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا علي يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » .

فوقوع الفساد في المجتمع والسكوت عليه وعدم تغييره سبب للعقاب الجماعي . وبهذا وجب منازعة الجائر بكل وسيلة ولا يجوز السكوت عنه . فالدماء ترخص في سبيل العدالة والحق . وإلا انسدت باب الجهاد . وهو أصل عظيم من أصول الإسلام وركن قويم من أركان الدين حث عليه القرآن والحديث . والجهاد يسمى جهادا إذا: قصد به وجه الله ، وأريد به إعلاء كلمته ، ورفع راية الحق ، ومطاردة الباطل ، وبذل النفس في مرضاة الله . فإذا أريد شيء دون ذلك من حظوظ الدنيا فإنه لا يسمى جهادا علي الحقيقة . فمن قاتل ليحظي بمنصب أو يظفر بمغرم أو يظهر شجاعة أو ينال شهرة ، أي لأجل الدنيا والحصول علي الرئاسة بمنازعة أولي الأمر ، فإنه لا نصيب له في الأجر ولا حظ له في الثواب (3).

فإن أردت أن تقيم بالحق وتصدع بالمعروف وأنت لا ناصر لك ولا معين فانظر إلي النبي (صلي الله عليه واله وسلم) وهو ضعيف بمكة يدعو إلي الحق ويعلن به . فأيا كنت ، وفي أي شأن كان شأنك ، فلك في حياة الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) هداية

ص: 75

1- عبد الكريم زيدان : المرجع السابق/ ص 127.

2- سورة الأنعام (6).

3- السيد سابق : فقه السنة ج 3 ص 11-40.

حسنة وقدوة صالحة . تضيء لك بنورها دياجي الحياة ، وينجلي لك بضوئها ظلام العين ، فتصلح ما اضطرب من أمورك وتقوم بسنته عوجك فالسيرة المحمدية نور للمستتير ، وهديتها نبراس للمستهدي وإرشادها ملجأ لكل مسترشد. وانظر إليه (صلي الله عليه واله وسلم) حيث يقول عن نفسه : (مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبهن ، فيقتحمن فيها، فأنا آخذكم بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها . فذلك مثلي ومثلكم. أنا آخذ بحجزكم عن النار . هلم عن النار . فتغلبوني وتحمون فيها) (1).

موقف الحسين (عليه السلام) في السنة النبوية :

كان الصحابة مع الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) في حياته يعتبرون قوله وفعله وتقريره حكماً شرعياً لا يختلف في ذلك واحد منهم، ولا يجيز أحدهم لنفسه أن يخالف أمر القرآن . وكما وجب عليهم بأمر الله في القرآن اتباع الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) وطاعته في حياته وجب عليهم وعلي بعدهم من المسلمين اتباع سنته بعد وفاته لأنهم اتباع لرسول أمر الله باتباعه وطاعته ، فقد كان فعله وقوله وحكمه ناشئاً عن مشرع معصوم أمر الله بامتثال أمره ، فلا يختلف الحال بين أن يكون حياً أو بعد وفاته . « إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (2) .

وقد قرر الله سبحانه بأن مخالفة النبي (صلي الله عليه واله وسلم) كفر « قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ » (3) فلم يبح الله عز وجل للمؤمنين مطلقاً أن يخالفوا حكمه وأوامره « وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ

ص: 76

1- أبي الحسن الندوي : السيرة النبوية / ص 399 - (عن أبي هريرة - متفق عليه).

2- سورة النور: 51.

3- سورة آل عمران: 32.

إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا» (1).

كما أن النبي (صلي الله عليه واله وسلم) قال كما نقل أبو هريرة: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي . قالوا يا رسول الله ومن أبي؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني أبي).

ومن المستحيل أن يكون الحسين (عليه السلام) ممن أبي، فهو سيد شباب أهل الجنة، أي ممن أطاع الرسول (صلي الله عليه واله وسلم)، فكيف يمكنه أن يعصي أوامر جده (صلي الله عليه واله وسلم) بل إنه علي العكس من ذلك فإنه سيمثل بقوة وإيمان الإرادة الله ووصايا النبي (صلي الله عليه واله وسلم)، بإسراعه في الخروج علي الحاكم الجائر في زمانه إطاعة الله وللرسول (صلي الله عليه واله وسلم) .

فإذا كانت الخلافة تثبت للإنسان بطاعة الله والقيام بحق الأمانة التي كلفه الحق بها، فإن الحسين (عليه السلام) لم ير في الخليفة شيئاً من ذلك، ولكنه رأي فردا تجبر في الأرض واستكبر علي آيات الله ونسي نعمة الله عليه، ولم ينفذ شريعة الله بل شريعته الخاصة، فانسحب بذلك منه قانون الاستخلاف.

وإذا كان الشكل العام للحكم في الإسلام هو الشوري، فإنه رأي أن الحاكم جاء بحكم القوة والديسيسة والمؤامرة وإراقة الدم، فلم تقم الأمة التي هي صاحبة الحق في اختيار من تراه أهلاً لهذا المنصب، فكانت حكومة استبدادية لم تستمد سلطانها من الجماعة، ولا استندت في شرعيتها بمشورة أهل الحل والعقد. فإذا كان اختيار الأمة لإمامها شرطاً لشرعية حكمه، فإنه لم يحدث شيء من هذا القبيل وبذلك فقد أخل الحاكم هنا بالعقد فأنحل. فالحسين (عليه السلام) لم يخرج علي إمام وإنما خرج علي عاد فرض نفسه فرضاً أو

ص: 77

فرضه أبوه دون اعتبار لأصول أو قاعدة أو مصلحة عامة إلا المصلحة الخاصة . كما أن الشروط الواجبة في الخليفة من إسلام وعلم واجتهاد وعدل وقدرة وكفاءة ، لم يتوافر منها شيء للحاكم، اللهم إلا الشرط الخاص بأن يكون الإمام من قريش ، علي الرغم من أن الفقهاء اشترطوا تقديم المستوفي الشروط الخلافة إذا كان القرشي عار من شروطها علي القرشي. حيث إنه لا يجوز أن تعقد الأمة لفاستق ولا خلاف في هذا بين الأمة.

ويعتبر الشيعة من جانب آخر إن الإمام هو المثل الشرعي للرسول (صلي الله عليه واله وسلم) في جميع الشؤون التي تقبل النيابة والتمثيل، كما أنهم يرون في الإمامة زعامة دينية ودينية ، واشترطوا في الإمام شروط متعددة ، مثل أن يكون أفضل أهل زمانه وأعلمهم وأزهدهم، وأن يكون منزها عن النقائص ، غير عاجز عن حل أية مشكلة اجتماعية ، فكيف هذه من تلك الحلول التي كان الحاكم يدبرها في شؤونه الإدارية والسياسية مستخدما أساليب القتل والتعذيب والتشريد، وهو الذي كان عليه كحاكم إسلامي أن يلتزم بتحقيق العدل ومنع الظلم وذلك بتدقيقه في اختيار الموظفين الأكفاء الأمناء، ويكفيها إلقاء نظرة سريعة علي أعوانه وموظفيه لنعرف أي حاكم كان وأي أعوان كانوا يسيطرون علي المسلمين .

ويكون الحاكم هنا علي حسب رأي الفقهاء قد أخل بكل الأمور والمسائل الخاصة بالإسلام والمسلمين وفرط بالمباديء جميعها، فكان علي الحسين (عليه السلام) كفرد مؤمن في المجتمع الإسلامي أن ينهض بالجهاد في سبيل الله ومقاومة الانحراف وتنحية الحاكم غير اللائق تماما، وهو ما عبر عنه الدين الحنيف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو حق جاءه من الشرع لا يجوز التنازل عنه ، مثل ما أنه لا يجوز للخليفة أو غيره من أولياء الأمور الانتقاص من هذا الحق . لأنه كما قلنا إن معارضة الحاكم الإسلامي حين يخرج علي شريعة الله واجب محتم علي كل مسلم لا يتم إيمانه دون القيام

بها ويتهدده العذاب في الدنيا والآخرة إذا هو تقاعس عن أدائه ، فينبغي عليه أن يشعر بمسؤوليته وواجبه في إصلاح حال المجتمع الإسلامي وإزالة مفاصله ، مطيعا في ذلك أوامر الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) خوفا من أن يعصمهم عذاب الله جميعا.

فإذا كانت السلطة الإسلامية تستمد شرعيتها من أمرين : إقامتها لشريعة الله ، ورضي الناس عنها ، فقد انعدم هذين الأمرين في عهد الحسين (عليه السلام) فكانت ولاية الحاكم ولاية متغلب وهي لا تجوز لأنها خروج علي قاعدة التراضي . والله سبحانه وتعالى اعتبر العامل بغير الشريعة كافرا وظالما وفاسقا، وذلك ما جعل الحسين (عليه السلام) يسرع لمحاربة وخلع الحاكم دون روية أو تردد ، فإذا كان هناك خلاف في جهاد من منع بعض شريعة الله فكيف بمن منع كل شريعة الله . فالسكوت عن الحق كتمان وكتمان الحق حرام، والسكوت مشجع علي المعصية ، كما أنه رأي أن بتر عضو يكون علاجا لا بد منه لإنقاذ الجسم كله وإنقاذ النظام كله ، فالعزل هنا وسيلة لسياسة تصحيح الوضع ورد الحق إلي نصابه وتعديل وتقويم الانحراف المؤدي إلي الهاوية ، وهو في عمله هذا لم يكن يلقي نفسه في التهلكة ، بل هو استشهاد في سبيل الله وهو مكرمة لا تهلكة. كما أن الحسين (عليه السلام) كان متخوفا من إشاعة الظلم وكثرة المظلومين الذين لم يجدوا في مجتمعهم حماية لهم ولا حفظا لحقوقهم، مما كان سيؤدي إلي دمار المجتمع وفنائه ، ولهذا رأي وجوب منازعة الجائر بكل وسيلة وعدم جواز السكوت عنه . فالحسين (عليه السلام) أيقظه الجور ودفعه الاعتداء وأنشطه الظلم واستشاره أنين الضعفاء وعويل المشكولين ودموع المفؤودين ، ومن بين العدوان علي الحق وتجاهل العدوان ، ينبعث الأحرار ويخرج الأبطال .

وننقل هنا شيئاً من أحاديث أقوال سيد البشر توضح موضوعنا وتثريه وبخاصة في مجال الإنسان المؤمن، وموقفه تجاه الظلم، والإمام العادل ، والجائر، وكيفية مقاومته :

أ- أحاديثه (صلي الله عليه واله وسلم) عن الإمام الذي ينبغي أن يتولي أمر المسلمين :

1- عن أبي هريرة عن النبي (صلي الله عليه واله وسلم) قال : « إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ، ويتقي به ، فإن أمر بتقوي الله عز وجل وعدل ، كان له بذلك أجر، وإن يأمر بغيره كان عليه منه » (1).

2- عن عوف بن مالك (رضي الله عنه) عن الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) قال : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » (2).

3- « سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : أمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله » (3).

ص: 80

-
- 1- الحافظ المنذري : مختصر صحيح مسلم ، الجزء الثاني / كتاب الأمانة ص 88 (1206).
 - 2- نفس المرجع السابق : باب في خيار الأئمة وشرارهم) ص 93.
 - 3- السيد أحمد الهاشمي: مختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية ص 84 (رواه الشيخان).

4 - القضاة ثلاثة : اثنان في النار و واحد في الجنة. رجل علم الحق فقضي به فهو في الجنة ، ورجل قضى للناس علي جهل فهو في النار، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار» (1).

5 - عن جرير بن عبدالله ، عن النبي (صلي الله عليه واله وسلم) : « من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده ، كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء (2).

6 - « أشرف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل » (3).

7- « رحم الله امرأ سمع مقالتي فادأها كما سمعها، ورب مبلغ أوعي من سامع (4).

ب - أحاديثه (صلي الله عليه واله وسلم) في الإمام الجائر :

1- آفة الدين ثلاثة : فقيه فاجر، و إمام جائر، ومجتهد جاهل. (رواه الديلميين ابن عباس) (5).

2- أربعة يبغضهم الله تعالي : البياع المجلاف، والفقير المختال ، والشيخ الزاني والإمام الجائر. (رواه النسائي عن أبي هريرة) (6).

3- ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت، يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة. (7).

ص: 81

1- السيد أحمد الهاشمي : المرجع السابق ص 110.

2- الحافظ المنذري : مختصر صحيح مسلم ج 2 ص 251.

3- الشيخ محمد بن الحسن العاملي : وسائل الشيعة/ ج 4 / ص 825.

4- الترمذي / أبو داود - النسائي / ابن ماجه .

5- السيد أحمد الهاشمي: المرجع السابق ص 3.

6- السيد أحمد الهاشمي: المرجع السابق ص 38.

7- الحافظ المنذري : مختصر صحيح مسلم ج 2، ص 89.

4- ثلاث لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم :

- رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضي، وإن لم يعطه منها سخط. ورجل حلف علي سلعته (رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة) (1).

5- ستة أشياء تحبط الأعمال : الاشتغال بعيوب الخلق، وقسوة القلب، وحب الدنيا، وقلة الحياء، وطول الأمل، وظالم لا ينتهي. (رواه الديلمي عن عدي بن حاتم) (2).

6- روي أحمد: « من دعا بدعوي جاهلية فهو من جني جهنم ، قالوا : وإن صلي وصام؟ قال وإن صلي وصام وزعم أنه مسلم (3).

7- وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة (4).

8- عن ابن عباس : « إن الله لا يجمع أمتي علي ضلالة ، ويد الله مع الجماعة ومن شذ فقد شذ في النار» (5).

9- عن أبي ذر : « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه» .

10- من ولي أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمؤمنين منه ، فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين (6).

ص: 82

1- السيد أحمد الهاشمي : المرجع السابق ص 65.

2- السيد أحمد الهاشمي : ص 84.

3- الحافظ المنذري : مختصر مسلم ص 252.

4- الترمذي - أبو داود - الإمام أحمد - ابن ماجه .

5- رواه أحمد - ابن سعد: الطبقات ج3 ص 281 .

6- ابن تيمية : السياسة الشرعية / ص 19.

11 - العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء (1) .

ج. أحاديثه (صلي الله عليه واله وسلم) في وجوب جهاد الظلم، والصمود أمام الإمام الجائر :

1- إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما.

2- من أتاكم وأمركم علي رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه .

3- إذا عظمت أمتي الدنيا نزعتم منها هيبة الإسلام، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي. (رواه الترمذي) (2) .

4- لن يخلو وجه الأرض من قائم الله بحجة .

5- عن ابن عمر: « علي المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» (3) .

6- عن تميم الداري (رضي الله عنه) أن النبي (صلي الله عليه واله وسلم) قال : الدين النصيحة . قلنا : لمن ؟ قال : الله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم (4) .

7- ثلاث من كن فيه يستكمل إيمانه : رجل لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يرائي بشيء من عمله ، وإذا عرض عليه أمران، أحدهما للدنيا والآخر للآخرة ، اختار أمر الآخرة علي الدنيا (5) . (رواه ابن عساکر عن أبي هريرة).

8 - من أعان ظالما ليدحض بباطله حقا، فقد برئت منه ذمة الله وذمة

ص: 83

1- أبو الحسن النووي : السيرة النبوية / ص 363.

2- السيد أحمد الهاشمي: المرجع السابق / ص 14

3- الحافظ المنذري : مرجع سابق (باب : الدين النصيحة) ج2، ص 92

4- الحافظ المنذري: نفس المرجع السابق (1209) / 89.

5- السيد أحمد الهاشمي: مرجع سابق / ص 64.

رسوله (1) (رواه الحاكم عن ابن عباس) .

9- عن ابن عباس قال : قال رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) لا ينبغي لأمرئ يشهد مقام حق إلا تكلم به ، فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له (2) . (باب : من محقرات الأعمال 3293) .

10- عن ثوبان قال : قال رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم): « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علي الحق لا يضرهم من خذلهم، حتي يأتي أمر الله وهم كذلك. أو حتي يأتي وعد الله وهم كذلك » (3) .

11 - إلا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر (4) .

12- عن أبي سعيد الخدري : أن رجلا أتى النبي (صلي الله عليه واله وسلم) أي الناس أفضل؟ فقال : رجل أو مؤمن - يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه (5) .

13 - من قاتل لتكون كلمة الله أعلي، فهو في سبيل الله (6) .

14 - إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون منهم وتنكرون، فمن كره بريء، ومن أنكروا فقد سلم ، ولكن من رضي وتابع فقد وقع في الإثم (رواه مسلم) .

15 - هل سمعتم أنه سيكون أمراء، من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم علي ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس يرد علي الحوض .

ص: 84

1- السيد أحمد الهاشمي: مرجع سابق ص 141.

2- لحافظ ابن حجر: المطالب العالية بزوائد المساند الثمانية - ج 4 ص 214.

3- الحافظ المنذري: مرجع سابق/ص 50.

4- رواه الطبراني عن أبي موسى - من خطبة للرسول (صلي الله عليه واله وسلم) أحمد الهاشمي: مرجع سابق /ص 31.

5- الحافظ المنذري: المرجع السابق/ص 45.

6- الحافظ المنذري: مرجع سابق /ص 48.

- ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ، ولم يعنهم علي ظلمهم، فهو مني وأنا منه وسيرد علي الحوض (1)، (رواه أحمد والنسائي).
- 16 - عن علي بن أبي طالب ، قال النبي (صلي الله عليه واله وسلم): « لا طاعة في معصية ، إنما الطاعة في المعروف » (بخاري ومسلم).
- 17 - أفضل شهداء أمتي رجل قام إلي أمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله علي ذلك.
- 18 - إذا أحب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه .
- 19 - عن ابن عباس ، عن النبي (صلي الله عليه واله وسلم) قال : «ألا أخبركم بخير الناس ، رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله . ألا أخبركم بشر الناس، رجل يسأل بالله ولا يعطي به » (2) .
- 20 - إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض (3) .
- 21 - الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة (4).
- 22 - روي البخاري ومسلم عن ابن مسعود ، أن الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) قال : لا يحل دم امريء مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله ، إلا بإحدي ثلاثة :
- ص: 85

1- جريشة : ص 306.

2- السيد سابق : فقه السنة ج3 ص 37.

3- السيد سابق : المرجع السابق / ص 37.

4- السيد سابق : المرجع السابق / ص 39.

الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة « (1).

23 - إن أول ما بدأ الفساد في بني إسرائيل أن أحدهم كان يلقي صاحبه الذي كان يعيب عليه فعله بالأمس فيجده علي حاله من المنكر، فلا يمنعه ذلك أن يكون جلسه وأكيله وشريبه ، فلعنهم الله (2) .

24 - قال الحسن ، قال النبي (صلي الله عليه واله وسلم) : من أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر، فهو خليفة الله في أرضه، وخليفة رسوله وخليفة كتابه (3) .

ص: 86

1- السيد سابق : المرجع السابق / ص 424.

2- محمد قطب : دراسات قرآنية / ص 479.

3- تفسير القرطبي / ج 4 / ص 47.

الفصل الثالث: نأثرة بالمثل والاتجاهات الفكرية لأبيه

أشارة

ص: 87

ثالثا: ماأخذة الحسين عليه السلام من تعاليم ومفاهيم وأمور دنيوية وأخروية من ابيه الإمام علي عليه السلام

اشارة

كان علي (عليه السلام) أشد الناس إثارا للحسن والحسين لمكانهما من النبي (صلي الله عليه واله وسلم) وكان أصحابه يصنعون صنيعه في ذلك فيؤثرونهما بالخير (1).

وقد ورث الحسن والحسين عن جدهما وأبيهما، فصاحة اللسان وقوة الجنان، وحضور البديهة، والكرم والحلم، والشجاعة والجرأة .

وقد تعلموا القرآن والتفسير من علي (عليه السلام) وأهل بيته وكبار الصحابة، وتلقوا الحديث عنهم، حتى أن الإمام علي (عليه السلام) كان يقول الشعر وينطق بالحكمة، وكذلك نشأ ولده (2).

وقد برزت الصفات والخلق التي أخذها الحسين من جده (صلي الله عليه واله وسلم) وأبيه (عليه السلام) في شخصيته فكانت ظاهرة .

فورث قوة الإرادة عن جده الذي وقف صامدا وحده أمام القوي الهائلة التي هبت لتمنعه من قول كلمة الله، وكذلك هو وقف صامدا وحده أمام الجبابة والطغاة مجاهدا في سبيل كلمة الحق .

فهو سيد أهل الإباء الذي علم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف اختيارا علي الدنية، فلم يلو جيده خاضعا لأحد إلا الله .

ص: 89

1- طه حسين : الفتنة الكبرى ج 2، ص 605.

2- محمد رضا: الحسن والحسين ص 17.

ولم يشاهد الناس أشجع ولا أربط جاشا، ولا أقوي جنانا من الحسين (عليه السلام) الذي بقي صامدا يتلقى الطعنات من كل جانب في معركة كربلاء.

يقول (علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي) «في كشف الغمة» بأن «شجاعة الحسين يضرب بها المثل، وصبره في الحرب أعجز الأواخر والأوائل». ولا عجب، فقد ورثه النبي (صلي الله عليه واله وسلم) تلك الصفة عندما قال: (وأما الحسين فإن له جرأتي وجودي) (1).

فشجاعة الحسين (عليه السلام) صفة لا تستغرب منه لأنها (الشيء من معدنه كما

قيل) هي فضيلة ورثها عن الأباء وأورثها الأبناء بعده .

ويذكر التاريخ أنه شهد الحروب في إفريقيا الشمالية وطبرستان والقسطنطينية، كما حضر مع أبيه وقائعه جميعا من الجمل إلي صفين، وحارب معه أيضا الخوارج.

وفي معارك أبيه ضد معاوية، ظل سيف الحسين يقاتل مؤمنا بعدالة هذا القتال وليس لمجرد أنه يدافع عن خلافة أبيه (2).

وكان إلي جانب عثمان - رغم الخلاف معه - يدافع عنه حين حاصره الثوار وظل يقاتل حتي سقط جريحا (3).

وليس في بني الإنسان من هو أشجع قلبا ممن أقدم علي ما أقدم عليه الحسين (عليه السلام) في كربلاء (4). وصبره علي نوائب الدنيا ومحن الأيام أيضا يضرب بها المثل من وقت انتقال جده وأمه إلي الرفيق الأعلى، والأحداث التي جرت لأبيه وأخيه، وما جري للإسلام بعد ذلك، ثم جرائم كربلاء (5).

ص: 90

1- ابن أبي الحديد: الشرح ج 16 ص 10.

2- محمد جواد مغنیه : من هنا وهناك ص 104.

3- محمد جواد مغنیه : من هنا وهناك ص 104.

4- العقاد : أبو الشهداء ص 44.

5- باقر القرشي: حياة الحسين ج 1 ص 113

فقد كان الحسين (عليه السلام) يسر بالألم والمصائب ما دام لله فيه رضي، فالحكمة والصلاح والخير هو ما يختاره الله وإن كان فيه ذهاب النفس والأهل والمال، فإن حصل شيء من هذا في سبيل الله، أو حصلت مجتمعة، لم تضطرب النفس ويتزعزع الإيمان لأنها هي المطلب والهدف (1).

(هل هو إلا الموت فمرحبا به) وعلي هذا عاش ومات أبوه من قبل. وأثبتت التجارب في كل عصر، أنه لا حياة كريمة إلا لمن اتخذ هذا المبدأ شعارا يستهين في سبيله بكل عزيز (2).

وهكذا انطبعت مثل الإمام علي وسائر اتجاهاته الفكرية في نفس الحسين (عليه السلام) فكان كأيّيه في ثورته علي الظلم والباطل ومناهضته للجور والبغي، وتقانيه في سبيل الحق والعدل، وتبنيه لجميع وسائل الإصلاح والخير.

كان كأيّيه في بسالته وصموده وعزة نفسه وإيائه.

وصراحته في القول والسلوك وصلابته في الحق لا حد لها. فقد تبني الحق لينقذ الأمة الإسلامية من التيارات العنيفة التي خلقت في أجوائها قواعد للباطل وخلايا للظلم وأوكار للطغيان.

فكان كأيّيه صارمة في الحق لا يحب الرفق ولا الهوادة ولا التسامح فيما لا ينبغي التسامح فيه، كما كان صارما علي نفسه وعلي غيره. وكان يتحرق شوقا إلي الفرصة التي تتيح له استئناف الجهاد من حيث تركه أبوه (3). فقد كانت نفس أبيه إلي العزة والكرامة مائلة بجميع مظاهرها ومقوماتها في نفس الحسين (عليه السلام).

ص: 91

1- محمد جواد مغنية: فلسفات إسلامية ص 474.

2- محمد جواد مغنية: من هنا وهناك ص 104.

3- طه حسين: الفتنة الكبرى ج 2/ ص 621.

وكان كأبيه يعتقد أن المجتمع لن يصلح إلا إذا لقي بعصارة جديدة، وبترت منه الزوائد، وأبعدت عنه الطفيليات (1).

وخلال رحلته في الحياة لم يتخل أبداً عن تلك المثل رغم كل صنوف الاضطهاد. وقد ظلت كلمات أبيه تشكل حياته واستشهادته. فالإمام علي (عليه السلام) الذي نشأ منذ طفولته في بيت النبوة، ونهل من نورها حتى فاض ذلك علي عقله وروحه، وتألفت به موارده ومناهلها، فأصبحت مواضع كلمات الله حين يذكرها علي (عليه السلام) يتجلي لها حقيقة ظاهرة، ويرفع بها علم صاعد، ويضيء لها قول صادق.

ونحن هنا في هذا المجال يهمنا أن نذكر من أقوال وأحاديث وخطب الإمام علي (عليه السلام) ما يخص بحثنا. فالإمام علي (عليه السلام) قد تناول في أقواله معظم ما يهم المسلمين وكل ما يخص الفرد دنيا وآخرة حاضراً ومستقبلاً، ولكننا نود أن نبرز من أقواله ما ذكره من آراء حول:

الإمامة أو الحكم في الإسلام، فمن يكون الحاكم الإسلامي؟ وكيف يأتي أو يتسلم الحكم؟

وما موقف المسلمين من الحاكم الجائر؟ إذ أن هذا هو ما تقصده ونعنيه مما أخذه عن أبيه في مجالنا خاصة.

1- آراء الإمام علي (عليه السلام) في الحكومة الإسلامية :

من هو الإمام أو الخليفة في الدولة الإسلامية؟

1- إن أولي الناس بهذه الأمة قديماً وحديثاً، أقربها من رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) وأعلمها بكتاب الله، وأفقهها بدين الله، وأولها إسلاماً، وأفضلها جهاداً، وأشدّها بتحمل أمور الرعية.

ص: 92

1- عبدالله العلايلي : الإمام الحسين / ص 325.

2 - من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه .

3- إنما الأئمة قوام الله علي خلقه، وعرفاؤه علي عبادته، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه (1)

4 - إن أفضل عباد الله إمام عادل هدي وهدى، فأقام سنة معلومة وأمات بدعة متروكة (2) .

5 - فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية . فإذا أدت الرعية إلي الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقه، عز الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل . وإذا غلبت الرعية واليهما، وأجحف الوالي برعيته : اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الإدغال في الدين، وتركت محاج السنن، فعمل بالهوي، وعطلت الأحكام، وكثرت علل النفوس (3) .

6 - إنه لا ينبغي أن يكون الوالي علي الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل ، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلمهم بجهله ، ولا الحافي فيقطعهم بحفائه ، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة (4) .

7 - الملك بالدين يبقي، والدين بالملك يقوي .

ص: 93

1- الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي : ينابيع المودة ص 282 ط 2-1966 .

2- ابن الأثير : الكامل ج 3 ص 151 .

3- ابن أبي الحديد: نهج البلاغة ج 11 .

4- ابن أبي الحديد الشرح ج 8 .

8- من ساس رعيته حرم عليه السكر عقلا، لأنه قبيح أن يحتاج الحارس إلي من يحرسه.

9- السلطان الفاضل هو الذي يحرس الفضائل ووجود بها لمن دونه ويرعاها من خاصته وعامته حتي تكثر في أيامه ، ويتحسن بها من لم تكن فيه .

10 - اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم، ثم انظر عما لك فاستعلم اختبارا ولا تولهم محابة وأثرة (1) .

11 - يقول عن الولاية : أنتم خزان الرعية ووكلاء الأمة وسفراء الأئمة .

12 - إمام عادل خير من قطر وإبل.

2- صفات الإمام في الإسلام؟ وكيف يحكم؟ وما واجباته تجاه الأمة ؟

1- ثبات الملك بالعدل .

2- لو سلكتكم الحق وأضاء لكم الإسلام لما ظلم منكم مسلم ولا معاهد.

3 - إن فضل قره عين الولاية استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية .

4 - سيرة المرء تنبيء عن سريرته .

5 - صلاح الدين في الورع، وفساده في الطمع .

6 - ما خاف امرؤ عدل في حكمه، وأطعم من قوته، وذخر من دنياه لأخرته .

7- لا تقبلن في استعمال عمالك وأمرائك شفاعة إلا شفاعة الكفاية والأمانة .

ص: 94

1- نوري جعفر : علي ومناوؤه ص 193.

8 - من عمل بالعدل فيمن دونه ، رزق العدل ممن فوقه .

9 - من لم يتوخ بعمله وجه الله ، عاد مادحه من الناس له ذاما .

10 - الدنيا مطية المؤمن عليها يرتحل إلي ربه فأصلحوا مطاياكم تبلغكم إلي ربكم .

11 - العدل أفضل من الشجاعة ، لأن الناس لو استعملوا العدل عموما في جميعهم لاستغنوا عن الشجاعة .

12 - لا بد لك من رفيق في قبرك ، فاجعله حسن الوجه طيب الريح وهو العمل الصالح .

13 - ما أضييق الطريق علي من لم يكن الحق تعالي دليله ، وما أوحشها علي من لم يكن أنيسه ، ومن اعتز بغير عز الله ذل ، ومن تكثر بغير الله قل .

14 - عدل السلطان خير من خصب الزمان .

15 - لو سلمتم الأمر لأهله سلمتم ، ولو أبصرتم باب الهدى رشدتم .

16 - واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتي تعرفوا الذي تركه ، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتي تعرفوا الذي نقضه ، ولن تمسكوا به حتي تعرفوا الذي نبذه ، فالتمسوا ذلك من عند أهله (1) .

17 - فاستقيموا علي كتابه وعلي منهج أمره وعلي الطريقة الصالحة من عبادته ، ثم لا تمرقوا منها ولا تبتدعوا فيها ولا تخالفوا عنها ، فإن أهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيامة .

18 - ألا وإن الظلم ثلاثة : فظلم لا يغفر ، وظلم لا يترك ، وظلم مغفور لا يطلب . وأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله تعالي ، قال سبحانه : « إِنَّ

ص : 95

الله لا يغفر أن يشرك به». وأما الظلم الذي يغفر، فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات.

وأما الظلم الذي لا يترك، فظلم العباد بعضهم بعضا .

فياياكم والتلون في دين الله ، فإن الله سبحانه وتعالى لم يعط أحدا بفرقة خيرا ممن مضى ولا ممن بقي (1).

19 - من أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر علي الناس ذل ومن دخل مدخل السوء اتهم، ومن خلط الأراذل حقر، ومن جالس العلماء وقر، ومن أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا .

20- قيمة كل امريء ما يحسنه : من عرف نفسه قد عرف ربه ، من عذب لسانه كثر إخوانه، بالبر يستعبد الحر، لا ظفر مع البغي، لا ثناء مع الكبير، لا شرف مع سوء الأدب. لا راحة مع الحسد، لا سيادة مع الانتقام .

21 - من جمع ستة خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا :

من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحق فاتبعه ، وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها (2) .

22 - المؤمن .

كل سعي أخلص عنده من سعيه ، وكل نفس أصلح عنده من نفسه، عالم بعيبه ، لا يثق بغير ربه.

23 - من سرته الحسنة وساءته السيئة فهو مؤمن .

26 - إن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار .

- وأن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد .

ص: 96

1- نفس المرجع

2- نفس المرجع

- وأن قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار (1).

20 - يعرف الرجال بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال .

26 - اعمل لدينك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

27 - العدل سائس عام يضع الأمور في مواضعها ، والتقوي نجاة من كل هلكة.

28 - شتان بين عمليين: عمل تقني لذته وتبقي تبعته ، وعمل تذهب مؤونته ويبقي أجره .

3- من هو الإمام الجائر؟ وما هو مصيره؟

وكيف يواجهه الإنسان المؤمن، وما يكون موقفه منه؟

1- إن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وأضل، فأما سنة معلومة وأحيا بدعة متروكة .

2- إن أخوف علي هذه الأمة من الرجال، أئمة مضلون وهم رؤساء أهل البدع.

3- إذا كان الراعي ذئبا فالشاة من يحفظها؟

4 - ألام الناس من سعي بإنسان ضعيف إلي سلطان جائر .

5 - إن أبغض الخلائق إلي الله تعالي رجالان :

رجل وكله الله إلي نفسه فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة ، فهو فتنة لمن افتتن به ، ضال عن هدي من كان قبله ،

ص: 97

1- السيد الخوئي / البيان في تفسير القرآن ص 527.

فضل لمن اقتدي به في حياته وبعد وفاته ، حمال خطايا غيره ، رهن بخطيئته (1) .

6 - إن أعظم الخيانة ، خيانة الأمة.

7- إن شر وزرائك من قبلك للأشرار وزيراء، ومن شركهم في الأثام، فلا يكونن لك بطانة ، وأنت واجد منهم خير خلف ، والصق بأهل الورع والصدق ، ثم رضهم علي ألا يطرودوك ، وييجحوك بباطل لم تفعله ، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من الغرة .

8 - قال (طاووس بن كيسان اليماني) بعد أن طلب منه هشام بن عبد الملك أن يعظه :

« سمعت من أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال : (إن في جهنم حيات

كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته).

9 - جولة الباطل ساعة وجولة الحق إلي قيام الساعة .

10 - زوال الدنيا مشحونة بالرزايا .

11 - ظلم المرء يصصره .

12 - ظلامه المظلوم لا تضيع .

13 - عاقبة الظالم وخيمة .

14 - ولاية الأحمق سريعة الزوال.

10- من سل سيف البغي قتل به .

16 - من صارع الحق صرعه.

ص: 98

1- ابن أبي الحديد: الشرح ج 1.

17- فقر الرؤساء أهون من رئاسة السفلة .

18 - شر الولاية من خافه البريء .

19 - راكب الظلم يكبو به مركبه .

20 - هلك من ادعي وخاب من افتري .

21 - إلا وأنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل، ومن لا يستقيم به الهدى يجرب به الضلال إلى الردي .

22 - فإنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الناس الحق فاشتروه، وأخذوهم بالباطل فاقتدوه.

23 - زمان الجائر من السلاطين والولاية أقصر من زمان العادل، لأن الجائر مفسد، والعادل مصلح، وإفساد الشيء أسرع من إصلاحه .

24 - من طلب عزة بظلم وباطل، أورثه الله ذلاً بإنصاف وحق .

25 - البغي آخر مدة المملوك .

26 - الناس من خوف الذل في ذل .

27 - أعجل العقوبة، عقوبة البغي والعدو واليمين الكاذبة، ومن إذا تضرع إليه وسئل العفو لم يغفر.

4 - موقف المسلم تجاه الإمام الجائر :

1- الناس ثلاثة : عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق.

2- إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهالاً ويموتون ضلالاً، ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا سلعة أنفق بيها ولا أغلي ثمننا

ص: 99

من الكتاب إذا حرف عن مواضعه، ولا عندهم أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر (1).

3- أحبب لغيرك ما تحب لنفسك وكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم ، كن للظالم خصماً وللمظلوم عوناً بس الزاد إلي المعاد : العدوان علي العباد .

4 - فلا تكفوا عن مقالة بحق ، أو مشورة بعدل ، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطيء .

5 - الدين أن تؤثر الحق وإن ضربك علي الباطل وإن نفعك .

6 - العدل صورة واحدة . والجور صور كثيرة . ولهذا سهل ارتكاب الجور وصعب تحري العدل ، وهما يشبهان الإصابة في الرماية والخطأ فيها . وأن الإصابة تحتاج إلي ارتياض وتعهد، والخطأ لا يحتاج إلي شيء من ذلك .

7- والله لأبقرن الباطل حتي يظهر الحق من خاصرته (2) .

8 - إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله ، فمن نصرهما نصره الله ، ومن خذلهما خذله الله .

9- إنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفي من الحق ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب علي الله ، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر .

10 - احذروا أهل النفاق فإنهم الضالون المضلون، يمشون الخفاء ويدرؤون الضراء ، لهم بكل طريق صريع ، وإلي كل قلب شفيح ، ولكل شجو

ص: 100

1- محمد العفيفي : القرآن، القول الفصل بين كلام الله وكلام البشر ص 125.

2- العقاد : عبقرية الإمام ص 60.

دموع، يتقارضون الثناء، ويتراقبون الجزاء، وقد أعدوا لكل حق باطلا- ولكل قائم مانلا ، ولكل حي قاتلا ، ولكل باب مفتاحا، ولكل ليل مصباحا ، يتوصلون إلي الطمع باليأس ليقوموا به أسواقهم، وينفقوا به أعلافهم، يقولون فيشبهون، ويصفون فيموهون، قد هونوا الطريق وأضلعوا المضيق ، فهم لمة الشيطان وحة النيران (أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون).

11 - إن الله فرض الجهاد وعظمه وجعله نصره وناصره.. والله ما صلحت دنيا ولا دين إلا به .

12 - الجهاد ثلاثة : جهاد بيد و جهاد بلسان و جهاد بقلب .

فأول ما يغلب عليه من الجهاد جهاد اليد، ثم جهاد اللسان، ثم جهاد القلب .

فإذا كان القلب لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا نكس، وجعل أعلاه أسفله ، كما ينكس الجراب فتش ما فيه .

14 - فمن ترك الجهاد رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء. وسيم الخسف ومنع النصف . .

15 - من أنكر المنكر بيده ولسانه وقلبه ، فذلك المستكمل لخصال الخير .

16 - فإن شغب شاعب استعتب ، فإن أبي قوتل . ألا وأني أقاتل رجلين :

رجل ادعي ما ليس له، وآخر منع الذي عليه (1) .

ص: 101

1- المشاعب : الخارج علي القانون والآداب - استعتب : طلب إليه الرجوع إلي الحق والرضوخ له.

- 17 - الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله ، وعليكم بالتواصل والتبادل ، وإياكم والتدابير والتقاطع .
- 18 - فرض الله سبحانه الإيمان تطهيراً من الشرك ، والصلاة تنزيهاً عن الكبر ، والجهاد عز للإسلام ، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام ، والنهي عن المنكر رداً للسفهاء .
- 19 - ألا إن لكل دم ثأراً، ولكل حق طالبا، وأن الثائر في دماننا كالحاكم في حق نفسه وهو الله الذي لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب .
- 20 - أيها الناس، إن الوفاء توأم الصدق، ولا أعلم جنة أوقى منه، وما يغدر من علم كيف المرجع . ولقد أصبحنا في زمان اتخذ أكثر أهله الغدر كيسا ، ونسبهم أهل الجهل فيه إلي حسن الحيلة .
- 21 - إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان : اتباع الهوي وطول الأمل . فأما اتباع الهوي فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة (1) .
- 22 - وخلف فينا راية الحق ، من تقدمها مرق ، ومن تخلف عنها زهق ، ومن لزمها لحق .
- 23 - إن الموت طالب حثيث، لا- يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ، إن أكرم الموت القتل . والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة علي الفراه في غير طاعة الله .
- 24 - أما أنه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع . الباطل أن تقول سمعت ، والحق أن تقول رأيت .
- 25 - الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان .

ص: 102

1- ابن أبي الحديد: الشرح ج 2.

26 - اختر أن تكون مغلوبا وأنت منصف، ولا تختار أن تكون غالبا وأنت ظالم.

27 - موت الصالح راحة لنفسه، وموت الطالح راحة للناس .

28 - من سمع بفاحشة فأبداها كان كمن أتاها .

29 - العجب من يخاف عقوبة السلطان وهي منقطعة، ولا يخاف عقوبة الديان وهي دائمة .

30- فتح الخير بجهدك ولا تبال بسخط من يرضيه الباطل .

31- من أيقظ فتنة فهو آكلها .

32 - فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله الخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوي ودرع الله الحصينة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وأدبيل الحق منه .

33 - أيها الناس إن الله عهد إلي نبيه (صلي الله عليه واله وسلم) عهدا عهدته إلي بألا يقيم الحد من كان الله عليه حد.

34 - ولا يدعونك شرف امريء إلي أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا ، ولا ضعة امريء إلي أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما.

35 - إن الله يدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة .

36 - ولكن من واجب حقوق الله علي العباد :

(النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون علي إقامة الحدود بينهم، والحق بينهم) (1).

ص: 103

1- ابن أبي الحديد: (الشرح، ج 11).

37 - كمال الرجل بست خصال : أصغريه وأكبريه وهيئته فأما أصغراه فقلبه ولسانه ، إن قاتل قاتل بجنان ، وإن تكلم تكلم ببيان ، وأما أكبراه : فعقله وهمته .

وأما هيئته : فماله وجماله .

38 - وإيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه ، ولأقودن الظالم بخزاملته حتى أوردته منهل الحق وإن كان كارها . والله إني لأعترف بالحق قبل أن أشهد عليه ، والله ما أبالي - أدخلت علي الموت أو خرج الموت إلي .

39 - لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولي عليكم شراركم فتدعون فلا يستجاب لكم.

40- لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا.

41 - فإن كان لا بد من العصبية ، فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ، ومحامد الأفعال ، ومحاسن الأمور التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب، ويعاسب القبائل بالأخلاق الرغيبية ، والأحلام العظيمة ، والأخطار الجليلة ، والآثار المحمودة ، فتعصبوا لخلال الحمد، من الحفظ للجوار، والوفاء بالذمام ، والطاعة للبر، والمعصية للكبير، والأخذ بالفضل، والكف عن البغي، والإعظام للقتل، والإنصاف للخلق، والكظم للغيط، واجتناب الفساد في الأرض.

42 - ونجمع كلامه (عليه السلام) في وصيته لابنيه الحسن والحسين (عليه السلام) : (1)

وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، ولا تأخذك في الله لومة لائم.

لا تظلم كما لا تحب أن ظلم. وأحسن كما تحب أن يحسن إليك .

ص: 104

1- نوري جعفر : علي ومناوؤه، ص 203.

واعلم أنك إنما خلقت للأخرة لا للدنيا . وأنت طريد الموت الذي لا ينجو منه هارب . فكن منه علي حذر أن يدركك وأنت علي حالة سيئة

وإياك أن تغتر بما تري من إخلاد أهل الدنيا إليها وتكال بهم عليها، فإنما أهلها كلاب عاوية، وسباع ضارية، يهر بعضها علي بعض ، ويأكل عزيزها ذليلها، سلكت بهم الدنيا طريق العمي، فتاهوا في حيرتها ونسوا ما وراءها.

لا تتخذ من عدو صديقك صديقا ، فتعادي صديقك ، و امحض أخاك النصيحة حسنة كانت أم قبيحة .

إن أردت قطيعة أخيك ، فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها إن بدا له ذلك يوما ما .

وما أقبح الخضوع عند الحاجة، والجفاء عند الغني .

الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله ، وعليكم بالتواصل والتبادل ، وإياكم والتدابير والتقاطع، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولي عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم .

يا بني أوصيك بتقوي الله عز وجل، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الغني والفقر، والعدل في الصديق والعدو، والعمل في النشاط والكسل .

43 - والإمام علي (عليه السلام) كان يري أن نجاة المسلمين ونجاحهم يكمن في التمسك بأهل بيت النبي (صلي الله عليه واله وسلم) والسير خلفهم والافتداء بهم ، حيث قال فيهم :

« فانظروا أهل بيت نبيكم، فإن لبدوا فالبدوا، وأن استنصروكم

فانصروهم ، فليفرجن الله الفتنة برجل منا أهل البيت» (1).

وكان قوله هذا تذكيرا ومتمما لقول الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) في أهل بيته :

« في كل خلوف من أمتي عدول من أهل بيتي ، ينفون من هذا الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ألا إن أئمتكم وفدكم إلي الله عز وجل ، فانظروا بمن توفدون» (2).

« الأحاديث والأقوال من : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد من أجزاء :

1،2،7،8،9،10،19،20،»

ص: 106

1- ابن أبي الحديد: الشرح، ج 7، ص 58.

2- الأميني: الغدير، ج 3، ص 81.

الفصل الرابع: فكرة تحويل الخلافة

إشارة

وستتناول في هذا الفصل : الموضوعات التالية : -

-فكرة البيعة ليزيد بن معاوية .

-صدي البيعة .

- يزيد بن معاوية .

-رجاله وأنصاره .

ص: 107

مثلما كان لمعاوية أسلوبه الخاص الذي تميز به عن سائر الأفراد في الإدارة والسياسة، فقد كان له أيضا أسلوبه الخاص في أخذ البيعة له من المسلمين ، وقد كان سهلا وسلسا لا تعقيد فيه ولا مشكلة. فحينما أحضر الناس لبيعته ، كان الرجل يحضر فيقول : (والله يا معاوية إني لأبايعك وإني لكاره لك . فيقول : بايع فإن الله قد جعل في المكروه خيرا كثيرا) (1).

إقناع جيد للإنسان أن يفعل ما يكره، لأن الله تعالى قد أمرنا به في كتابه العزيز، فاستغله الحاكم في تنفيذ مأربه .

ومن الواضح أن معاوية قد أحب هذه الآية الكريمة ، أو الجزء الأول منها علي الأقل، ونفذها حرفيا في كل ما أتى من أمور واستحدث فيها، حيث كان يكره الناس علي فعل أشياء غير محببة إلي نفوسهم وذلك علي قاعدة : (إن الله قد جعل في المكروه خيرا كثيرا)، كما جاء في القرآن : « وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ » .

وعندما نرجع إلي الوراة قليلا ، نري أن معاوية قد طبق تعاليم تلك الآية منذ أيام الإسلام الأولي، فقد دخل هو وأبوه في الإسلام كرها، فهل كان ذلك تطبيقا للآية القرآنية أيضا؟ ولكنه كما قيل عنه ، كان يستنتج الأفكار

ويستخرج المعلومات لحل مشاكله بطريقته الخاصة ، فقد كان يسهر ثلث الليل في دراسة أخبار العرب وأيامها وأهم ملوكها وسياستها لرعاياها وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة ، ثم ينام ثلث الليل فيقوم ويقعد ويحضر الدفاتر التي فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكاند. فهو إذن لم يستمد سياسته التي اشتهر بها من دهاء وذكاء من نفسه أو بدراسة القرآن وشريعة الله سبحانه وسيرة النبي (صلي الله عليه واله وسلم) أو الخلفاء الراشدين من قبله ، بل إنه استعان علي تدبير أمور رعيته بدراسة أخبار الملوك الأقدمين.

وكان يقرأ في تلك الأخبار أنهم يورثون الملك لأبنائهم ، ولذا قرر أن يقلب نظام الحكم الإسلامي المعتمد علي الشوري إلي نظام وراثي ، فما كان بالذي يرضيه أن يتولي الأمر زمنا يطول أو يقصر ثم يتركه ليعود إلي البيت الهاشمي أعداء الأمويين من قديم الزمان ، فما انتزع معاوية الخلافة إلا ليثبتها في بيته ويستخلصها لقومه من بني أمية (1).

ومع أن أمر الخلافة ليس ملكا خاصا للخليفة وإنما هو ملك عام لجماعة المسلمين، إلا أنه عين من بعده ابنه، ذلك الماجن المتخلع المتظاهر بالفجور وغير اللائق ، لهذا المنصب الخطير، والذي لم يكن هو نفسه متوقعه حيث كان واسعا عليه ، فقد اندهش كما يروي عندما أخذ الناس يمدحونه ويقرظونه يوم مبايعته فقال لأبيه : (يا أمير المؤمنين ، والله ما ندري انخدع الناس أم يخدعوننا؟ فقال معاوية : كل من أردت خديعته فتخادع لك حتي تبلغ منه حاجتك فقد خدعته) (2).

ومع أنه كان يعلم أن في الأمة أهل الحل والعقد الذين اختاروا خلافة «أبي بكر» ثم وافقوا علي الوصية إلي «عمر» وأقروها، وأصفقوا مع أهل

ص: 110

1- بنت الشاطيء : سكينه بنت الحسين ص 31.

2- علي حسني الخربوطلي: 10 ثورات ص 70.

الشوري علي خلافة «عثمان» وأطبقوا علي البيعة طوعا ورغبة «لعلي»، فكان هؤلاء موجودين بأعيانهم أو بنظرائهم، وهم الذين تقموا علي معاوية ذلك العقد المشؤوم، إلا أنه صمم علي توريث الملك من بعده (1).

ويقال إن معاوية في عمله هذا كان يري أن هناك خوفا علي الإسلام والمسلمين من بعده فهل كان في خوفه من أمر الأمة بعده أشفق بالأمة من رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم)؟.

لا أظن هذا ولكنه البدع الجديدة التي استحدثها في المسلمين طالما أنكروها من قبل .

وهكذا استقر في الإسلام لأول مرة هذا الملك الذي قام علي البأس - والبطش والخوف، والذي يرثه الأبناء عن الآباء ، وأصبحت الأمة كأنها ملك لصاحب السلطان ينقله إلي من أحب من أبنائه كما ينقل إليه ما يملك من وسائل المال وجامده (2).

إن فكرة توريث الحكم والبيعة ليزيد كانت نقضاً للعهد الذي أبرمه معاوية مع «الحسن بن علي» (عليه السلام) ولم يكن هذا النقض هو الوحيد الذي أقام عليه بل إنه نقض العهد مرات متكررة ومتعددة وفي مواقف مختلفة فقد نقضه عندما حارب الإمام «علي» في سبيل الاستيلاء علي الخلافة لإبعاد البيت الهاشمي عنها، مع أن البيعة للإمام (عليه السلام) كانت قد ثبتت بإجماع المسلمين، ووجبت طاعته ولزمت معاوية بيعته - مع العلم بأن العرب كانت تلتزم بإتمام البيعة ويحتاج في نقضها إلي حروب شديدة فكان نقضه هذا خراباً للنظام الإسلامي من جذوره وتغييره إلي نظام أجنبي غريب علي الإسلام والمسلمين. فقد كان أمر الخلافة قائم علي البيعة، أي علي رضا الرعية ،

ص: 111

1- الأميني: الغدير ج 3 ص 25.

2- طه حسين : الفتنة الكبرى ج 2 ص 654.

وأصبحت عقدا بين الحاكمين والمحكومين يعطي الخلفاء عهدا علي أنفسهم أن يسوسوا المسلمين بالحق والعدل وأن يرفعوا مصالحهم، وأن يسيروا فيهم سيرة النبي (صلي الله عليه واله وسلم) ما وسعهم ذلك ، ويعطي المسلمون علي أنفسهم العهد أن يسمعوا ويطيعوا وأن ينصحوا ويعينوا (1)، فانقلبت هنا لتصبح انتزاعا باستخدام القوة والبطش وتشريع الحروب الإبادية في سبيلها، وأن تتم البيعة بأية طريقة سواء كانت بالوعيد أو الوعود الخلافة، فالمهم أن تصبح البيعة علي كل حال شرعيا (2).

كما نقضه حين قتل من أهل الكوفة، وحين أسرف في أموال المسلمين فكانت بين يديه خزائن المال يشتري بها من يشاء، فمن عصي علي المال اشتراه بالدهاء والمكر والملاينة، ووكّل الباقيين إلي الخوف من هيبة السلطان وجبروت الحكم.

ونقضه كذلك حين ولي الجبابة علي الأمصار، وأسرف هؤلاء في أموال الناس ودمائهم (3). فكان كل ذلك نقضاً للبيعة التي أعطها للناس، (وتلك تبريء ذمة الحسين بن علي (عليه السلام) لو أراد الخروج). أو بالأصح مكروها ولكن فيه خيرا كثيرا. فقد كانت عاقبة بدعة و بالـ علي المسلمين أي وبال . فما أكثر ما استحل المملوك من المحارم، وما أكثر ما سفكوا من الدماء وأهدروا من الحقوق ، وضحوا بمصالح الأمة في سبيل ولاية العهد، وما أكثر ما كاد بعض الأمراء من أبناء المملوك لبعض في سبيل هذا التراث ، الذي لم يبحه لهم كتاب ولا سنة ولا عرف مألوف من صالحى المسلمين .

ص: 112

1- طه حسين : الفتنة الكبرى ج 1 ص 221.

2- عفيف طبارة : روح الدين الإسلامى ص 290.

3- طه حسين مرجع سابق ج 2 ص 624، 655.

تردد معاوية في أول الأمر من إشاعة البيعة لابنه ، ولم يكن خائفا في الحقيقة من مبدأ التوريث أو ولاية العهد، بل كان تردده وخوفه فيمن سيتولي العهد من بعده أي في الشخص الذي سيلبي أمر هذه الأمة من بعده، يرث الحكم ، وهو ابنه «يزيد» .

فالفكرة كانت مختصرة في ذهنه ، وتصميمه عليها قد استقر منذ زمن بعيد فهو لم يقف مواقفه تلك من الخلافة الإسلامية ، وتصديه لخليفة المسلمين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وانتزاع الحكم منه، حتي يحكم المسلمين مدة حياته ، بل إنه قام بتلك الأفعال في سبيل أن يحكم هو، ويحكم أهل بيته من بعده .

ولكنه نظرا لتردده كان يود أن يستطلع آراء الناس ويستخبر مزاجهم في تلك البدعة الجديدة. وكان أكثر ما يقلقه ويزعجه هو وجود «الحسين بن علي (عليه السلام) فهو ابن الإمام علي (عليه السلام) الخليفة الشرعي للمسلمين الذي انتزع منه الخلافة غدرا ، وهو أخو «الحسن بن علي» (عليه السلام) الذي أبرم معه الصلح، والذي كان أبرز بنوده ألا يورث الحكم بعده بل يجعله شوري بين المسلمين . ولذا سأل جماعة من أهله يستفتيهم في أمر «الحسين» كي يتمكن من تكوين فكرة عامة عن موقفه ، فدعا «مروان بن الحكم» وقال له : أشر

علي في الحسين . فقال : « تخرجه معك إلي الشام فتقطعه عن أهل العراق وتقطعهم عنه . فقال معاوية : أردت والله أن تستريح منه وتبتليني به . فإن صبرت عليه صبرت علي ما أكره ، وإن أسأت إليه كنت قد قطعت رحمه » .

كما بعث إلي «سعيد بن العاص» . وسأله السؤال نفسه ، فقال : «إنك والله ما تخاف الحسين إلا علي من بعدك ، وإنك لتخلف له قرنا إن صارعه ليصر عنه ، وإن سابقه ليسبقته . فذر الحسين منبت النخلة ، يشرب من الماء ويصعد في الهواء ولا يبلغ إلي السماء» . فأقامه (1).

إلا أنه نظرا لاختمار الفكرة واهتمامه علي تنفيذها وإصراره علي فعلها وإبرازها ، وخاصة أن بعضا من المقربين إليه أيد فكرته وشجع عليها ، وحسنها وزينها له ، مثل «المغيرة بن شعبة» الذي خاف أن يقصيه معاوية عن منصبه - فرأى أن يثبت نفسه ويمكن لها ، بحثه علي تعيين ابنه خلفا له ، وشجعه علي إشاعة الخبر وإشهاره بين الجمهور دون خوف وتردد .

كما أن الضحاك بن قيس الفهري أيد الفكرة والبيعة لابنه وأشار عليه بعدم التهاون فيها فقال له : (ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن هديه وقصد سيرته علي ما علمت ، وهو من أفضلنا علما وحلما ، وأبعدنا رأيا ، فوله عهدك واجعله لنا علما بعدك ، ومفزعنا نلجأ إليه ونسكن في ظله) (2).

ولذا فقد بعث إلي رجاله وأنصاره في الأمصار ليقوموا بالإعلان والدعاية للأمر الجديد . ولكنه لسوء حظه ، فقد رفض أنصاره وأقرب المقربين إليه ، فكرته سواء في مبدأ التوريث أو المسمي بولاية العهد ، كما رفضها من جانب آخر أبناء كبار الصحابة في الحجاز والتابعين والمجاهدين المسلمين .

ص: 114

1- ابن عبد ربه : المرجع السابق ج 3 ص 22.

2- ابن الأثير : الكامل ج 3 ص 507.

فعندما سأل «مروان بن الحكم» بشأن البيعة ، تكلم بكلام كثير وبسخ به معاوية وقال له : (أقم الأمور يا ابن أبي سفيان ، وأعدل عن تأميرك الصبيان ، واعلم أن لك في قومك نظراء، وأن لهم علي مناوأتك وزراء) (1).

ومما قاله أيضا: « جئتم بها هرقلية تبايعون لأبنائكم ».

وقد رد عليه معاوية بعزله من المدينة فولها «الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان». كذلك رد عليه «سعيد بن العاص»: (أما بعد، فإنك أمرتني أن أدعو الناس لبيعة يزيد بن أمير المؤمنين - وأن أكتب إليك بمن سارع ممن أبطأ ، وإنني أخبرك أن الناس عن ذلك بطاء، لا سيما أهل البيت من بني هاشم فإنه لم يجبني منهم أحد وبلغني عنهم ما أكره، وأما الذي جاهر بعداوته وإبائه لهذا الأمر فعبدالله بن الزبير، ولست أقوي عليهم إلا بالخيال والرجال ، أو تقدم بنفسك فتري رأيك في ذلك والسلام) (2).

وبعث «زياد بن أبيه» إليه ينصحه بالترث، فقد كان يرى أنه يحسن «ببزياد» أن يقلع عن ضرورب اللهو والعبث الخاص بالشباب : (وبيزيد صاحب رسالة وتهاون مع ما قد أولع به من الصيد، ولا تعجل فإن دركا في تأخير خير من تعجيل عاقبته الفوت) (3).

أما «عبد الرحمن بن أبي بكر» فقال عندما عرض عليه مروان بن الحكم الفكرة : (كذبت والله يا مروان وكذب معاوية . ما الخيار اردتما لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية ، كلما مات هرقل قام هرقل) (4).

وكان أن رشاه معاوية بمائة ألف دينار فلم يقبلها وقال : «لا أبيع ديني»

ص: 115

1- المسعودي : مروج الذهب ج 3 ص 28.

2- الأميني : الغدير ج 10/ص 239 .

3- الطبري : ج 1 ص 169 - ابن الأثير : ج 3 ص 505.

4- ابن الأثير: ج 3 ص 507.

كما أن سعيد بن عثمان بن عفان كان يرى أنه أحق بالخلافة من «يزيد» لأنه ابن «عثمان» الذي تدرع معاوية للوصول إلي الخلافة باسمه، فقال المعاوية :

(يا أمير المؤمنين ، علام تباع ليزيد وتتركني فوالله لتعلم أن أبي خير من أبيه ، وأمي خير من أمه ، وإنك إنما نلت ما نلت بأبي) (1).

ولكن معاوية أرضاه بتعيينه واليا علي خراسان.

كما أن معاوية شاور «الأحنف بن قيس» في استخلاف يزيد، وعندما سأله سكت عنه دون أن يبدي رأيه ، فقال : ما لك لا تقول؟ فقال : «إن صدقناك أسخطناك ، وإن كذبتك أسخطنا الله ، فسخط أمير المؤمنين أهون علينا من سخط الله ، فقال : صدقت» (2).

وأما عائشة أم المؤمنين فقد كتبت إليه : (أما بعد، فإنه من يعمل بمساخط الله يصر حامده ذاما له، والسلام) (3).

وكذلك «عبدالله بن عمر» الذي امتنع عن البيعة وقال : (هذا أراد أن ديني عندي إذن لرخيص).

وكتب «أبو الدرداء» إليه :

(فإنه من يلتمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله ، وكله الله إلي الناس) (4).

أما «المنذر بن الزبير» فقد كان رده بأن وصف يزيد بقوله : (والله إنه

ص: 116

1- العقاد : عبقرية الإمام علي ص 226.

2- ابن عبد ربه : ج 4 / ص 59.

3- ابن عبد ربه : المرجع السابق ص 82.

4- ابن عبد ربه : ج 4 ص 59.

ليشرب الخمر، والله أنه ليسكر حتي يدع الصلاة(1).

وكما ذكرنا سابقا فإن ابنه «يزيد» نفسه لم يستسغ عملية تعيينه خليفة من بعد أبيه ، فعندما أخذ الناس يمدحونه ويقرظونه يوم مبايعته قال لأبيه : (والله ما ندري أنخدع الناس أم يخدعوننا)؟ .

ولكن معاوية ، مع هذا، نجح في أخذ البيعة لابنه بوسائله المعهودة .

فعلي الرغم من أنه سيقرب نظام الحكم في الإسلام، ويستحدث فيه بدعا جديدة ، ومع أن اختيار «يزيد» معناه تحويل الخلافة إلي النظام الوراثي تشبها بأباطرة الروم والبيزنطيين، وعلي الرغم من أن هذا النظام عارضه العرب منذ اللحظة الأولى لقيام نظام الخلافة بعد وفاة الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) وأن العرب بطبيعتهم لا يميلون إلي هذا النظام الوراثي الذي يتعارض مع النظام القبلي الذي ساروا عليه فيما يختص باختيار شيخ القبيلة .

وعلي الرغم من أن «يزيد» لم يكن في نظر المسلمين يصلح لتولي هذا المنصب الديني الأول وما زال الناس في صدر الإسلام، وعلي الرغم مما حاول أن يصرفه عن ما يتصف به من ألوان العبث في الحياة وأن يمهد له الجو ويعده لتولي الخلافة حتي أن بعثه علي رأس جيش المسلمين لحرب القسطنطينية كي يظهر أنه ترأس المجاهدين في سبيل نشر الدين الإسلامي .

وعلي الرغم من أنه فشل في إصلاحه، وعلي الرغم من صدي الرفض وعدم القبول تجاه فكرته في التوريث عامة واستخلاف ابنه خاصة، ليس فقط من أبناء الصحابة وغيرهم، بل من أقرب أقربائه وأكابر أنصاره .

علي الرغم من كل ذلك، فإن حبه له فقط دفعه في أن يورث الخلافة له.

ص: 117

1- العقاد : عبقرية الإمام/ص 226.

وقد استخدم لنجاح مسعاه وسائله المعتادة ، من بطش وإجبار، وتوزيع المال والهبات فاستخدم القوة والعنف مع أبناء كبار الصحابة الإرضاء لهم في قبول البيعة . أما الباقيين فاستخدم معهم أسلوب المساومة ، فهو الذي يعطي المقارب ويداري المباعد، ويلطف به حتي يستوثق له أكثر الناس فيبايعوا. فقد كان اختيار «يزيد» لولاية العهد مساومة مكشوفة قبض كل مساهم فيها ثمن رضاه ومعونته جهره وعلانية من المال أو الولاية أو المصانعة . ولو قبضوا مثل هذا الثمن لبايعوا وليا للعهد شرا من يزيد لما همهم أن يبايعوه ، وإن تعطلت حدود الدين ، وتقوضت معالم الأخلاق» . هذا ما يراه المفكر العربي «عباس العقاد» في مشكلة العصر (1) وهو رأي يفسر الكثير ويشرح الوفرة من المختصرات، وأهم ما يبرزه، نفسية الشعب المسلم وقيادته خاصة في تلك الفترة، حيث تبدو هذه النفسيات جبانة وضعيفة، لأنها تستسلم للشتر وتفضله في مقابل حفنات من الدراهم أو مصالح دنيوية زائلة .

ولا نعلم ما أصبحت عليه مواقفهم بعد مدة قصيرة من بيعتهم ، عندما فعل «يزيد» ما فعله أثناء حكمه بالأفراد والجماعات الإسلامية والمدن الإسلامية؟

فماذا قالوا عندما أمر بقتل آل الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) وتشريدتهم؟

وما كان رأيهم وموقفهم حينما قام بهتك حرمة المدينة المنورة؟

وفيما فكروا عندما سفك الدماء في حرم الله ؟

وما كان جوابهم عندما استخدم من الرجال والأعوان من هم أقل ما يقال عنهم بأنهم شرذمة من الوحوش الضارية لا تهدأ نفوسهم إلا بالقتل

ص: 118

تلك النفوس المريضة بحق ، كان من الواجب علاجها في المصحات الخاصة بعلاج مثل هذه الأمراض ولكنه - مع الأسف الشديد - كانت النفوس السليمة الصحيحة هي التي تعالج ، وهي النفوس الحقة التي نادت بالإصلاح وبتطبيق المبادئ السامية والأهداف النبيلة . وكان يتم علاجها بالوسائل الدينية التي تعافها النفس البشرية الشريفة، وهي وسائل لا يستخدمها إلا القوم الظالمون والفاسقون والمارقون.

ولهذا بدا توريث الخلافة ليزيد أمرا يعارضه أبناء كبار الصحابة ، ويعارضه المسلمون عامة ، كما أن بيعته أثارت كثيرا من السخط لدى أهل الورع والتقوي.

كما كانت توليته إيذانا ببدء فترة الانقسام تعرضت لها جبهة المسلمين والدولة الإسلامية . وكان من الخطورة بحيث أصبحت الدولة الأموية علي وشك الانهيار . وذلك أن أبناء الصحابة تحللوا من بيعتهم باعتبار أن هذه البيعة أخذت منهم بالقوة ، فأصبحت بلاد الحجاز موطن و مركز المعارضين «ليزيد»، لأن بلادهم موطن التقاليد الإسلامية والعربية القديمة .

وانحصر الخلاف بين أهل الحجاز والأمويين في دائرة الحكم، فأهل الحجاز يرون أن تعود الخلافة إلي ما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين ، وأما الأمويين فرأوا أن يدافعوا عن حق صار لهم ، أعني حقهم الخاص بهم، إذ ليس هذا الحق من حق المسلمين .

وقد تعرضت بلاد الشام نفسها لهزات وحركات نتيجة هذه التولية، إذ قامت الحرب الأهلية بعد تنازل « معاوية الثاني» بين عرب القيسية واليمينية ، فانقسمت الشام علي نفسها، ووقف فريق كبير من أهلها بجانب «عبدالله بن

الزبير» الذي كان قد خرج علي الحكم الأموي في الحجاز (1). .

(وسيا تي ذكر تفاصيل تلك الأحداث عند تناولنا نتائج الثورة الحسينية) (2). .

ص: 120

1- محمد جمال الدين سرور/ قيام الدولة العربية الإسلامية ص 99.

2- انظر ص الفصل السادس .

حكم «يزيد» مدة سنوات ثلاث، كانت مثيرة ومشحونة بالأحداث الجسام رغم قصرها. فقد عمل فيها أفاعيل الحاكم ذي العمر الطويل .

وقد استخدم في مجابهة أعدائه أساليب أبيه، ولكنه أضاف إليها شيئاً من عنده ، فكانت أشد وأقسي مما كانت عليه أيام سلفه .

وخير ما قيل في سني حكمه، قول (سعيد بن المسيب) الذي سمي سني «يزيد» بالشؤم، ففي السنة الأولى : قتل الحسين بن علي وأهل بيت رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) وأصحابه وجماعته . وفي السنة الثانية : استييح حرم رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) وانتهكت حرمة المدينة .

وفي السنة الثالثة : سفك الدماء في حرم الله ، وحرقت الكعبة (1) .

وستتناول تفاصيل هذه الأحداث تباعاً عند التحدث عن رجاله وأنصاره وأعمالهم، كما أن لنا عودة لها عندما نتناول ثورة «الحسين (عليه السلام) ونتائجها .

وقد قام «يزيد» بتنفيذ تلك الأعمال الشنيعة من أجل المحافظة علي الدولة الأموية ، وليحكمها كما أسسها أبوه وأورثها إياه . ويلاحظ أنه يستحيل

ص: 121

أن يأتي تلك الأفعال نقر فيه ذرة من معرفة بالإسلام، وليس أن يكون مسلما . ولهذا اتهم في تربيته غير الإسلامية . إذ كان شبه اليقين أن تربيته لم تكن إسلامية خالصة ، أو بعبارة أخرى كانت مسيحية خالصة ، فلم يبق ما يستغرب معه أن يكون متجاوزا مستهترا مستخفا بما عليه الجماعة الإسلامية لا يحسب التقاليد و اعتقاداتها أي حساب ولا يقيم لها وزنا، بل الذي يستغرب أن يكون علي غير ذلك (1).

فيقول: (السيد مير علي الهندي): (كان يزيد قاسيا غدارا كأبيه ، كان يقتل ويعذب نشدانا للمتعة واللذة التي يشعر بها وهو ينظر إلي آلام الآخرين، وكان بؤرة لأبشع الرذائل، وها هم ندماؤه من الجنسين خير شاهد علي ذلك، لقد كانوا من حثالة المجتمع (2) .

كما يدل الأستاذ «مصطفى السباعي» علي انحرافه عن الإسلام بقوله : (إن أكثر المساجد أنشئت في عصر عبد الملك بن مروان، وقل مثل ذلك في بقية الخلفاء ما عدا يزيد فلقد كان علي ما يظهر منحرفا بعض الانحراف عن خلق الشريعة في مسلكه الشخصي) (3) .

وهكذا فقد عانت الأمة في عهده من ضروب البلاء والمحن ما لا يوصف لفظاعته ومرارته .

ص: 122

1- عبدالله العلايلي / مرجع سابق ص 59 .

2- باقر القرشي / حياة الإمام الحسين ج 2 ص 181 .

3- مصطفى السباعي / مرجع سابق - ص 305 .

وہم الحکام والولاء والقواد العسکریین الذین تملکوا الناس وحکموا أمة الإسلام باسم الإسلام وباسم الدولة الإسلامية . وقد وقفوا بجانب الباطل یحاربون الحق ، فأبرزوا الباطل وأزهقوا الحق ، وغفلوا عن أمور دینهم ، وانشغلوا في أمور حیاتهم، ونسوا أن الدنیا ما هی إلا لعب ولہو وأن الآخرة ہی الحیاة لو كانوا یعلمون.

وستتناول في عرضنا هذا نماذج من هؤلاء الرجال الذین لم تکن الأعمالهم تجاه الأفراد والأمة مثیلاً من قبل . فقد تميزت أسالیب تحکمهم في رقاب الناس ، وكيفية مواجهتهم للمشکلات التي اعترضتهم ووسائل حلها ، بالرغم من أنهم اختيروا في مواقعهم علي أساس أنهم أمناء علي الناس وحافظین لحقوقهم وحراسا لحياتهم.

وسنختار من هؤلاء من هو أبرزهم نبوغاً، وأعظمهم مهارة وأشجعهم جرأة، وأقواهم عداء وأكثرهم اهتماماً تنفيذاً لما يرسمه الخليفة و يصدره من أوامر وتشدقاً في إظهار العداء والبغض والكره، واستعمالاً للأدوات والوسائل والطرق في تنفيذ ما يرسمه الخليفة وما يصدره من أوامر. (كل ذلك لكي تأتي نهايات أعماله مرضية ومريحة لنفسه المريضة، وقلبه الأسود حقداً، وعقله الأعمى حسداً) أمثال : عبید الله بن زیاد، عمر بن سعد، شمر بن ذي الجوشن ومسلم بن عقبة .

والأول : هو الوالي والقائد العام للمنطقة الإسلامية الأكثر توترا وقلقا .

والثاني : هو قائد كبير من القواد العسكريين الذي يطمع في الوصول إلي المناصب الكبرى في الدولة الإسلامية ، فيقدم أقصى ما عنده من جهد وخدمة لحكومته في سبيل الحصول عليها، فقد اشترك في الجيش الأموي لخدمته وخدمة الدولة الإسلامية .

وأما الثالث : فهو جندي من جنود الإسلام ولكنه لا يتورع عن شيء قط في سبيل الحصول علي مصلحته الذاتية حتي لو كان قطع رأس ابن بنت رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم).

وأما الرابع : فهو ذلك الشخص الذي سمي «مسرفا» لسرفه في القتل وإراقة الدماء وذلك لتأديب أهل المدينة المعارضين للحكم الأموي .

ويعطي هؤلاء الرجال صورة واضحة تماما لنفسيات الفئات القيادية العليا في الدولة الإسلامية في تلك الفترة الدامية ، فستتعرف علي أسلوب الحاكم في التعامل مع عماله وفئات الشعب ، وعلي الوالي وأسلوب حكمه في ولايته ، وموقفه من مؤيديه ومعارضيه ، وعلي قائد الكتيبة وهو يقضي علي فتنة أو ثورة ضد النظام، فنتبين كيفية تصرف الإسلام تجاه هؤلاء المتمردين وعلي أسلوب الجندي المسلم في تنفيذ ما يصدره أميره وسيده- للوصول إلي هدفه حتي لو كان بالحصول علي جوائز مادية ومكافآت دنيوية ، ولكنه في غفلة ونسيان عن الآخرة والدين .

فكان أعوانه شرذمة علي غراره ، أصدق ما توصف بأنها شرذمة جلادين يقتلون من أمروا بقتله ويقبضون الأجر فرحين (1).

مثال : (عبدالله بن مازن) الذي جاء «يزيدا» يعزيه ويهنئه بالخلافة قائلا :

ص: 124

1- العقاد : أبو الشهداء / ص 52.

(السلام عليك يا أمير المؤمنين، رزئت خير الآباء وسميت خير الأسماء، ومنحت أفضل الأشياء، فهناك الله بالعطية وأعانك علي الرعية ، فقد أصبحت قريش مفجوعة بعد ساستها ، مسرورة بما أحسن الله إليها من الخلافة بك والعقبي من بعده).

ثم أنشد يقول :

الله أعطاك التي لا فوقها *** وقد أراد الملحدون عوقها

عنك، فيأبي الله إلا سوقها *** إليك ، حتي قلدوك طوقها (1)

1- عبيد الله بن زياد :

أشار «سرجون» مولى «يزيد» عليه بتولية «ابن زياد» علي الكوفة، وكان «سرجون» هذا وهو رومي ، كاتباً لمعاوية وصاحب أمره، فأصبح مستشاراً ليزيد (2). وكان خبيراً في اختيار رجالات الدولة ، فرأي بخبرته أن « ابن زياد» أصلح شخص في القمع والإرهاب والقتل والصلب والتعذيب ، فولاة الكوفة والبصرة وبلاد العراق وبلاد الري وجرجان .

كان ابن زياد خريجاً بارزاً من مدرسة العنف التي كان أبوه أول مؤسسيها في العراق ، ولعله كان أكثر تطرفاً وأشد عنفاً من أبيه (3). فعندما استلم زمام ولايته أعلن الأحكام العرفية في كل من البصرة والكوفة واتبع في سياسته : الشدة والإرهاب والإعدام لمجرد الظن والتهمة. ولكنه من جانب آخر، أحسن الإحسان التام إلي كل مرديه واتباعه ، و بذل الأموال للأشراف من أهل الكوفة (4) .

ص: 125

1- المسعودي : المروج ج 3 / ص 65.

2- العقاد : المرجع السابق / ص 52.

3- إبراهيم بيضون: ص 70 مرجع سابق .

4- علي الخربوطلي : ص 60 مرجع سابق 10 ثورات

ولا نستطيع حصر أعماله الإرهابية لكثرتها، ولكن يمكن إيجازها لتكون أمثالا لتصرفاته العنيفة ومعاملاته القاسية ومواقفه الدموية :

أ. فقد أربأ أهل الكوفة وخوفهم حتى قالوا : ما لنا والفتنة بين السلاطين ، فمن تولي أمرنا فهو الحاكم علينا. وقد أثر فيهم إرهابه حتى إنهم تقضوا البيعة للحسين (عليه السلام) و بايعوا يزيد بن معاوية.

ب . طلب منه يزيد «قتل مسلم بن عقيل» وإرسال رأسه إليه ، علي الرغم من أن مسلما رفض أن يقتله غدرا مع إمكانه ، فقال فيه : «إنه يقتل النفس التي حرم الله قتلها علي الغضب وسوء الظنة ، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئا (1).

ج - كما قتل «هاني بن عروة» الذي أجاز «مسلمًا». فكان ذلك ذنبه ويستحق عليه التعذيب فالقتل الشنيع.

د- ولما علم «يزيد» بمقتل هؤلاء طلب منه أن يتم صنيعه بقتل الحسين (عليه السلام) فكتب إليه : (أما بعد، فإنك لم تعد إن كنت كما أحب، عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش ، فقد أغنيت وكفيت وصدقت ظني بك ورأبي فيك . وإنه قد بلغني أن الحسين قد توجه نحو العراق ، فضع المسالحي واحترس علي الظن ، وخذ علي التهمة، غير ألا تقتل إلا من قاتلك. فقد ابتلي به زمانك بين الأزمان، وبلدك بين البلدان ، وابتليت به من بين العمال، وعنده تعتق أو تعود عبدا) (2).

عندئذ بدأ الاستعداد والتجهيز والتخطيط للقضاء علي الحسين وأهل بيته وأصحابه .

ص: 126

1- العقاد : أبو الشهداء / ص 55.

2- الطبري : ج 6 ص 213 / ابن عبد ربه : مرجع سابق ج 4 ص 381 - الخربوطلي / 10 ثورات / ص 80.

وقد أظهر «ابن زياد» في تنظيم أموره و تثبيت شؤونه وحشد رجاله ، بأنه كان ينوي مسبقاً ويريد بقوة التخلص من الحسين وشيعته قبل أن يعلم أهل الكوفة وغيرهم بشيء من خبره. فقد ربط الطرق التي تؤدي إلى الكوفة برجاله وخيله بغرض ألا يدع الحسين (عليه السلام) يصل إليها دون أن تدهمه رجاله وتقف في وجهه (1). وكان هذا دليلاً على رغبته في القتل وسفك الدماء. وكان «يزيد» قد توفّق في اختيار الرجال في معسكره من يعينه على الحسين (عليه السلام)، فاختار منهم من هو طامع في مال ومستमित في طمعه استماتة من يهدر من الحرمات ولا يبالي بشيء منها في سبيل الحكام (2).

ففي أثناء معركة كربلاء، رأى «عمر بن سعد» أن يطلب من «ابن زياد» أن يسمح للحسين (عليه السلام) وأصحابه بالرجوع إلى مكة ، ولكن «ابن زياد» رفض طلبه ، وبعث إليه ليعرض على الحسين وأصحابه البيعة ليزيد فقال في كتابه : (ما بعثك إلى الحسين لتكف عنه ولا تمنيه السلامة والبقاء، ولا تعتذر عنه، وتكون له عندي شفيعاً، انظر فإن نزل حسين وأصحابه المغرورين به علي حكماً، فابعث بهم إلى سلماً، وإن امتنعوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون) (3).

كما طلب منه أيضاً وأمره أن يمنع الماء عنهم . وقد أصبح (النزول على حكمه) أمراً هاماً تقيّد رجاله به فلم يقبلوا بدله .

فعندما برز الحسين (عليه السلام) في القوم وقال لهم : (يا قوم علي ما تقاتلونني ، علي سنة غيرتها أم علي شريعة بدلتها، بماذا تستحلون دمي وانتهاك حرمتي؟؟)

ص: 127

1- عمر أبو النصر: آل محمد في كربلاء ص 74.

2- العقاد : مرجع سابق / ص 52.

3- العقاد : المرجع السابق ص 70 / موسوعة العتبات . قسم كربلاء/ ص 53.

قالوا: (أنزل علي حكم الأمير ابن زياد ما تري إلا ما تحب) (1).

وكذلك أثناء القتال ، قال لهم الحسين (عليه السلام) :

(ويلكم يا أعداء الله ، أعلي قتل مثلي تجتمعون؟ أليس أنا ابن بنت نبيكم؟ أليس جدي شفيعكم يوم القيامة؟ أليس هذه عمامة رسول الله أنا لابسها؟ أليس هذه راية رسول الله أنا حاملها؟ أليس هذا سيف أبي أمير المؤمنين قد قاتل به المشركين مع المجاهدين)؟ قالوا: «اللهم نعم، ولكن أنزل علي حكم ابن زياد لا تري إلا ما تحب».

فقال : (والله لا أعطيك إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد، إني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب).

وكان الجيش الذي «بعثه» ابن زياد «الحرب الحسين (عليه السلام) معدا ومجهزا من قبل لمجابهة ثورة الديلم يتكون من أربعة آلاف فارس».

ولم يشع من القتل والتعذيب بما فعله من مجزرة رهيبة بالحسين وأصحابه بل أخذ يلعب برأس الحسين (عليه السلام) في مجلسه بقصر الإمارة ، ويضرب ثنيتيه بالقضيب حتي نهره (زيد بن أرقم) وهو صاحب رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) (إرفع هذا القضيب عن هاتين الثنيتين فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) علي هاتين الشفتين يقبلهما) فرد عليه ابن زياد :

(أبكي الله عينيك ، فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك) فخرج وهو يقول: (إنكم يا معشر العرب لعبيد بعد اليوم ،

ص: 128

1- الطبري ج 6 ص 243/ الحافظ سليمان القندوزي : ينابيع المودة/ ص 346.

قتلتهم ابن فاطمة، وأمرتم ابن مرجانة يقتل خياركم ويستعبد شراركم(1).

كما أن (أنس بن مالك) أنكر عليه ضرب الرأس : (أما أنه كان أشبههم برسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) (2).

هـ . وقد نشط «ابن زياد» كأبيه من قبل في مطاردة الشيعة والمواليين لأهل البيت وأنزل عليهم من ضروب التعذيب والقتل والصلب ما شاءت له نفسه .

- فقطع يدي (ميثم التمار) ورجليه وصلبه علي جذع نخلة في الكوفة وذلك لأجل تشيعه ، وألجمه بلجام ليمتنع عن التحدث بفضائل أهل البيت، ولما لم يمتنع قطع لسانه فقلته. وكان ذلك قبل قدوم الحسين (عليه السلام) للعراق بعشرة أيام (3).

- وأودع «المختار بن أبي عبيدة الثقفي» السجن خوفا من ثورته علي الحكم الأموي .

- وقتل جيشه، جميع التوابين بزعامه «سليمان بن صرد الخزاعي» في معركة «عين الورد» (4).

- كما قتل رسول الحسين (عليه السلام) إلي شيعة البصرة ، حينما حمل كتبه إليهم لما طال عليه الانتظار . وقد أطلع أمر هذه الرسائل إليه : (المنذر بن الجارود) أبو زوجته.

و- ولم يسلم الخوارج من شدته ، فقد أراد «ابن زياد» بعد موت

ص: 129

1- عمر أبو النصر: المرجع السابق ص 93

2- باقر القرشي: ج 1 ص 37.

3- محمد حسين الزين : الشيعة في التاريخ ص 167.

4- المسعودي : المروج ج 3 ص 97.

«يزيد» ومعاوية الثاني أن يتوحد إلي أهل العراق فلم يفلح، لأن البصرة كانت قد أصبحت مسرحاً للعصية القبلية، فانتهاز الخوارج فرصة هذا الاضطراب، فبدأوا يعيشون في البصرة فساداً (1).

ز- وأعظم ما تفنن فيه، هو سب الإمام علي (عليه السلام) علي المنابر، فقد بني أربعة مساجد في البصرة تقوم علي بغض «علي بن أبي طالب» والوقعة فيه، وهي:

مسجد بني عدي، ومسجد بني مجاشع، ومسجد علي فرضة البصرة، ومسجد في الأزدي (2).

مع العلم بأن «علياً (عليه السلام) كان قد أنعم علي «زياد» أبيه وأحسن إليه، ولكنه كافأه بما عمله من أعماله القبيحة بشيخته ومحبيه والإسراف في لعنه، ثم جاء ابنه فحتم تلك الأعمال السيئة بما حتم.

ولكن لكل داء دواء، ولكل ظلم نهاية. فقد استطاع «المختار» بمساعدة إبراهيم الأشر أن يقضي عليه في الكوفة ويدخل قصر الإمارة بعد معركة «الخازر» بناحية الموصل، حيث قتل ابن زياد وجمع من أنصاره وقواده أمثال: (حصين بن نمير، وشرحبيط بن ذي الكلاع، وابن حوشب ذي ظليم، وعبدالله بن أياس السلمي، وأبو أشرس وغالب الباهلي) وذلك يوم عاشوراء من عام 67 هـ (3).

يا للعدل الإلهي، يقتل «ابن زياد» يوم عاشوراء كما قتل الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء. ويبعث برأسه إلي «علي بن الحسين (عليه السلام)»، كما بعث برأس الحسين (عليه السلام) إلي «ابن زياد».

ص: 130

1- علي حسن الخربوطلي: مرجع سابق ص 60.

2- ابن أبي الحديد: الشرح ج 4 ص 94.

3- المسعودي: المروج ج 3 ص 97.

وكان الإمام «زين العابدين» قد دعا ربه - حينما كان في مجلس ابن زياد - بعد معركة كربلاء، وحين كان يأكل ورأس الحسين أمامه ، قائلاً :

(يا رب لا تمتني حتي تريني رأس ابن زياد وأنا أتغذي) (1) .

وقد استجاب الله تعالى لدعائه ، فحينما فتحت أبوابه للطعام، ودخل الناس فقعدوا ، وبينما هم يأكلون وإذا بمناد ينادي بأعلي صوته : (يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ، ومهبط الملائكة ، ومنزل الوحي، أنا رسول المختار الثقفي إليكم ومعني رأس عبيد الله بن زياد). فكان حقا أثرا من آثار العدل الإلهي.

وقد أخرج «الترمذي» في صحيحه: (إن حبة دقيقة دخلت في فم عبيد الله بن زياد، عندما ألقى رأسه في القصر، ثم خرجت من منخره مرات متعددة) (2) .

وقال «عمر بن الحباب السلمي» يذم جيش ابن زياد):

وما كان جيش يجمع الخمر والزنا *** محلا إذا لاقى العدو لينصرا (3)

وجاء في الحديث :

إن «عبيد الله بن زياد» عاد «معقل بن يسار» في مرضه الذي مات فيه ، فقال له معقل : «إني محدثك حديثا سمعته من رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) يقول :

ما من عبد استرعاه الله رعيته فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة» (4) .

ص: 131

1- عبد الفتاح عبد المقصود: الإمام علي - ج 5 ص 223.

2- ابن الأثير: الكامل ج 4 ص 265.

3- ابن الأثير: الكامل ج 4 ص 266.

4- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - ص 27.

أثناء حرب صفين ، والمحكمة في «دومة الجندل» أتى ذكر «عبدالله بن عمر» - «وسعد بن أبي وقاص» علي لسان الرجال . حيث أرادوا اختيار أحدهما خليفة بعد «علي (عليه السلام)» ولكن «سعد بن أبي وقاص» كان معتزلاً ومؤمناً بأنها أسلم له في دينه ، وإن لم تكن أجدى عليه في دنياه . فهو قد تخلف عن بيعة «علي» وانسلخ عن مجتمعه إلي الصحراء يرعي الغنم .

لكن ابنه «عمر» لم يرضه هذا الخمول من أبيه . فالفتي طموح شغوف بتسنم غوارب الشهرة ، وإن لم تكن هذه الشهرة من غرس يديه ، وكانت ظلاً لأب يستطيع لو شاء، أن يتبدي لقومه في هيئة عملاق.

وهو مولع بذيوع الاسم، واستطارة الذكر . وليس يضيره أن يأتيه هذا الذيوع وهذه الاستطارة ، بأية وسيلة ، ومن أي طريق . وسوف يتلمس إلي مبتغاه : كل سبيل حتي ليهطع إليه حين تحق عليه شقوته ، غير متأثم ، ولا ثقيل الضمير ، وهو يسبح في بركة من دماء «الحسين» الشهيد.

وعندما أخبر أباه : (أحضر دومة الجندل فإنك صاحبها غدا)، فيرفض «سعد» فيشتعل ويلح : «يا أبت احضر، فإنك أحق الناس بالخلافة».

فيرد عليه : « مهلا يا عمر، إني سمعت رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) يقول: (يكون من بعدي فتنة ، خير الناس فيها الخفي النقي، يا بني ، إني لو كنت غامسا يدي في هذا الأمر لغمستها مع علي)» (1).

ولكن الفتى لا يقتنع بهذه الفكرة التي تسيطر علي أبيه . ولا يريد أن يستسلم لها. فهو الابن الضامى للشهرة : التي تأتيه سراعا فيمسك بها ويحضنها ، ولا يفرط فيها، ويستغلها أحسن الاستغلال، فهي ستشهروه بطلا

شجاعا في الوغي، وستوصله إلى أرقى المناصب وأعلاها، وأفضل المراكز وأحسنها .

تلك الشهرة والفرصة، هي قيادة جيش «ابن زياد» الأموي في الكوفة، المأمور بالقضاء على أهل بيت النبي (صلي الله عليه واله وسلم) وقتلهم رجالا، وسبيهم نساء وأطفالا، والتمثيل بالجثث المطروحة عراء.

فعمر بن سعد بالاشتراك مع «عبدالله بن شعبة الحضرمي» هو الذي كتب إلى يزيد بن معاوية بأن «مسلم بن عقيل» يحكم الناس في الكوفة، وأخبراه بقدوم «الحسين» (عليه السلام) ليخلف المسلمين . وطلبا إليه أن يرسل إليهم رجلا قويا غير «النعمان بن بشير» واليا الذي- أصبح من جماعة «مسلم» وبايع الحسين (عليه السلام). وطلبا منه في النهاية حرب الحسين (عليه السلام) وآله.

فإذا كان ذلك موقفه من أبيه أيام خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)،، حيث كانت البداية، بداية طلب الشهرة وحب الظهور، ورغبة القيادة والزعامة، فهذا موقفه الثاني الآن الذي سيمكنه من التوصل إلى بغيته ومناه في الحكم والرئاسة، أي حب الدنيا ورغد العيش، دون حساب إلى أية قيم ومثل أخلاقية، فالرئاسة والقيادة أولا، ثم لا شيء بعد ذلك . فليحصل ما يحصل، فهو عليه أن يعمل ما ينبغي عمله، ويقتل ما يقتل، ليس له في حياته حسابان إلا الظفر بهدفه .

فلننظر قليلا إلى موقفه تجاه حركة «الحسين» (عليه السلام) :

قبل يوم العاشر من المحرم، بعث «الحسين» (عليه السلام) إلى «ابن سعد» يطلب الاجتماع به. فاجتمعا ليلا. وبعدها كتب «ابن سعد» إلى «ابن زياد»: (أما بعد أيها الأمير . فإن الله قد أطفأ الثائرة، وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأمة. هذا «حسين» قد أعطاني عهدا علي أن يرجع إلي المكان الذي أتى منه، أو أن تسيره إلي أي ثغر من الثغور، أو أن يأتي إلي يزيد فيري رأيه

فيما بينه وبينه ، فيكون رجلا من المسلمين ، له مالهم وعليه ما عليهم. وفي ذلك رضا الله وللامة فيه صلاح (1).

ولكن «ابن زياد» كما نعلم، رفض هذا بعد إبداء رأي «شمر بن ذي الجوشن» وهدد «عمر بن سعد» بأنه سيعزله إن لم ينفذ أمر الحاكم والخليفة . فما كان من «عمر» الذي تخوف من إبعاده عن القيادة ثم الولاية، إلا أن يسرع ببدء القتال ، وأمر به الرجال ويضرب لهم المثل الأعلى ليكون قدوة لهم من جهة ليخبروا «ابن زياد» الوالي بأنه نفذ أمره جيدا وعلي أحسن وجه ، من جهة أخرى، فرمي أول سهمهم في المعركة ليفتح مهرجان القتال .

ويوضح أسلوبه بأنه لم يكن صادقا فيما أخبر به الوالي، بأن «الحسين» لا يطلب الحرب والقتال . فلو كان جادا في قوله ، وذانية صحيحة في رأيه ، لما رضي بالحرب ، وتنازل عن القيادة لغيره إذا كان صادقا حقا في مبادرته السلمية ، وكارها لقتال أهل بيت النبي (صلي الله عليه واله وسلم).

ولكنه لم يكن إلا مناورة شخصية خاصة منه أراد الاستفادة منها لتقوية مركزه عند الوالي ، فقد كان ينشد من وراء ذلك أن يظهر للناس أنه القائد الفذ الذي في قدرته أن يفرض السلام كما يستطيع أن يبدأ القتال .

ويتضح موقفه السلبي هذا، وخوفه علي نفسه ومنصبه عندما برز «العباس بن علي» فطلب من «عمر بن سعد» الماء إلي «الحسين» وأهله ، وذكر له أن «الحسين» يقول: (دعوني أذهب إلي بلاد الهند والروم وأخلي لكم الحجاز والعراق).

ولكنه كان علي رأي أميره وسيده بأن ينزل «الحسين» (عليه السلام) علي حكم يزيد، أو يذوق الموت غصة .

ص: 134

1- عمر أبو النصر: آل محمد في كربلاء، ص 82.

كما أن «الحر الرياحي» طلب من «ابن سعد» تجنب قتال «الحسين وأهله» وتعجب من هذا الأمر ودار حوار بينهما تذكره في جزء آخر من هذا الفصل، حيث انفصل بعد هذا الحوار عن الجيش الأموي والتحق «بالحسين» وجماعته .

ولكن ذهبت كل هذه المحاولات أدراج الرياح، ولم تر أذنا صاغية . فقد طبع الله علي قلوبهم وجعلهم صما بكما عميا لا يعقلون.

ثم أن ابن سعد «أكمل عمله جيدا، وأحكم خطته، بأن أحرق الخيام الخاصة بأهل «الحسين (عليه السلام) وداس علي الجثث بحوافر الخيل، وأمر فنهبوا ما كان علي الرجال والنساء من ملابس وأشياء أخرى.

وقد كان ما سلبه القوم من الحسين وجماعته ضمن مطالب «علي بن الحسين» من يزيد، حيث طلب منه :

1- أن يسلمه رأس الحسين (عليه السلام).

2- وأن يرد ما سلبه القوم منهم، أو قتله إذا شاء .

3- وأن يرجع أهل البيت (عليه السلام) إلي المدينة .

فما سلبه القوم، كان من مطالب «زين العابدين» (عليه السلام).

وفي النهاية ، كان «ابن سعد» هو الذي ساق نساء الحسين (عليه السلام) وقاد السبايا بعد مقتله بأمر من ابن زياد علي طريق جثث القتلي التي لم تزل مطروحة بالعراء (1). بعد أن دفن قتلاه.

وقال فيه النبي (صلي الله عليه واله وسلم) : (يكون مع قوم يأكلون الدنيا بألسنتهم كما تلحس الأرض البقرة بلسانها).

ص: 135

1- العقاد : أبو الشهداء ص 55/ أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ص 167.

وكان أبوه «سعد» ناقماً عليه لما سمعه من رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) فيه . كما أن (هارون الرشيد) لعنه وحكم عليه بالإلحاد والمروق من الدين (1).

3 - شمر بن ذي الجوشن :

هو ذلك الإنسان الذي لا يعرف عملاً في حياته سوى الحصول علي ما يتمناه بأية وسيلة، إذا كان يعلم ما يريد، وإذا كان يعلم وسيلة، فهو الشخص الذي به لوثة في عقله فلا يعلم حقاً أو عدلاً ، ولا يعي باطلاً أو ظلماً.

فقد كان يصطنع المذهب الخارجي ليجعله حجة يحارب بها علياً وأبناؤه ولكنه لم يتخذه حجة ليحارب بها معاوية وأبناؤه ، فكأنه يتخذ الدين حجة للحقد ثم ينسي الدين والحقد في حضرة المال (2) .

وكان يظن أن جميع الناس علي شاكلته في لوثته وتخبط عقله ، وفي ارتباك عقيدته ، وخلو ذهنه من مبدأ أو هدف سام. ففي أثناء معركة كربلاء، نادي علي جماعة من أهله وصاح: أين بنو أختنا؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان ، أبناء علي (عليه السلام) فقالوا : ما تريد؟ قال : أنتم يا بني أختي آمنون . فقالوا : لعنك الله ولعن أمانك لئن كنت خالنا. أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له.

لكنه علي الرغم من لوثته كان يبحث في الحصول علي منصب أو مكانة أو مال ، وقد اجتهد في ذلك ما أمكنه. فحينما طلب «عمر بن سعد» من «ابن زياد» الأمان - للحسين (عليه السلام) ولما استحسنت «ابن زياد» هذا الأمر، وثب «شمر» الذي كان حاضرة المجلس وقال : (والله لئن رحل الحسين ولم يضع يده في يدك ليكونن أولي منك بالقوة ، وأنت أولي بالضعف والعجز، فلا

ص: 136

1- باقر القرشي ج 3 ص 106 - مختصر البلدان لابن الفقيه / ص 271.

2- العقاد : عبقرية الإمام ص 204.

تعطيه هذه المنزلة فإنها من الوهن، ولكن فليُنزل «حسين» علي حكمك هو وأصحابه ، فإن عاقبت فأنت أولي بالعقوبة ، وإن عفوت كان ذلك (1).

وقد أثر قوله هذا في «ابن زياد» الذي بعثه إلي «ابن سعد» يأمره بالقتال «فإن أبي فأنت الأمير عليه وعلي الناس ، واضرب عنقه وابعث إلي برأسه» .

فقد كان ذلك هو عمله الفعلي والحقيقي، وليس البحث في المراوغة والمهادنة.

ثم وصاه بأن يخبر «ابن سعد»: «فإن قتل الحسين فأوطيء الخيل صدره وظهره فإنه عاق شاق قاطع ظلوم. فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أنت أبيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر وبين العسكر» (2).

وفي الحرب عندما شاهد «شمر» قدرة الحسين (عليه السلام) وأصحابه القتالية ، وصمودهم القوي أمام الجمع الحاشد من الجيش الأموي، رأى أن يغير من الخطة العسكرية حتي ينهي المعركة سريعاً لصالح دولته فأشار علي «ابن سعد» بقوله :

(أيها الأمير، إن هذا الرجل - يعني الحسين - يفنينا كلنا بمبارزته . فقال : كيف نصنع؟ قال : فليحملوا عليه حملة واحدة ، فرقة يضربونه بالسيوف والرماح، وفرقة بالنبل والسهم) (3) ففعلوا حتي أضعفه الجرح الكثير وأصابه سهم «خولي». ولكن لم يتجرأ أحد منهم أن يبادر إلي قتله خوفاً ومهابة منه، فأخذ «شمر» يذم ويسب من لا يتعجل قتل الحسين وقال : (والله

ص: 137

1- عمر أبو النصر: آل محمد في كربلاء ص 82.

2- ابن الأثير: ج 4 ص 55.

3- الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي ص 348 من كتابه المسمي بمقتل أبي مخنف الذي ذكر فيه شهادة الحسين.

ما كان أحد غيري أحق مني بقتل الحسين) (1). فقام وهجم عليه فجثم علي صدره لقتله ، فقال له الحسين :

«من أنت يا هذا وما تريد مني ، فقد زدتنني كربا علي كربي . فقال شمر : ألم تعرفني؟ قال الحسين : لا أعرفك بخير . فقال شمر : ولكنني أنا أعرفك ، أنت الحسين بن علي المرتضي ابن فاطمة الزهراء، وأني أريد رأسك وأخذه إلي يزيد وابن زياد طمعا في الجائزة » (2) .

نعم كان الطمع في الجائزة حقا هدفا من أهدافه ، ودافعا قويا لنيله حتي لو كان قطع رأس الحسين (عليه السلام).

4 - مسلم بن عقبة المري:

كان المجتمع الحجازي هو المجتمع الأقوي في معارضة «يزيد» وكان موقفه أعنف من غيره من المجتمعات الإسلامية تجاهه؛ حيث تكمن فيه المدينتان المقدستان عند المسلمين ؛ مكة والمدينة .

ففي الأولي بيت الله وحرمه! وفي الثانية بيت النبي (صلي الله عليه واله وسلم) وحرمه . وقد خرجت منهما أقوي الثورات وأعنفها تكافح الحكم الأموي وخاصة حكم يزيد بن معاوية . فلم يقبل حزب المدينة بحكمه ورفضه ابتداء وإن قبل بيعته كرها. ولذا أسرع «يزيد» بالتخلص منها عندما خرجت رأسها قبل أن تبدأ فكان من مبدئه التخلص من العناصر الإصلاحية التي تغلفها الناحية الدينية وذلك بضرب أية حركة إصلاحية تبرز فيهما! لأنه متي ما تخلص من الإصلاح والقائمين عليه والمنادين به ؛ تقلصت بعده العصبية الروحية وانحلت ، وانفسخت الروابط الدينية ، وبقيت بعد ذلك العصبية الجاهلية ؛ وبرزت

ص: 138

1- الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي ص 348 من كتابه المسمي بمقتل أبي مخنف الذي ذكر فيه شهادة الحسين.

2- محمد رضا: الحسن والحسين ص 110.

الروابط الدنيوية ؛ فتسهل المعاملة معها حينئذ؛ كما أنه من ناحية أخرى رأي أن البيت الأموي سيظل في خطر ما دام الأنصار وسيظل مهدداً بالبيت العلوي ما بقيت المدينة . فلما تخلص «يزيد» من الحسين وصحبه، تأهب للقضاء علي من بقي من زعماء الإصلاح في مكة والمدينة كعبدالله بن الزبير الثائر في مكة ، وزينب بنت علي بن أبي طالب ؛ وعبدالله بن حنظلة الثائرين في المدينة ؛ الذين عملوا علي طرد الأمويين من الجزيرة العربية وإبعادهم خارجها (1).

وكان رحله إلي المدينة : «مسلم بن عقبة» بعثه «يزيد» إليها في جيش كبير ليؤدب أهلها المعارضين لحكمه؛ ووصاه أن يعظهم لعلمهم يرجعوا عن غيهم ويفوقوا إلي رشدهم وإلا فليقاتلهم : (دع القوم ثلاثاً ؛ فإن هم أجابوك وإلا فقاتلهم ؛ فإذا ظهرت عليهم فأبجها ثلاثاً ، فكل ما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجد؛ فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس) (2) . واختيار «يزيد» لمسلم هذا كان عن وصية من أبيه ؛ فيذكر «أبو اليقطان» أنه لما حضرت معاوية الوفاة دعا «يزيد» وقال له (إن لك من أهل المدينة يوماً ؛ فإذا فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفنا نصيحته) (3).

وعندما أنهى «مسلم» عمله وبالذي صنعه في أهل الحرة كتب إلي «يزيد» بذلك؛ فوقع في أسفل كتابه (فلا تأس علي القوم الفاسقين) يقصد بهم أهل المدينة (4).

وعندما بعث إليه برؤوس أهلها وألقيت بين يديه ؛ جعل يتمثل «ابن الزبيري» يوم أحد :

ص: 139

- 1- عبدالله العلابي: الإمام الحسين ص 26.
- 2- ابن الأثير: ج 4 ص 45.
- 3- ابن عبد ربه : العقد الفريد ج 4 ص 387.
- 4- ابن عبد ربه : العقد الفريد ج 4 ص 207.

ليت أشياخي ببدر شهدوا *** خرج الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحا *** ولقالوا ليزيد لا فشل (1)

وأما قائده إلي مكة فكان «الحصين بن نمير السكوني» الذي بعثه إلي «عبدالله بن الزبير» وقد ضرب الكعبة بأسلحة نارية أحرقتها. وكان ذلك في آخر حياة يزيد؛ فمات دون أن يجني ثمار عمله فلم يستطع التخلص من «ابن الزبير» الذي قضى بقية حياته يقاتل جيوش الأمويين .

إن أثر الاضطهاد والعنف الذي استخدم مع أهل مكة والمدينة ؛ وأثر سياسة بني أمية التي عزلت أبناء الأشراف في الحجاز عن مهام الملك وشؤون السياسة ؛ وحبستهم هناك في فراغ ؛ كانت هذه السياسة مفسدة للشباب ؛ إذ أخذ الأمويون يغدقون عليهم المال في سحاء وترف؛ ظهر وبان في الفساد والانحلال في مجتمع الحجاز؛ وبذلك قضوا عليهم أن ينفقوا أيامهم في اللهو والعبث؛ ويبلوا حياتهم في العبث والمجون ، فدفعوا بعملهم هذا بتشجيع حياة المجون في تلك العاصمتين الدينيتين للإسلام . وتصدوا به إلي القضاء علي ما لهما من نفوذ ديني كبير وسيطرة روحية نافذة . وقد كان ذلك خاضعا لسياسة مقصودة؛ فاستأجروا طوائف من الشعراء والمغنين والمخنثين لأجل أن يمسحوا عاصمتي الدين بمسحة لا تليق بهما ولا تجعلهما صالحتين للزعامة الدينية ؛ وليخلصوا من سيطرتهما؛ وقد ظهر أيام «يزيد» الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي وأظهر الناس شرب الشراب (2).

وستناول أحداث تلك الفترة عند التحدث عن نتائج ثورة الحسين (3).

ص: 140

1- ابن عبد ربه : العقد الفريد ج 4 ص 390.

2- بنت الشاطيء : سكينه بنت الحسين ص 163 - عبدالله العلايلي : الإمام الحسين ص 26.

3- انظر الصفحات من (الفصل السادس).

الفصل الخامس: خروج الحسين عليه السلام ونهضته وخطوات سيره إلى كربلاء

إشارة

ص: 141

رأى الحسين أن يقوم بواجبه الديني الذي فرضه الله سبحانه وتعالى علي الإنسان المؤمن بالجهاد في سبيله، وبما فرضه (النبي - صلي الله عليه واله وسلم) علي المسلمين بالجهاد في سبيل الله ، وبما تلقنه هو من مبادئ وأهداف سامية من جده (صلي الله عليه واله وسلم) وأبيه (عليه السلام) حتي يحفظ للإسلام نقاوته وصفاء مبادئه الجليلة ، ويبعد الانحراف عنه خوفاً من تمكنه ، كي يسلك المسلم الطريقة المستقيم الذي أوضحه الله للخلق ليسير فيه توجهاً إليه سبحانه .

والحسين (عليه السلام) في سبيل تنفيذ مبدئه السماوي لم يعمل علي مناداة المسلمين للتجمع حوله وحرب الإمام الجائر، أعني لم يكن عمله ارتجالاً - بل إن معركته في إبراز الحق وإثباته مرت في مراحل متعددة وخطوات مرسومة، واتخذت صوراً مختلفة ، كما استخدم أدوات ووسائل عدة في إعلان الحرب علي «يزيد» فلم يقتصر علي استخدامه سلاح السيف والقوة والميدان الحربي . فمما يلاحظ أن القاريء لمسألة الحسين (عليه السلام) من أول وهلة يتخيل أن الحسين (عليه السلام) اتصل سريعاً بأهل الكوفة وراسلهم وراسلوه ، ثم تجهز لمعركة غير متكافئة ، راح ضحيتها أنبل وأشرف البشر. هذا ما يراه الإنسان الذي لا ينظر إلي الأحداث بعين فاحصة ، بل يمر عليها سراعاً دونما تحليل وتعليل لها.

فما حدث كان غير ذلك تماماً، لأن معركة الحسين (عليه السلام) - في تحليلها ،

مرت بمراحل وخطوات عدة قبل أن تصل إلي نهايتها المأساوية ، ونحن يمكننا تقسيمها إلي الأقسام التالية ، ومنها ما حدثت أثناء حياته ، مثل ما جرت منها بعد استشهادها، فهي لم تنته في وقتها فقط، بل استمرت بعد شهادته ممن اعتنق مبادئه وأفكاره وتمصصها بعد أن ثبتت الأسباب والنتائج في عقول الناس فعرفوا ما كان يهدف إليه الحسين (عليه السلام) من نهضته وحركته الجبارة .

والمراحل التي مرت بها الحركة وتطوراتها، يمكن تقسيمها كما يلي :

- 1- موقفه من البيعة ليزيد.
- 2- موقفه من المعارضين لموقفه بالخروج علي الحاكم الجائر .
- 3- المراسلات التي جرت بينه وبين الأطراف المعارضة لحكم يزيد .
- 4- إرساله السفراء إلي الشعوب وزعمائها المعارضين للنظام الحاكم وإلي شعوب أخري يوضح لها موقفه من النظام وموقف النظام منه ، وسياسة الدولة تجاه الشعوب الإسلامية .
- 5- اختبار الكوفة محلا للصراع بين الحق والباطل .
- 6- الطريق وأهميته بالنسبة لدعوة الحسين (عليه السلام).
- 7- خطبه التي ألقاها في جموع المسلمين، المؤيدين له والمعارضين، في مناسبات مختلفة، يوضح فيها أهدافه وسياسته ، وسياسة الأمويين، وذلك علي أمل أن تؤثر فيهم وعسي أن يرجعوا عن موقفهم اللاواعي .
- 8- رجاله وأنصاره وموقفهم منه .
- 9- استخدام القوة وإعلان الحرب علي الباطل والتلاحم العسكري .
- 10- المرحلة الأخيرة، وهي مرحلة ما بعد استشهادها ، أي النتائج التي ترتبت علي شهادته وقتله مع أهله وجماعته .

أولا - موقفه من البيعة ليزيد :

لم يكن موقفه المعارض من بيعته حين طلبها منه والي المدينة، هو الأول من نوعه بل لقد عارضها منذ أول ظهورها وبروزها، أي منذ أن فكر فيها معاوية من قبل عندما قرر أن يورث الخلافة في أبنائه. فقد أصبح الحسين المعارض الأول لبيعته، وتجمع الناس حوله، مما جعل «مروان بن الحكم» الوالي بالمدينة يكتب في ذلك إلي معاوية :

(أما بعد، فقد كثر اختلاف الناس إلي حسين، والله إنني لأري لكم منه يوما عصيبا).

عند ذلك أدرك معاوية الخطر، فهدد الحسين بقوله: (فإنك متي تكدني أكدك)، وأظهر له مخاوفه من موقفه المعارض له، وأخبره بالأزمة التي ستصادفه بعد موته في كتاب له قاصدا ثنيه وإبعاده عن مبادئه، (والله أتخوف أن تبلي بمن لا ينظرك فواق ناقة)، فهو يهدده بمن سيخلفه من بعده، الذي لن يؤمن بمكانة الحسين ومنزلته من الرسول (صلي الله عليه واله وسلم).

ولكن الحسين أوضح موقفه لمعاوية ببيان أسلوبه الخاص في معالجة المواقف الحرجة التي تصادفه، ومعالجته لمواقف الثوار المصلحين المبتغين وجه الله، فبعث إليه مهددا يبرز أعماله اللإنسانية، والتي كان آخرها تولية العهد لابنه، وقد طلب أيضا في رسالته المشهورة إلي معاوية تجنب التفكير في مسألة توريث الخلافة، مذكرا إياه بالمعاهدات التي أبرمها مع أخيه الحسن (عليه السلام) :

(كفعلك بهؤلاء الذين قتلتهم ومثلت بهم بعد الصلح والأيمان والعهد والميثاق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قتلوا إلا لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقنا، بما به شرفت وعرفت، مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم من قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا. أبشر يا معاوية بقصاص، فليس الله تبارك

وتعالى بناس أخذك بالظنة وقتلك أوليائه بالتهمة، ونفيك إياهم من دار الهجرة إلى الغربية والوحشة، وأخذك الناس ببيعة ابنك غلام من الغلمان يشرب الشراب، ويلعب بالكعاب، لا أعلمك إلا قد خسرت نفسك، وشريت دينك، وغششت رعيتك، وأخزيت أمانتك، وسمعت مقالة السفية الجاهل، وأخفت التقي الورع الحلیم) (1).

وكما هو معلوم، أن معاوية تمكن من أخذ البيعة لابنه من أبناء الصحابة بالإكراه والقسر، واستخدام العنف والقوة في تنفيذ فكرته. ولذا عندما مات أحلوا أنفسهم من البيعة. ولذلك أيضا عندما استلم «يزيد» الحكم لم يتخوف من معارضة له سوي أبناء كبار الصحابة في الحجاز، فكتب إلي عامله علي المدينة (الوليد بن عتبة): (أما بعد، فخذ حسينا وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذا شديدا ليست فيه رخصة حتي يبايعوا) (2).

وتردد «الوليد» في هذا الأمر فأراد أن يأخذ رأي «مروان بن الحكم» فيه، فقال «مروان»:

(فإني أري أن تبعث الساعة إلي هؤلاء نفر فتدعوهم إلي البيعة والدخول في الطاعة فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم، وإن أبوا قدمتهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية. فإن علموا بموته وثب كل امريء منهم في جانب وأظهر الخلاف والمنايضة ودعا إلي نفسه. أما ابن عمر فلا أراه يري القتال، ولكن عليك بالحسين وابن الزبير، فابعث إليهما فإن بايعا وإلا فاضرب أعناقهما) (3). « وكان موقفه هذا من الحسين ردا علي

ص: 146

-
- 1- الأميني: الغدير ج 10 ص 160 - أبو منصور الطبرسي: الاحتجاج ج 2 ص 20 - عبد الحميد جودة السحار: حياة الحسين ص 76.
 - 2- عمر أبو النصر: مرجع سابق ص 60- الطبري ج 1 ص 188.
 - 3- محمد رضا مرجع سابق ص 70.

موقف الحسين منه بعد موقعة الجمل عندما طلب من أبيه العفو له» ولكن «الوليد» لم يكن من رأيه موقف «مروان» المتشدد ظاهرا، وطالب الحكم باطنا، فكما قيل كان يفكر ويدبر ليوم غير هذا اليوم، فهو لا- يود أن يحكم أيا من أبناء الصحابة، ولا حتي أي فرد من بيت أمية السفيناني، فهو يفكر ويدبر للمروانيين .

ولذا، أجابه الوليد: (أتشير علي بقتل الحسين ، والله إن الذي يحاسب بدم الحسين يوم القيامة لخفيف الميزان عندالله ، لا والله لا يراني قاتل الحسين بن علي ولو أعطاني يزيد الدنيا بحذافيرها) (1). وبعث إلي الحسين يأخذ رأيه في أمر البيعة ، فكان رده :

(أيها الأمير ، إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة . بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد فاسق فاجر شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة ، معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله ، ومثلي لا يعطي بيعته سرا، فإذا خرجت إلي الناس فدعوتهم إلي البيعة دعوتنا معهم فكان الأمر واحدة. ولا أراك تجتزيء بها مني سرا دون أن تظهرها علي رءوس الناس علانية) (2).

وقد أحس الحسين بأن المسألة ليست مسألة أخذ رأي و مشاوره، ولا هي قضية ديمقراطية أو شورى في اختيار الحاكم، بل إن المسألة والقضية ، أنه لا بد له من البيعة رضي أم أبي. فإن رضي بالأمر، من الجائز أن يشم رأسه الهواء، وإن أبي فلا بد أن يقتل في سبيل الحق عندما لا يستسلم للباطل مثلما ذكر ذلك كثيرا لأصحابه .

وقد تأكد لديه هذا الواقع المر، فاضطره إلي الخروج من مدينة جده

ص: 147

1- علي حسني الخربوطلي : عشر ثورات في الإسلام ص 80.

2- إبراهيم بيضون: ص 56 - محمد مهدي شمس الدين : ثورة الحسين ص 134- الطبري ج 6 ص 189.

(صلي الله عليه واله وسلم) بعد أن ودعه إلي مكة المكرمة حيث بيت الله الحرام عسي أن يأمن شر يزيد وأنصاره .

وعند خروجه لم تبق جارية ولا مولي ولا فتاة ألا وتعلق به وبنسائه وأولاده . لم يبق أحد . فالكل يرغب في أن يبقى معهم في مدينة جده (صلي الله عليه واله وسلم) ليكون لهم حاميا ضد الطغاة والجبابرة ، فلا يدري أحد ما سيحدث لهم بعد خروجه . فتوجه إلي مكة وهو يقرأ : (فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين) (1) .

ولكن هل من نجاة؟ وهل من عيش في جدار من جدران الأرض المباركة؟ وهل من استقرار فيها؟ وهل من مفر من مطاردة عصابة الحاكم وجلاديه؟

هذا هو السؤال : أن تكون أو لا تكون؟ ومن الطبيعي أن الأفضل ألا تكون.

ولذا، لم يتمكن الحسين من الاستقرار في بيت الله الحرام، فقد تتبعه الرجال الإرهابيون السريون من قبل الحكومة ونشطوا في مطاردته لاغتياله . وقد أوضح « ابن عباس » مسألة مطاردة يزيد للحسين (عليه السلام) واغتياله بالحرم الشريف في كتاب إليه : (فلمست بناس إطرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) إلي حرم الله ، ودسك إليه الرجال تغتاله فأشخصته من حرم الله إلي الكوفة) (2) .

وهو هنا يتهم «يزيد» بأن جيوشه أرغمته، ليس علي الخروج من المدينة إلي مكة ، بل علي الخروج من مكة إلي العراق حتي يسهل قتله . فحينما أحس الحسين (عليه السلام) أن سيوفهم قربت منه، لم يجد إلا الإعلان عن

ص: 148

1- إبراهيم بيضون: ص 70.

2- المسعودي : المروج ج 3 ص 54.

خطته والابتداء بها، وإعلان رحلته الطويلة إلي الله وفي سبيله .

وهي المرحلة الثانية لمراحل معركته البطولية ضد الطغاة، عندما يحاول جمع من أبناء الصحابة وغيرهم من سادات قريش صرف نظره عن الخروج من مكة إلي العراق ، وإبعاده عن إعلان ثورته للعالم والبشرية جمعاء .

ثانيا - موقف الحسين (عليه السلام) من المعارضين لموقفه، من البيعة، ومن الخروج علي الحاكم الجائر:

حاول بعض أبناء الصحابة ومنيرهم من أن يهديء من ثائرة الحسين (عليه السلام) وأن يثنيه عن عزمه، ظنا منهم أن إعلانه الثورة علي الحاكم دون ما سبب يوجبه ، وذلك لاختلاط الفهم عندهم بالوضع السائد آنذاك ، ولعدم علمهم بنيته وخططه تجاه الإسلام والمسلمين، فابتغوا التأثير علي نفسيته بمهادنة «يزيد»، ولكن رده عليهم كان صريحا وجريئا، وقوة ثابتا واحدا لا تردد فيه ولا تغيير .

فحينما نصحه «عبدالله بن عمر» بالصلح مع يزيد وعدم الخروج إلي العراق بقوله : (أبا عبدالله ، رحمتك الله ، اتق الله الذي إليه معادك، فقد عرفت من عداوة أهل هذا البيت - أي الأموي - لكم، وقد ولي الناس هذا الرجل يزيد، ولست آمن من أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصفراء والبيضاء فيقتلونك، ويهلك فيك بشر كثير، فإني قد سمعت رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) يقول : حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه ولن ينصروه، ليخذلهم الله يوم القيامة ، واصبر فلعل الله أن يحكم بينك وبين القوم الظالمين) (1).

قال له الحسين :

ص: 149

(أنا أبايع يزيد وأدخل في صلحه ، وقد قال النبي (صلي الله عليه واله وسلم) فيه وفي أبيه ما قال ؟ يا عبدالله ، أنا عندك علي خطأ من أمري؟ فإن كنت علي خطأ فردني فأنا أخضع وأسمع وأطيع). قال «ابن عمر» : (اللهم لا ، ولم يكن الله تعالى يجعل ابن بنت رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) علي خطأ، وليس مثلك من طهارته وصفوته من رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) علي مثل يزيد بن معاوية - ولكن أخشي أن يضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف، وتري من هذه الأمة ما لا تحب . فارجع معنا إلي المدينة ، وإن لم تحب أن تباع ، فلا تباع أبدا واقعد في منزلك).

فرد عليه الحسين :

(هيهات يا ابن عمر، أن القوم لا يتركونني وإن أصابوني، وإن لم يصيبوني، فلا يزالون حتي أبايع وأنا كاره أو يقتلونني . يا أبا عبد الرحمن ، أما علمت أن من هوان الدنيا علي الله أن رأس «يحيي بن زكريا» أهدي إلي بغي من بغايا إسرائيل. اتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي) (1).

كما حاول أخوه : «محمد بن الحنفية» أن يغير من موقفه وتفكيره في الخروج إلي مكة ، فقال له:

(تنح يا أخي ببيعتك عن يزيد وعن الأمصار ما استطعت، وابعث برسلك إلي الناس ، فإن بايعوك حمدت الله علي ذلك ، وإن اجتمعوا علي غيرك ، لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ، ولا تذهب مروءتك).

فرد عليه :

(جزاك الله يا أخي خيرا، فقد نصحت وأشفقت، وأنا عازم علي

ص: 150

1- باقر القرشي: المرجع السابق ج 2 ص 320- محمد مهدي شمس الدين : المرجع السابق ص 156.

الخروج إلي مكة وأنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي. فإني أنزل مكة ، فإن اسقرت بي الديار أقمت بها، وإلا فألحق بالرمال التي وراء الجبال (1).

يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوي ، لما بايعت يزيد بن معاوية وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت بطلب الإصلاح في أمة جدي (صلي الله عليه واله وسلم) أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي ، فمن قبلي بقبول الحق فالله أولي بالحق، ومن رد علي، أصبر حتي يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين).

ثم وصاء قائلاً :

(وأما أنت فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عينا لا تخف عني شيئاً من أمورهم) .

ولما ألح عليه ابن الحنفية في طلبه ، قال له :

(أتاني رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) بعد ما فارقتك وقال لي : يا حسين أخرج فإن الله شاء أن يراك قتيلاً) (2) .

وقد التقي «عبدالله بن مطيع» بالحسين (عليه السلام) وهو في الطريق إلي مكة ،

فسأله : «جعلت فداك أين تريد؟ قال : أما الآن فمكة ، وأما بعد ذلك فإني أستخير الله » .

فقال «عبدالله» : (خار الله لك وجعلنا الله فداءك. فإذا أتيت مكة فإياك أن تأتي الكوفة ، فإنها بلدة مشؤومة ، بها قتل أبوك وخذل أخوك واغتيل بطعنة كادت تأتي علي نفسه. الزم الحرم فأنت سيد العرب. لا يعدل بك أهل

ص: 151

1- هاشم معروف الحسيني : سيرة الأئمة الاثني عشر - القسم الثاني ص 57 - شمس الدين : ص 70 - الطبراي ج 6 / ص 190.

2- باقر القرشي: ج 3 ص 32.

الحجاز أحدا ، ويتداعي إليك الناس من كل جانب ، لا تفارق الحرم يا أبا عبدالله ، فذاك عمي وخالي ، والله لئن هلكت لنسترقن بعدك ، فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك ، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحدا أبدا ، والله إنها لحرمة الإسلام تنتهك ، وحرمة قريش وحرمة العرب . فلا تفعل ولا تأت الكوفة ، ولا تعرض نفسك لبني أمية(1).

ولكن الحسين أبي إلا أن يمضي . وخاصة أن أنصاره في العراق أرسلوا إليه الرسائل والرسائل كي يتوجه إليهم ليقود ثورتهم ضد يزيد وولاته . فكان أن عزم وتوكل علي الله .

وعندما سمع الناس بأمره وقراره ، ثاروا وتسارعوا إليه وتدافعوا حوله ، لا ليثنوه عن عزمه فحسب ، بل ليعيدوا عنه مجرد التفكير في السير إلي الكوفة وترك الحرم الشريف (2) ، لأنه سيد العرب فعليه بالزام الحرم ، ولأن الكوفة بلدة مشؤومة كما قال ابن المطيع .

فأسرع إليه «عبدالله بن العباس» الذي تمنى ألا يخرج إلي العراق وقال له : (يا بن عمي ، قد بلغني أنك تريد العراق ، وأنهم أهل غدر ، وإنما يدعونك للحرب فلا- تعجل ، وإن أبيت إلا محاربة هذا الجبار ، وكرهت المقام بمكة ، فاشخص إلي اليمن ، فإنها في عزلة ، وفيها حصونا وشعابا ، ولك فيها أنصار وإخوان ، فأقم بها وبث دعائك ، واكتب إلي أهل الكوفة وأنصارك بالعراق فيخرجوا أميرهم ، فإن قوا علي ذلك ونفوه عنها ولم يكن بها أحد يعاديك أتيتهم ، وما أنا لغدرهم بآمن ، وإن لم يفعلوا أقمت بمكانك إلي أن يأتي الله بأمره) (3).

ص: 152

1- ابن الأثير: ج 4 ص 41- هاشم معروف : المرجع السابق ص 57.

2- إبراهيم بيضون: ص 70/ الطبري ج 1 ص 196.

3- المسعودي: المروج ج 3 ص 54.

وقد أجابه الحسين (عليه السلام) بأن رسوله وسفيره «مسلم بن عقيل» إلى العراق ، قد كتب إليه بإجماع أهل الكوفة علي بيعته ونصرته.

عندئذ طلب منه «ابن عباس» عدم اصطحاب أهل بيته وإخراج النساء والأولاد معه قائلا : (فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان بن عفان ونساؤه وولده ينظرون إليه) فرد الإمام (عليه السلام): (قد شاء الله أن يراهن سبايا)، وأضاف:

(لأن أقتل في أي مكان من الأرض أحب إلي من أن أقتل هنا فيستباح البلد الحرام بسببي). ويفسر المؤرخون قول الحسين (عليه السلام) في اصطحاب أهله، بأنه كان يرمي إلي أن يشهد الناس ما يقترفه أعداؤه ما لا يبرره دين ولا وازع من إنسانية (1).

وكذلك حاول «عبدالله بن عمر» منعه من الذهاب إلي الكوفة ، فقد خرج براحلته يسرع الخطي يطلبه في الطريق : أين تريد يا ابن رسول الله ؟ قال : العراق . فقال : ارجع إلي حرم جدك . فأبى عليه. ولما أصر قال له : يا أبا عبدالله أكشف لي عن الموضوع الذي كان رسول الله يقبلك منه. فكشف له الحسين عن سرته فقبلها «ابن عمر» ثلاثا وبكي وهو معتنقه وقال : أستودعك الله يا أبا عبدالله من قتيل (2).

كما جرب «عبدالله بن جعفر» و«عمر بن سعيد بن العاص الأشدق» والي مكة في إقناعه بعدم توجهه إلي العراق ، فقال لهما: (إني رأيت رؤيا، رأيت فيها رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) وأمرت فيها بأمر أنا ماض له، علي كان أولي).

فقال : ما تلك الرؤيا؟ قال : ما حدثت بها أحدا وما أنا محدث بها أحدا

ص: 153

1- باقر القرشي : ج 2 ص 297.

2- هاشم معروف : المرجع السابق ص 68 - علي حسني الخربوطلي : عشر ثورات في الإسلام ص 80.

حتى ألقى ربي (1). وقد أعطاه الوالي الأمان حتى يرجع، فقال: «خير الأمان، أمان الله».

وحاولت السيدة «أم سلمة» أيضا منعه فقالت: (يا بني لا تحزني بخروجك إلي العراق، فأني سمعت جدك رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء وعندني تربتك في قارورة دفعها إلي النبي (صلي الله عليه واله وسلم)).

فأجابها الإمام (عليه السلام): (يا أماه وأنا أعلم أنني مقتول مذبح ظلما وعدوانا) (2).

كما رد علي «ابن الزبير» حينما نصحه: «والله لئن أقتل خارجا منها بشير أحب إلي من أن أقتل فيها. وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا بهم حاجتهم، والله ليعتدن علي كما اعتدت اليهود في السبت (3).

ومن الذين جربوا نصحه في محاولة لإثناؤه عن عزمه: (أبو بكر بن الحارث بن هشام) وهو من سادات قريش وأحد الفقهاء السبعة ويقال له، راهب قريش. نصح الإمام بقوله: (كان أبوك أقدم سابقة وأحسن في الإسلام أثرا، وأشد بأسا، والناس له أرجي، ومنه أسمع وعليه أجمع. فسار إلي معاوية والناس مجتمعون عليه إلا أهل الشام وهو أعز منه، فخذلوه وتناقلوا عنه حرصا علي الدنيا وضنا بها، فجرعوه الغيظ وخالفوه، حتي صار إلي ما صار إليه من كرامة الله ورضوانه. ثم صنعوا بأخيك بعد أبيك ما صنعوا. وقد شهدت ذلك كله ورأيتة. ثم أنت تريد أن تسير إلي الذين عدوا

ص: 154

1- ابن الأثير: ج 4 ص 41 - الطبري ج 6 ص 219.

2- باقر القرشي: ج 3 ص 32.

3- ابن الأثير: ج 4 ص 38.

علي أيبك وأخيك تقاتل بهم أهل الشام والعراق، ومن هو أعد منك وأقوي، والناس منه أخوف، وله أرجي، فلو بلغهم مسيرك إليه لاستطمعوا الناس بالأموال وهم عبيد الدنيا، فيقاتلك من وعدك أن ينصرك، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره (1).

فقال الحسين: «جزاك خيرا يا بن عم، فقد أجهدك رأيك، ومهما يقض الله يكن». ولما يئس منه قال: عند الله نحتسب أبا عبد الله.

فالحسين قد عزم علي أمر، وإذا عزم فتوكل علي الله، وليس هو الذي يخشي الموت والقتل، وهو القائل: (موت في عز خير من حياة في ذل).

وطلب منه كذلك «جابر بن عبد الله الأنصاري» عدم الخروج، فأبي الإمام (عليه السلام)، وكتب إليه «المسور بن مخزومة بن نوفل القرشي الزهري» الذي كان من أهل الفضل والدين: (إياك أن تغتر بكتب أهل العراق، ويقول لك ابن الزبير الحق بهم فإنهم ناصروك، إياك أن تبرح الحرم) (2).

وعندما نزل «بطن العقبة» وهو في الطريق إلي الكوفة، أراد أحد الأعراب أن يثنيه عن سيره، فبين له الأحوال هناك، فقال الحسين: «إنه لا يخفي علي ما ذكرت، ولكن الله عز وجل لا يغلب علي أمره» (3)، فارتحل منها.

كما عرض «الطرماح بن عدي الطائي» عليه أن يسير معه إلي جبالهم «اجا» وقال له: (فإن هاجك هيح فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم).

ص: 155

1- المسعودي: الروح ج 3 / ص 56.

2- باقر القرشي: ج 3 ص 24.

3- ابن الأثير: ج 4 / ص 43.

واستأذن الحسين بأن عليه القدوم علي أهله يوصل مؤنتهم، علي أن يعود ليحارب معه قائلا : (فوالله لأكونن من أنصارك) رد عليه الحسين : جزاك الله وقومك خيرا، إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر علي الانصراف ولا ندري علي ما تتصرف بنا وبهم الأمور في عاقبة (1). ولكنه عندما رجع للوقوف معه ، سمع بمقتله فعاد إلي بلاده (2) .

وطلب منه «الفرزدق» أيضا الرجوع وهو في طريقه إلي الكوفة ، فقد وصف له أهلها بأن «قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية ، والقضاء ينزل من السماء . والله يفعل ما يشاء» فقال الحسين : (صدقت الله الأمر والله يفعل ما يشاء، وكل يوم هو في شأن، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله علي نعمائه وهو المستعان علي أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يعتد من كان الحق نيته والتقوي سريرته. قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) (3) .

فالحسين (عليه السلام) هو المؤمن بقضاء الله وقدره، والمؤمن بالحق ولا شيء غير الحق . فلم يطلب غيره ، ولو كان يريد سواه، لاستغل فرصته التي أتته وهو في الطريق ، وشن هجوما كاسحا علي الكتيبة التي أرسلها «ابن زياد» وعلي رأسها الحر بن يزيد الرياحي عندما أشار عليه أصحابه بذلك، وكان في إمكانه القضاء عليها. ولكنه لم يخرج لمثل تلك الأمور، ولم تكن من أهدافه ، يأتي الله له ذلك ورسوله والمؤمنون.

وكتبت إليه «عمرة بنت عبد الرحمن» تعظم عليه ما يريد أن يصنع وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة وتخبره إن لم يفعل إنما يساق إلي مصرعه فتقول:

ص: 156

- 1- الطبري ج 6 ص 231 .
- 2- ابن الأثير: ج 4 ص 50.
- 3- إبراهيم بيضون: ص 70 - الطبري ج 6 ص 218.

أشهد لسمعت عائشة (رضي الله عنه) تقول أنها سمعت رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) يقول: يقتل الحسين بأرض بابل .

فلما قرأ كتابها قال : فلا بد لي إذن من مصرعي . ومضي (1).

ثالثا - المراسلات التي جرت بينه وبين الأطراف المعارضة لحكم يزيد :

اتصل أهل العراق بالحسين (عليه السلام) بعد وفاة أخيه الحسن بن علي (عليه السلام) وكتبوا إليه يسألونه الثورة علي معاوية ، وأنهم علي أتم الاستعداد والتجهيز للوقوف معه ، ولكن الحسين طلب منهم التريث وضبط النفس ، فقال في إحدى رسائله إليهم: (أما أخي فأرجو أن يكون الله قد وفقه وسدده فيما يأتي، وأما أنا فليس رأيي اليوم ذلك، فالصقوا رحمكم الله بالأرض، واكنموا في البيوت ، واحترسوا من الظنة ما دام معاوية حيا).

فالحسين كما نعلم حفيد الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) وتربية بيت النبوة، في حفظ العهود والمواثيق ، فلم يتم بعمل ينقض صلح أخيه فيحتذي عدوه .

وأما حينما تبدل الأحوال وتتغير الأمور، فيتبدل موقفه ويتغير رأيه ، وخاصة عندما تبدلت الأحوال في أواخر عهد معاوية وأول أيام يزيد، فأرسل إليه أهل الكوفة يحثونه علي القدوم والتوجه إليهم بأقصى جهده حتي يقود ثورتهم علي الوالي الأموي في مدينتهم. فكتب إليهم يوضح لهم تفهمه لقضيتهم وتأييده لموقفهم :

(فقد فهمت كل الذي اقتصصتم، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي «مسلم بن عقيل» وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم ، فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجي منكم علي مثل

ص: 157

1- موسي محمد علي : سيد الشهداء ص 131.

ما قدمت به رسلكم، أقدم إليكم وشيكا إن شاء الله . فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين الحق (1).

وحيثما ألحوا عليه بالسير إليهم قال في رده عليهم :

(أنه مجيبهم إلي ما يريدون إن لزموا العهد وتذرعوا بالصبر علي مكافحة أعدائهم).

ولم يقتصر اتصال الحسين بأهل الكوفة فحسب بل لقد أرسل الرسل والوفود إلي أهل البصرة أيضا يطلب منهم الانضمام إلي أهل الكوفة والوقوف مجتمعين في وجه الظلم والطغيان ، فكتب إليهم :

(فإني أدعوكم إلي إحياء معالم الحق وإماتة البدع، فإن تجيبوا تهتدوا سبل الرشاد) (2).

وفي الحقيقة إن ما كتبه أهل الكوفة والبصرة من رسائل إلي الحسين لم تكن كلها صادقة أو ذات نية صافية ، بل إن معظمها كان زيفا وغشا. فقد استغل «يزيد» ورجاله فرصة هذه المراسلات والاتصالات، وحرر بعضا منها بقلم صنائعه من المنافقين والانتهازيين والوصوليين تشجيعا له للخروج من الحجاز ليتمكن من صيده في كمين فيسهل اقتناصه مع أهله.

وكانت هذه جزء من مكيدة «يزيد» وخطته التي دبرها والتي اشتملت علي جزئين احتوي الأول منها إرسال جنود مستترين يتتبعون الإمام في المدينة ومكة للتخلص منه أو دفعه للخروج منها إلي العراق واقتضي الجزء الثاني منها إرسال الكتب تشجعه علي الخروج من الحرم الشريف فيرصد له

ص: 158

1- ابن الأثير: ج 4 ص 21 - الطبري ج 6 ص 198 .

2- علي الخربوطلي : عشر ثورات في الإسلام ص 73.

من يحاربه ويقضي عليه قبل أن يغيثه أحد أو يستعين بأحد. وقد كشف الإمام بنفسه لأصحابه مكيدة أهل الكوفة في رسائلهم إليه بقوله :

(ما كتب إلي من كتب إلا مكيدة لي وتقربا لابن معاوية) (1).

فكانت معظم الكتب بإيعاز من «يزيد» حتي يقدم الإمام فيقتلوه .

رابعا : سفراء الإمام إلي الشعوب وزعمائها المعارضين للنظام :

وإلي جانب المراسلات والكتب التي دارت بين الإمام (عليه السلام) ومؤيديه في العراق ، كان قد بعث سفراء إلي هذه الشعوب ليستعلم أحوالها عن كثب ، والكشف عن مدي حبها لآل البيت، وما إذا كانوا جادين في الوقوف معه . أي إنه رغب في التعرف علي نواياهم الصحيحة والحقيقية عن قرب ، والتثبت من أن هؤلاء الناس أو معظمهم يؤيدون فكرته، ويرغبون ببعته.

وكان من سفرائه إلي العراق :

1- مسلم بن عقيل : الذي نجح في مسعاه أول الأمر، وجمع الأنصار، فكتب إلي الحسين (عليه السلام) بالقدوم إلي الكوفة حيث أصبح الأنصار مائة ألف مقاتل.

ولكن مسلما وإن نجح في تكوين جماعة مؤيدة للحسين (عليه السلام) أول الأمر، إلا أنهم في النهاية انصرفوا عنه وتركوه وحيدا في الميدان، حيث تمكن «عبيد الله بن زياد» الوالي الأموي في الكوفة من القضاء عليه.

وسنتناول موقفه في العراق وأحواله ونهايته، في مكان آخر من هذا البحث (2).

ص: 159

1- الطبري ج 6 ص 230 .

2- انظر ص 160.

2- عبدالله بن بقطر: وهو أخو الإمام (عليه السلام) من الرضاعة. أوفده الحسين (1) إلي «مسلم بن عقيل» ليستجلي الأمر، ولكن «ابن زياد» أمسك به وقتله أيضا .

3- قيس بن مسهر الصيدائي: بعثه الإمام (عليه السلام) عندما كان في طريقه إلي الكوفة، وبلغ أرض العراق، فكتب إلي أهلها كتابا مع «قيس» يعرفهم قدومه .

ولكنه أمسك به أيضا وبعث إلي «ابن زياد» الذي رماه من أعلي قصر الإمارة فاستشهد. وكان «ابن زياد» قد أمره أن يصعد القصر فيسب الكذاب ابن الكذاب الحسين (عليه السلام). فصعد «قيس» فقال: (إن هذا الحسين بن علي، خير خلق الله، ابن فاطمة بنت رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم)، أنا رسوله إليكم، وقد فارقتك بالحاجر فأجيبوه، ثم لعن ابن زياد وأباه، واستغفر لعلي). ولذا أمر به فرمي من أعلي القصر فتقطع فمات .

كما أرسل أيضا مندوبا آخر عنه إلي البصرة وحمله صورة عن البرنامج السياسي للثورة، فبعث إلي زعمائها أمثال: (الأحنف بن قيس، المنذر بن الجارود، مسعود بن عمرو، قيس بن الهيثم) وذلك بهدف توسيع رقعة الثورة، وفتح أكثر من جبهة ضد الأمويين .

خامسا : اختيار الكوفة مسرحا لأعماله وذيوع أفكاره وبمبادئه : لماذا الكوفة كمركز انطلاق الثورة؟

الكوفة في التاريخ:

تقع الكوفة علي الضفة الغربية من الفرات وعلي بعد ثلاثة أميال من مملكة الحيرة، والحيرة مدينة قديمة تقع إلي جنوب الكوفة القريبة من النجف

ص: 160

1- ابن الأثير: ج 4 ص 41.

الحالية . وهي الآن في الجنوب الشرقي من مشهد الإمام علي (عليه السلام).

والحيرة تعني في اللغة السريانية المعسكر، مما يدل علي أنها كانت معسكرا ينزل به الجند. وما لبثت قليلا حتي صارت مدينة تكثر بها المنازل والقصور والحدائق والأنهار، واشتهرت بصحة هوائها لقربها من هواء البرية . ولذا فإن وجودها علي طرف العراق في الجنوب - إذ ليس بعدها غير البادية- ما رغب فيها البدو للاستقرار والإقامة بها. وكذلك كانت تأتيها جماعات من مدن العراق والجزيرة، مما أدى إلي أن يصبح سكانها خليطاً من أمم شتي ، ولكن أكثرهم كان من العرب .

وقد قسم «هشام بن الكلبي» العرب فيها إلي ثلاث طبقات :

1- تنوخ: من بقايا العرب أو عرب البحرين .

2- العباد : وهم سكان الحيرة نفسها، يزرعون الأرض ، ويحترفون الحرف والصناعات، ويعرفون القراءة والكتابة ، ويدينون بالمسيحية .

3 - الأحلاف : وهم من قبائل متفرقة لحقوا بأهل الحيرة و نزلوا فيها وحالفوا تنوخا (1) .

وقد صارت الحيرة عاصمة العرب اللخمين واتسع سلطانهم اتساعا كبيرا. ويبدأ تاريخ ملوكهم في القرن الثالث الميلادي 268 م، وأولهم «عمرو بن عدي» وآخرهم: النعمان الثالث» 580 - 602 م الذي سقطت دولة الحيرة في عهده .

وكان عدد ملوكهم «22» ملكا تولوا الملك سنة 364 كلهم من نسل «عمرو بن عدي» من آل نصر أو لخم.

ص: 161

1- جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام / ص 263.

وشهرة آخر ملوكهم «النعمان» مستفيضة في أخبار الجاهلية وفي شعر الشعراء الوافدين علي بلاطه منهم : «النابغة الذبياني». فقد اشتهرت مجالس الملوك المناذرة بأنها كانت مرجعا للمستنجدين وميدان للشعراء والمادحين .

وقد تبعت دولتهم امبراطورية الساسان ، فحين تجمعت قبائل عربية وكونت حلفا علي عادة العرب القديمة ونزلت غرب الفرات واتخذت الحيرة حاضرة لها، فإنها كانت ترغب في الدخول تحت حماية إحدى الدول الكبرى، مما دفع الدولة الساسانية إلي تأسيس إمارة الحيرة في سنة 240 م لتصبح سدا أمام هجمات الروم (1).

وبعد فتح المسلمين للعراق، أمر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عام 17 هـ سعد بن أبي وقاص ، بإنشاء مدينة جديدة ، فاختار الكوفة التي كان بينها وبين مملكة الحيرة نحو فرسخ ، إذ كانت المدن الإسلامية تنشأ عادة في مواضع علي قرب من مدن سابقة، كما هو الحال بالنسبة للبصرة والفسطاط. وكان لبنائها بالقرب من مدن وممالك قائمة أثر بالغ في انتشار ثقافات خاصة بتلك المدن والممالك.

وهكذا جاورت الكوفة مملكة الحيرة مقر حكم المناذرة اللخمييين، ومملكة الفرس الساسانيين، ولم يكد يمضي عشرون عاما علي بنائها حتي عظم شأنها وصارت من أهم مراكز العالم الإسلامي وأعظمها في العلم والسياسة والحرب ، وغدت قصبة العراق الأعلى (2) .

ومن أهم القبائل التي سكنت الكوفة : كندة ، بجيلة ، همدان ، ثقيف ، مذحج ، تميم، أسد، بكر، الأزدي، وطى. فقد أقامت بها جالية تنسب إلي

ص: 162

1- علي حسني الخربوطلي : تاريخ الحضارة الإسلامية / ص 410.

2- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ص 530.

قبائل عربية مختلفة ذات لهجات متعددة ، وآلاف من الصناعات والموالي الذين تكلموا الفارسية ، مما دعت الضرورة إلى تقويم اللسان العربي (1).

ومعظم العرب الذين هاجروا إليها وقت إنشائها هم من عرب الجنوب وخاصة «عبد القيس» الذين هم أكثر قبائل العرب حضارة ومدنية ، كما اشترك نصاري بني تغلب في تخطيط الكوفة وأقام عدد كبير منهم فيها (2).

وكان أول الوافدين إليها بعد العرب ، الفرس الذين كانوا سكان الحيرة الحقيقيين ، كما أن بعد تمصيرها سكن السريان في الديارات القائمة في أطراف الحيرة والنجف ، وكان السريان قد انتشروا فيها من قبل وأنشأوا مدارس لهم قبل الإسلام درسوا فيها الآداب اليونانية .

كما وفد إليها يهود ونصاري نجران اليمن ، ومعظمهم كانوا صيارفة . واليهود كانوا قد سكنوا الحيرة من قبل وبقوا فيها حتى الفتح الإسلامي .

ومما هو معروف أن النبي (صلي الله عليه واله وسلم) قد أرسل إلي ملوك الحيرة يدعوهم إلي الإسلام فيمن أرسل إليهم من الملوك والأمراء (3).

وأول ولاية الكوفة ، سعد بن أبي وقاص الذي تولى قيادة فتح العراق ، ثم عمار بن بكر ، فأبو موسى الأشعري ، حتى عام 36 هـ حين نزلها الإمام علي (عليه السلام) وأقام بها إلي أن قتل بها . فقد اتخذها الإمام حاضرة لخلافته ، وذلك لوجود شيعته بها ، وخصوبة أرضها ، وكثرة خيراتها ووقوعها في مكان متوسط سهل الاتصال بأجزاء الدولة الإسلامية ، ولمركزها العسكري والاستراتيجي لقربها من الحدود التي تفصل بين العراق والشام (4).

ص: 163

1- جعفر الخليلي : المدخل إلي موسوعة العتبات المقدسة : حسين أمين : الكوفة ص 78

2- علي الخربوطلي: المرجع السابق : ص 410.

3- أحمد عادل كمال : الطريق إلي المدائن ص 248.

4- حسن إبراهيم حسن : مرجع سابق / ص 530.

وهكذا أصبحت مركزا للخلافة الإسلامية بعد المدينة المنورة .

واعتبرت الكوفة من أهم مراكز الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، امتازت بعراقتها في الثقافة العربية، حيث وضعت فيها علوم العقائد والفقهاء، ونشأت مدرسة النحويين واللغويين، وساهمت في الحفاظ علي التراث العربي من آداب وشعر ولغة، مثلما كانت ميدانا واسعا لنمو الحركات الفكرية في الإسلام (1). وزاد عدد سكانها حتي بلغ بعد إنشائها بقليل أكثر من مائة وخمسين ألف نسمة. ولم يكن في القرن الأول الهجري مدينة تستطيع منافستها هي والبصرة، حيث إن احتكاك العرب بالشعب الفارسي الموهوب، والشعوب الأخرى، قد أثار مشاعر العرب، كما أن التطور السريع الذي أصاب المدينة وتمثلها للمؤثرات الفارسية وغيرها، أدى إلي قيام حركة ثقافية حية فغدا أهلها أوفر المسلمين نشاطا ذهنيا. وكذلك أدى مركزها الجغرافي والثقافي وتوسطها بين المدينة والشام، إلي إيقاظ الشعور بالشخصية بين أهلها واستمساكها بالاستقلال (2).

وتعتبر هي والبصرة ومصر والشام من الولايات الخطيرة، إذ هي موطن القوة الإسلامية، فيها الجند المقيمون، ومصدر ثراء المسلمين، وفيها الحضارة المستقرة المترفة، وفيها الأرض الخصبة، التي تغل من الثمرات، وتتوي الخراج، وفيها المعاهدون الذين يؤدون الجزية، ثم هي وجوه الفتح ومصادره، إليها تجلب الغنائم التي يفتحها الفاتحون في كل عام، ومنها ترسل الأحماس إلي المدينة، فإذا كان العرب مادة الإسلام ومصدر قوته العسكرية، فقد كانت هذه الولايات مادة الإسلام ومصدر قوته المالية (3).

ص: 164

1- جعفر الخليلي : مرجع سابق : ص 78/ أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي : ص 239.

2- علي الخربوطلي: مرجع سابق : ص 410

3- طه حسين : المجموعة الكاملة لمؤلفاته: الخلفاء الراشدون: المجلد الرابع ص 239 .

وقد حرص العرب بعد الفتوحات علي إنشاء الأسواق في الأمصار المفتوحة، فزاد بذلك العمران، واتسعت المدن، وأصبحت الأسواق بجانب أغراضها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، مكانا لمفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء، وقد حدث ذلك للكوفة.

فمن أشهر محلاتها «الكناسة» الواقعة غرب مسجد الكوفة، وقد أصبحت مركزا مهما فيها، تركزت فيها التجارة من بيع وشراء الحيوانات، وكان فيها أيضا سوق لبيع وشراء العبيد.

وإذا كانت المساجد في الإسلام مركزا للثقافات الإسلامية، يجتمع فيها العلماء وتدرس علوم الحديث والتفسير والفقه والأدب وغيرها، ويجلس فيها القضاة لعقد الجلسات وإصدار الأحكام، وتذاع منها مراسيم ونشرات الولاية والأمر، فإن مساجد العراق أكثر مساجد الأمصار اهتماما بالثقافة وغيرها. حيث دارت فيها المحاورات الأدبية والمناقشات التي كانت تدور حول العصبية القبلية والسياسية، حتي إن العراق عرفت في الإسلام بأنها ميدان للفتن والحروب والتناحر المذهبي.

وقد كان معظم المطالب الشعبية من الدولة تبدأ من المساجد، وما أكثر ما بدأت وخرجت الثورات في العهد الأموي من مساجد الكوفة، مثل حركة «حجر بن عدي» «و مسلم بن عقيل» وعبدالله بن عفيف الأزدي» وغيرهم.

والآن بعد هذا العرض، أعتقد أنه يمكننا معرفة الأسباب التي دفعت الحسين (عليه السلام) إلي اختيار الكوفة مسرحا لأعماله، ومركزا لانطلاق ثورته.

لم يكن الحسين (عليه السلام) ينوي من حركته أن يهرب من نظام الحكم أو يتواري عن الأنظار في الجبال الوعرة أو الوديان النائية خوفا من مراقبة رجال «يزيد» و بطشهم، فلم يكن الهروب والاختباء هدفه، بل الجهاد والثورة، فقد أرادها مدوية يسمعها القريب والبعيد، لتوقظ النائم، وتصحي الغافل،

ويدركها العاقل، وتبهر المفكر، وتعلم الجاهل وتوجه العامل، بالألا- يرضوا ويقبلوا بما هو كائن، ويتنبهوا لما هم فيه من أحوال وأهوال. وحتى تأتي هذه المحصلة، كان لا بد من أرضية صالحة تستطيع أن تنتشر فيها مبادئه وحركته فيسمعها الناس بكافة طوائفهم وعقائدهم وقبائلهم وعشائرهم وجنسياتهم، ولم تكن أرضية يمكنها أن تؤدي غرضه خير من الكوفة، التي امتزجت بعناصر متعددة من السكان فكان فيها الفرس والترك والعرب، والأنباط والسريان، والقبائل العربية، وتنوعت فيها أيضا الأديان، فكان فيها المسلمون، والخوارج، والنصاري واليهود، والحزب الأموي.

فالكوفة كانت علي مدي عمرها ملتقي الشعوب من جميع الأجناس، ومثابة التجارة بين الهند وفارس واليمن والعراق والشام، فكانت العاصمة الثقافية التي ترعرعت فيها مدارس الكتابة واللغة والقراءات والأنساب والأفانين الشعرية والروايات.

وكان طابع أهلها التمرد والتبرم من الولاة والطعن فيهم، فهم لا يطيقون الهدوء والاستقرار وعدم الطاعة للنظام. حتي إن معاوية أدرك ذلك فحذر ابنه «يزيد» منهم ووصاه بمداراتهم: (وانظر أهل العراق فإن سألك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل، فإن عزل عامل أحب إلي من أن يشهر عليك مائة ألف سيف).

فالكوفة كانت تمثل مركز المعارضة للأمويين، وخاصة إن فيها شيعة آل البيت أتباع الإمام علي (عليه السلام) ومحبي أهل البيت، فالشيعة لم ترض عن صفات «يزيد» الشخصية، حين كان معظمهم يتصفون بالزهد والتقوي، بينما اشتهر «يزيد» بالانصراف إلي اللهو والترف. ورأت الشيعة أن كفاحهم ليزيد هو جهاد ديني، وأن موقفهم منه هو نفس موقف الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) من الكفار حينما قام بالدعوة إلي الإسلام. فدعوة أهل الكوفة «للحسين» - بمناصرتهم

ضد الحاكم المستبد أو الغير الشرعي، كان لزاما عليه نظرا لاقتناعه بقضيته، أن يسارع إلي تلك الجبهة التي أعدت نفسها لمناصرته والمقاومة معه، فحينما وصل رسول الكوفة من قبل «سليمان بن سرد الخزاعي» وغيرهم يطلبون منه الخروج إليهم، رأي - «الحسين» فيهم أنصاره الذين يبحث عنهم (1).

فالحسين كان يريد أن يبرز حركته للعالم الإسلامي كله وللمسلمين وغيرهم، ولذا كان عليه اختيار الموطن لحركته، في مكان يكثر به الناس من جميع العناصر والقوميات والأديان، ونقطة اتصال بين الشعوب والدول، وأن يكون علي الأخص موطنا صالحا ومعارضاً لبني أمية.

فلكي ينجح الحسين (عليه السلام) في حركته ونهضته، عليه أولاً أن يجمع الأنصار، ثم انتشار وذيوع حركته عالمياً يسمعها الأقصي والأدني، كان عليه أن يجمع الأنصار ليحارب دولة رسخت قوائمها لمعاوية ويزيد من بعده علي أسس من المال الوفير والسلطان الخطير والجيش المنظمة المطيعة. كما كان عليه أن يختار الأرض التي ستشهد ثورته ومصرعه فيسمع الناس أخباره لتنتشر في بقاع الأرض، ويروي التاريخ - كما سنذكر نحن منها أيضا - عددا من الثورات تنطلق من هذه الأرض - الكوفة - ضد ولادة وحكام بني أمية لسنين عدة حتي تسقط دولتهم.

وقد يري البعض أن الكوفة هي التي خذلت أباه عليا (عليه السلام) وأخاه الحسن (عليه السلام) من قبل، ولكنها بالرغم من ذلك فإنها تبقي الأرض الصالحة لإعلان معارضته، وهي أشبه بالخوارج، فبالرغم من أنهم خرجوا علي الإمام علي (عليه السلام) إلا أنه منع أصحابه من محاربتهم وقتلهم بعده، وذلك لأنهم سيصبحون القوة الكبرى والمعارضة المكثفة للحكم الأموي بل وفي إسقاطه وإنهائه.

ص: 167

1- بنت الشاطي: سكينه بنت الحسين ص 18.

ونحن عندما ننظر إلى الكوفة كمسرح للثورة وإلى الرسائل المتبادلة بين أهلها وبين الحسين (عليه السلام)، وإلى المبعوثين من قبله إليها، وإلى كل حركاته وأفعاله، نجد أنها كانت سلسلة متصلة الحلقات مرتبطة ببعضها ارتباطاً قوياً ومتيناً، لا يقدم شيء على شيء ولا يتأخر أمر عن أمر.

فنجد أنه كان ينوي من ورائها إظهار أعمال الأمويين وإبراز ردود أفعالهم تجاه الأمة الإسلامية وأن حكمهم ما هو إلا حكم الجبابة، وأن أساليبهم بعيدة عن الإسلام كل البعد، وأن جل همهم الحكم والتسلط والسيطرة على المسلمين عامة، والانتقام من بني هاشم وأصحاب الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) وأتقياء المسلمين وصلحائهم خاصة، وهم الذين تعرضوا لبني أمية في مواقف عدة.

فالرسائل والسفراء والكوفة ما هي إلا وسائل لمرحلة من المراحل المتعددة التي نظمها الحسين وخطط لها ونشط في تنفيذها حتى يصل إلى بلوغ أهدافه، كما أنها إحدى وسائله في الاحتجاج على أعدائه، فيكشف بها القناع عن وجوههم ليتعرف الناس على حقيقتهم الزائفة، ولهذا فسر اصطحاب «الحسين» لأهل بيته من النساء والأطفال في رحلته الدينية، كي يظهر للأشهاد مدى قسوتهم وبعدهم عن الإنسانية حين لا يتورعون للوصول إلى أهدافهم بأي وسيلة حتى ولو كانت خبيثة، فضلاً عن أن الحسين خشي أن يخرج وحيداً أن ينكل عامل «يزيد» بأهله وهو يعلم حقد بني أمية الموروث لبني هاشم (1).

فلم يكن إذن خروج «الحسين» من الحجاز إلى العراق اعتباطاً. فالأرض التي هو سائر إليها في الأرض الموعودة للمعركة المصيرية الفاصلة الدوام الحق ودوام الباطل. وهو سيضرب المثل للقيم الإنسانية الإسلامية

ص: 168

1- ابن واضح: اليعقوبي ج 2 ص 221.

الحقيقية في هذا الصراع العظيم بين الخير والشر بل إنه سيعمل علي أن ينجح الخير علي الشر إن عاجلا أو آجلا، فهو إذ يبدأ في دق المسمار في النعش فإنه حتما سيزول الظلم والجور في يوم ليس بالبعيد ولكنه بالتقريب والعاجل أيضا .

وهناك من الأدلة ما يثبت أن استشهاده سيكون في تلك الأرض ولا أية أرض أخرى، حيث أخبر عنها الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) والإمام علي (عليه السلام) من قبل، وكذلك «الحسين» نفسه ، وهم يؤكدون في أقوالهم حدوث هذه المرحلة في اختيار الحسين لأرض العراق مسرحا لنهضته وللأحداث الدامية التي ستتهز البلاد والشعوب بعد أن توقعهم من غفلتهم وسباتهم .

وهذه بعض الأحاديث والأقوال التي تنبأت بالكارثة التي ستصيب الحسين وآله في أرض كربلاء بالعراق : .

1- لما ولد الحسين «عليه السلام» وضعه النبي (صلي الله عليه واله وسلم) في حجره وبكي، فقالت «أسماء بنت عميس» فذاك أبي وأمي يا رسول الله ممن بكاؤك؟ قال : أبكي لما يصيبه بعدي ، وستقتله الفئة الباغية لا أنالهم الله شفاعتي (1).

2- روي الإمام «أحمد» عن عمار بن عمار، عن ابن عباس ، فقال :

رأيت رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) في المنام نصف النهار أشعث أغبر، معه قارورة فيها دم، فقلت بأبي وأمي يا رسول الله ما هذا؟ قال : هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ ذلك اليوم .

قال عمار: فأحصينا ذلك اليوم فوجدناه قد قتل في ذلك اليوم (2) .

ص: 169

1- عباس العقاد : أبو الشهداء ص

2- مصطفى سعيد الخن: أعلام المسلمين (15) ص 184

وقد روي (ابن أبي الدنيا) بسنده إلي: «علي بن زيد بن جدعان» نفس الحلم (1).

3- ويقول «أحمد بن حنبل» في مسنده :

(إن النبي (صلي الله عليه واله وسلم) بكى علي الحسين حينما أخبره جبرائيل بأنه يقتل) (2).

4 - من حديث «أم سلمة» زوج النبي (صلي الله عليه واله وسلم) قالت: إن جبرائيل قال له : (أما إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها). فبسط جناحه فأراه منها، فبكى النبي (صلي الله عليه واله وسلم) (3).

5 - وعن «أم سلمة» قالت : قال رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) : (يقتل الحسين علي رأس ستين من مهاجري) (4).

6 - وروي «الطبراني» في الكبير «عن أم سلمة» أنها قالت : (اضطجع رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) ذات يوم فاستيقظ وهو خائر النفس وفي يده تربة حمراء يقلبها، فقلت : ما هذه التربة يا رسول الله ؟ قال : أخبرني جبرائيل أن هذا يقتل بأرض العراق - للحسين - فقلت لجبرائيل : أرني تربة الأرض التي يقتل بها، فهذه تربتها).

وروي كذلك (أبو نعيم عن أنس) ما يقرب من مضمونها أيضا (5).

7 - وروي «أبو يعلي» في مسنده ، قال : (دخلت علي النبي (صلي الله عليه واله وسلم) ذات يوم وعيناه تقيضان ، قلت : يا نبي الله أغضبك أحد، ما شأن عينيك

ص: 170

1- ابن كثير : البداية والنهاية ج 8 / ص 200.

2- الجزء الأول : ص 85.

3- ابن عبد ربه : العقد الفريد ج 4 / ص 383.

4- ابن عساکر : تاريخ دمشق ص 185.

5- الإمام الخوئي : البيان في تفسير القرآن ص 524.

تقيضان؟ قال: بلي، قام من عندي جبرائيل قبل، فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات (1).

8- وعن عائشة (رضي الله عنه) قالت: بينا رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) راقد إذ جاء الحسين يحبو إليه، فحيتته عنه ثم قمت لبعض أمري، فدنا منه فاستيقظ الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: إن جبرائيل أراني التربة التي يقتل عليها الحسين، فاشتد غضب الله علي من سفك دمه. قالت: ووسط النبي (صلي الله عليه واله وسلم) يده فإذا فيها قبضة من بطحاء، فقال: يا عائشة: والذي نفسي بيده إنه ليحزني فمن هذا من أمتي الذي يقتل حسين من بعدي (2)؟.

9- وأخرج «ابن سعد والطبراني» عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنه) رفعت، (أخبرني جبرائيل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف، وجاءني بهذه التربة وأخبرني أن فيها مضجعه) (3).

10- وقال «ابن عباس»: أوحى الله تعالى إلي محمد (صلي الله عليه واله وسلم) إني قتلت بيحيي بن زكريا سبعين ألفا وإني قاتل بابن بنتك سبعين ألفا (4).

11- وأخرج «أبو داود والحكم» عن «أم الفضل» زوجة العباس، كانت مرضعة الحسين بلبن قثم، رفعت: (أتاني جبرائيل وأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا، وأتاني من تربه حمراء) (5).

12- سمع «أنس بن الحارث» أن النبي (صلي الله عليه واله وسلم) قال: (إن ابني هذا

ص: 171

1- الإمام الخوئي البيان في تفسير القرآن ص 524

2- الحافظ الكبير ابن عساكر: تاريخ دمشق ص 180.

3- الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي: ينابيع المودة ص 319.

4- ابن عبد ربه: المرجع السابق ج 2 ص 219 - محمد حسين المظفر: تاريخ الشيعة ص 40.

5- الحافظ القندوزي الحنفي: المرجع السابق / ص 319.

- يعني الحسين - يقتل بأرض يقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره). فخرج «أنس» إلي كربلاء وقتل مع الحسين (عليه السلام) (1).

13 - وأما الإمام «علي» أبيه : فيذكر حينما كان في الطريق إلي الشام، تلفت - الأذان صوته الهامس الحزين : ها هنا، ها هنا، فتأخذ الناس من حديثه رجفة و يسألون: وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فيتمهل بهم حتي إذا دارت عينه فرأت الحسين توقف نظرها علي محياه في رنوة حانية، وهتف يجيب : ثقل لآل محمد ينزل ها هنا، فويل لهم منكم وويل لكم منهم، ويل لهم منكم تقتلونهم، وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم إلي النار. وكانت تلك البقعة كربلاء الشقية (2).

14 - وجاء أيضا أنه بعد غزو صفين ، نزل «علي» بكربلاء وصلي، فلما سلم رفع إليه من تربتها فشمها ثم قال : (وأها لك يا تربة ، ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب) (3).

10 . كما أكد «الحسين» بنفسه موته حين أفصح عنه في حوار مع «ابن عباس» عندما أصر علي أن يبقي في مكة فقال : (لأن أقتل في أي مكان من الأرض أحب إلي من أن أقتل هنا فيستباح البلد الحرام بسببي) (4).

سادسا - الطريق، كأداة من أدوات الدعوة إلي نهضته والانضمام معه في مهمته :

اعتبر الطريق الذي سار فيه الحسين (عليه السلام) من المدينة إلي مكة ومنها إلي الكوفة بالعراق ، وسيلة هامة من وسائله في الدعوة إلي قضيته والتعريف

ص: 172

1- محمد حسين المظفر: المرجع السابق ص 40.

2- عبد الفتاح عبد المقصود: الإمام علي ج 4 ص 131 .

3- ابن أبي الحديد: ج 3 ص 169.

4- ابن الأثير: الكامل : ج 4 ص 38.

بأهدافه ، وطلب الجهاد في سبيل الله ، بنشر مبادئ الدين الحنيف، مبينا ما عليه وضع المسلمين من الأخطار والانحرافات والتيارات الخاطئة المحيطة بهم، ومن تغيراتها التي يمكنها أن تقسد وتطمس معالم الإسلام الحقيقية ، وأن تبرز قشورها.

ففي هذا الطريق تقابل مع أشخاص وأناس كثيرين، ذوي عناصر مختلفة، وذوي ثقافات وعقليات متباينة ، حاورهم الإمام (عليه السلام) في المسألة الكبرى التي شغلت بال المسلمين. ومن هؤلاء من حاول منعه من تكملة مسيره ، والنصيحة له بالرجوع إلي حرم الله في بيت الله ، ومنهم من انضم إليه حينما عرض عليهم مسألته وطلب الانضمام والوقوف بجانبه . واستفاد كذلك من بعضهم في الاستفسار عما يدور في العراق من أمور، أو الاستفسار عن مبعوثيه ومراسليه إلي هناك ، وكان منهم من يحذره الاستمرار في خطته وينصحه بالعودة من حيث أتى، حيث إن الأحوال والأمر لا تشجع علي ذلك، كما قال «الفرزدق»، الشاعر.

ونحن عندما نتمعن هذا الطريق ، وأحداثه من أوله إلي آخره ، ندرك خطورته وأهميته . فهو ليس طريق عادي ، كما أنه لا يسير فيه نفر عادي ، فهو ليس طريقا تعبيرة قافلة تجارية من مدينة إلي أخرى تشتري البضائع وتبيعها علي هذا وذاك. فالطريق كله ملغم تسير فيه قوة تستلهم إرادتها من قوة الله وعظمته ، صحيح أنهم نفر قليل، ولكنهم كثير في الإيمان. وإذا كان يبدو للرائي قليل ، فعند التجربة والاختبار تظهر كثرته وكثافته وعظمته .

وتبدأ مهمة الطريق من أوله، حينما خرج الحسين (عليه السلام) من مكة ، واعترضه رسل «عمر بن سعيد بن العاص» الوالي وعليهم «يحيى بن سعد» الذي أمره بعدم الانصراف والرجوع ، فأبي عليه ومضى . وعندما أغلظوا عليه الكلام قال : (لي عملي ولكم عملكم ، أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما

تعملون) (1). فهو لم يخرج رغبة في الحكم والتسلط. بل لإصلاح الانحراف في حكومة جده (صلي الله عليه واله وسلم) كما كرر ذلك مرارا، وهو لذلك ثابت علي مبدئه لا يحيد عنه، ولا تستطيع قوة في الأرض أن تصده وتمنعه من تحقيقه وبلوغه .

كما أن في هذا الطريق انضم إليه «زهير بن القين» وأصبح من أخلص رجاله ومناصريه ، فوقف بجانبه يدافع عنه حتي استشهاده .

والتقي فيه أيضا «الطرماح بن عدي» الذي عرض عليه مساعدته بكل أهل قبيلته علي أن يصل أهله أولا ثم يعود مع رجاله ، ولكنه لم يتمكن من تنفيذ وعده لأن إمداداته وصلت متأخرة. كما تقابل في هذا الطريق أيضا مع «عبيد الله بن الحر الجعفي» الذي دعاه الحسين للخروج معه، فاعتذر، فحذره الحسين قائلا : (ألا تنصرونا، فاتق الله أن تكون ممن يقاتلنا، فوالله لا يسمع داعيتنا أحد ثم لا ينصرونا إلا هلك) فرد عليه : (أما هذا فلا يكون أبدا إن شاء الله) (2). والتقي فيه «بالحر الرياحي» الذي جمع به في المكان الذي كان فيه حتي لا يفارقه كما أمره بذلك أميرة «ابن زياد» ، ولكنه أصبح بعد فترة وجيزة من أخلص أنصاره وأعظم قواده، وأكبر محاربيه والمدافعين عنه حتي استشهاد دونه .

وفي الطريق استعلم عن الأحوال والأحداث التي كانت تجري في الكوفة ، وعمما حدث لمبعوثيه ورسله إليها ومصيرهم ، ومدى نجاحهم في مهمتهم، مثلما أخبره «عبدالله بن سليم، والمذري بن المشمل» الرجلان الأسديان، بمقتل «مسلم وهانيء» وحاولا إثناءه عن الدخول إلي الكوفة ، ولكن الحسين رد عليهما بأنه (لا خير في العيش بعد هؤلاء) (3) .

ص: 174

1- الطبري ج 6 ص 218.

2- موسي محمد علي : سيد الشهداء / ص 145.

3- الطبري : ج 6 / ص 225.

كما أنه في الطريق أعلن عن مصيرهم ونهايتهم، فقد حدث أن خفق «الحسين برأسه مرة أو مرتين أو ثلاثة وكان يقول في كل مرة: (إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين). فسأله ابنه «علي بن الحسين» في ذلك، فقال: يا بني إني خفقت فعن لي فارس علي فرس فقال: النوم يسرون والمنايا تسري إليهم. فعلمت أنها أنفسنا نعت إلينا (1).

هذا هو الطريق الطويل الذي يمكننا أن نوجز أهميته فيما يلي:

أ - فقد أعلن فيه الحسين (عليه السلام) معارضته للحكم الأموي وأظهرها لولا تهم وقوادهم.

ب - عرض فيه نفسه علي القبائل وزعمائها داعياً لهم للخروج معه.

ج - وشرح فيه الموقف الخطير الذي ابتلي به المسلمون وقضيتهم الأولى.

د - ونشر فيه أهدافه وأسس قضيته.

ه - واستطاع أن يجمع فيه الأنصار.

و - كما تمكن من تحييد البعض الآخر.

ز - واستعلم عن الأخبار والأحوال في الأمصار وخاصة مركز المعارضة.

ح - واستخبر عن مصير مبعوثيه ورسله وما توصلوا إليه من نتائج في المهمة الموكولة إليهم من قبله.

ط - وأعلن أخيراً عن المأساة التي تنتظره وأهل بيته.

هذا ما حدث في الطريق الطويل وهو مصطحب لأبنائه وأهل بيته

ص: 175

1- الطبري: ج 6 ص 231.

وأصحابه ، فقد سمع وعرف ووعي كل من يسكن فيه ، ويسير فيه ، بحركة «الحسين» وأهدافها ومصيرها كذلك.

سابعا - الخطب التي ألقاها في جميع الناس من مؤيدين ومعارضين له في مواقف متفرقة ومناسبات متعددة، يوضح فيها أهدافه وسياسة الأمويين :

وذلك علي أمل أن تؤثر فيهم عسي أن يتراجعوا عن موقفهم اللاواعي :

من خطبة له في الجيش الذي قاده «الحر بن يزيد الرياحي» بأمر «ابن زياد» ليوقف سير الحسين (عليه السلام) إلي الكوفة .

(أيها الناس ، أن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكون رضا الله ، ونحن أهل بيت محمد (صلي الله عليه واله وسلم) أولي بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم ، والسائرين فيكم بالجور والعدوان فإن أبيتهم إلا الجهل بحقنا، والكراهة لنا، وكان رأيكم غير ما أتتني به كتبكم، وقدمت به علي رسلكم، انصرفت إلي المكان الذي أتيت منه. أيها الناس، لم آتكم حتي أتتني كتبكم ورسلكم، أن أقدم علينا فليس لنا إمام، لعل الله يجمعنا بك علي الهدى والحق . فإن كنتم لقدمي كارهين انصرفت عنكم) (1).

وقد خاطب جماعة من أعدائه في محاولة منه لإرجاعهم عن غيهم، وانصرافهم عنه وعن أذية أهله وأصحابه وظلمهم، فتوجه إلي الجماعة التي كاتبته قائلا :

تبا لكم أيها الجماعة ، أفحين استصرختمونا والهيمن متحيرين فأجبناكم مستعدين موجفين ، سللتم علينا سيفا لنا في رقابكم، وأججتم نارا جناها عدونا وعدوكم، فأصبحتم أبا علي أوليائكم ، ويدا عليهم لأعدائك بغير عدل

ص: 176

1- عمر أبو النصر آل محمد في كربلاء/ ص 75.

أفشوه فيكم، ولا أمل لكم فيهم إلا الحرام من الدنيا أنالوكم، وخسيس عيش طمعتم، من غير حدث أسرعتم إلينا كطيرة الذباب، وتداعيتهم كتداعي الفراش، فقبحا لكم.

إنما أنتم من طواغيت هذه الأمة، ونبذة الكتاب، وشذاذ الأحزاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الأثام العهار بالنسب، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيدي عترة الأوصياء وملحقي العار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، صراخ أئمة المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضيّن .

وأنتم ابن حرب وأشياعه تعتمدون، وإيانا تخذلون، أجل، الغدر فيكم معروف، وقد شجبت عليه عروقتكم، وتوارثته أصولكم وفروعكم، وثبتت عليه قلوبكم، وعشبت صدوركم فكنتم أخبث شيء سنخا للناصب، وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله علي الناكثين الذين ينكثون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليه كفيلا. ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة والذلة. وهيهات منا الذلة، نفوس أيّة، وأنوف حمية، ما تأخذ الدنية، أبي الله ورسوله لنا ذلك. ولا تأثر مصارع اللئام علي مصارع الكرام.

ألا وإني قد أعدرت وأنذرت، وإني زاحف إليكم علي قلة العتاد وخذلة الأصحاب (1).

ولكنهم أجابوه يطلبون منه النزول علي حكم «ابن زياد»، فرد عليهم:

(والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لكم إقرار العبيد. والله لا تلبثون في دياركم بعد قتلي إلا كريث ما يركب الفرس حتي تدور بكم الرحي عهدا عهده إلي أبي عن جدي، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم كيدون،

ص: 177

فلا تنتظرون. إني توكلت علي الله ربي وربكم ، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، إن ربي علي صراط مستقيم (1).

كما خطب فيهم ، في محاولة لإفقتهم من الغفلة والتخدير :

(أما بعد، فانسبوني وانظروا من أنا؟ ثم راجعوا أنفسكم فعاتبوها. وانظروا هل يصلح ويحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي)؟

ألسن ابن بنت نبيكم وابن ابن عمه؟ وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله؟

أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أوليس جعفر الشهيد الطيار في الجنة عمي؟

أولم يبلغكم قول مستفيض أن رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) قال لي ولأخي : (هذان سيدا شباب أهل الجنة)؟ فإن صدقتموني فيما أقول، وهو الحق ، والله ما تعمدت كذبا منذ علمت أن الله يمقت أهله. وإن كذبتهموني، فإن فيكم من إذا سألتهم عن ذلك أخبركم. أما في هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمي (2)؟.

وهكذا لم يترك الحسين (عليه السلام) لأعدائه مجالاً حتى طرقه . ولم يترك حجة إلا أقامها عليهم. وذلك لله وللتاريخ، وليعلم البشر أي أناس كانوا، وأية جماعة كانت تلك ، القاسية قلوبهم، المتحجرة أدمغتهم، الفاقدة آدميتهم والعمياء عقليتهم، والتي لم تعرف في حياتها سوي الظلم والكيد والبغي وحب سفك الدم، والتهافت علي اقتراف - الشر، كالوحوش الضارية - معاذ الله أن نتهم الوحوش بتلك الصفات ، فهي بعيدة كل البعد عنها، مثلما رأيتها

ص: 178

1- شمس الدين : مرجع سابق ص 154/ الطبري ج 6 ص 243.

2- عمر أبو النصر: آل محمد في كربلاء : ص 81/ الطبري ج 1 ص 243.

في الحدائق المفتوحة في بعض البلدان (سفاري).

وكان آخر عرض تقدم به الحسين (عليه السلام) إلي الأعداء، ليعطيهم فرصة أخيرة كي يتجنبوا ذنب سفك دم آل البيت ، ما رواه (عقبة بن سمعان) الذي صحب الحسين (عليه السلام) من المدينة إلي مكة ومنها إلي العراق ، ولم يفارقه حتي قتل ، من أن الحسين (عليه السلام) قال أثناء المعركة ، مؤكدا أنه لم يتكلم في أي شيء عن موقفه إلا:

(دعوني أرجع إلي المكان الذي أقبلت منه ، أو دعوني أذهب في هذه الأرض العريضة حتي تنظر إلي ما يصير إليه أمر الناس)، فلم يفعلوا (1).

فما كان منه إلا أن دعي عليهم :

(اللهم سلط عليهم من لا يرحمهم، ولا يدع أحدا منهم إلا قتله بقتله ، وضربه بضربه ، لينتقم الله لي ولأهل بيتي وأوليائي وأشياعي منهم. فإنهم دعونا لينصرونا فخذلونا، وخرجوا علينا يقاتلوننا. وأنت ربنا عليك توكلنا، فاحكم بيننا وبين قوم ظلمونا وغرونا).

ثامنا - موقف رجاله وأنصاره منه :

إنهم رجال وقفوا مع الحسين وأيدوه في كل خطواته ، في معارضته ، في حربه، وأسلوبه ، كما شاركوه استشهاده .

رجال وقفوا مع الحق لدحر الباطل، وتثبيت أركان الحق وإقامة العدل وإزهاق الظلم .

وقفوا معه لإبعاد الطغاة والجبابرة ، والقضاء علي السلطة المستبدة .

رجال شاركوا الحسين في الكشف عن هؤلاء الطغاة والجبارين ،

ص: 179

وإبراز صورهم أمام الناس، ومواقفهم تجاه الأمة، ليعرفهم الجميع بعد أن انكشفت صورهم وأعمالهم عياناً جهاراً. فظهرت المعارضة القوية والشديدة، وتأججت نارها يوماً بعد يوم، كلما خمدت نار إحداها تلتها أخرى، وقدمت ضحية وراء ضحية، حتى كانت نهاية دولة الظلم وسلطان الجبارين .

ونحن حينما نعرض لهؤلاء الرجال، لا نعرض سيرة أو ترجمة، بل نماذج لمواقف هؤلاء الشهداء الأبطال، تجاه إمامهم، وتجاه أعدائهم. لكي نعرف أي نوع من الرجال كانوا، وكيف ساعدوا إمامهم في موقفه الصلب القوي الذي لم يلن فترة ولا لحظة، وأي رجال كانوا في مواقفهم أمام أعدائهم، فلم يتقهقروا أو يتراجعوا أو يضعفوا أمام كل الضغوط وأمام الإرهاب والتعذيب والقتل، في سبيل العقيدة والمبدأ النبيل، ولم يحدوا عن ذلك حتى النهاية، ليصبحوا شهداء وقدوة صالحة لمن بعدهم من الأجيال، وأسوة حسنة لمن معهم وبعدهم .

1- مسلم بن عقيل :

هو ابن عم الحسين (عليه السلام) وسفيره إلى الكوفة ليأخذ البيعة له من أهلها . وقد نزل دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي) عند وصوله إليها. وكان الوالي في الكوفة من قبل «يزيد بن معاوية» : (النعمان بن بشير) الذي لم يتعرض «لمسلم» بسوء، وقبل بمسلكه، فهو لم يجبر أحداً علي طاعة يزيد.

وبذا أصبح «مسلم» حاكماً للناس، يصلي فيهم، ويخطب علي المنابر، ويثب الناس علي بيعة الحسين (عليه السلام) وأصبح كذلك قاضياً بينهم (1).

ص: 180

وقد بلغ عدد الذين بايعوه (80 ألف) مقاتل من الرجال. وقد عيب أنصار «يزيد» موقف النعمان بن بشير ووصفوه بأنه موقف الضعفاء تجاه «مسلم» والشيعه فقال :

(أن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأعززين في معصية الله) (1).

فأسرع يزيد بتغير الوالي (ابن بشير) بوال آخر، شرس ، عنيف ، لا يعرف قلبه الرحمة ولا الشفقة ، بل يمتليء حقدا وغيظا ، ويميل بكل ود وحب إلي الدم وإراقته . وهو الطاغى «عبد الله بن زياد» الذي تولي البصرة والكوفة وبلاد العراق وبلاد الري وجرجان. وطلب منه يزيد، أن يقتل «مسلم» ويرسل إليه رأسه .

فبدأ الوالي الجديد عمله بتنفيذ أوامر سيده بإرسال الرجال في البحث عن «مسلم» وخوف الناس ، حتى تركه الكثيرون، فبقي وحيدا لا ناصر له، فعندما صلي مرة، لم يكن وراءه يصلي أحد، عندئذ طلب الإجارة، ولكن الجميع فر منه، إلي أن أجاره (هاني بن عروة) من «بني مذحج».

وفي أول الأمر لم يتمكن «محمد بن الأشعث» كبير القواد في ولاية ابن زياد من القبض عليه، وذلك لقوته وشجاعته في الدفاع عن نفسه ومواجهته لجنوده ، حتى إن «ابن زياد» ندد به لضعفه ، فرد عليه «ابن الأشعث» : (إنما بعثتني إلي أسد ضرغام وسيف حسام في كف بطل همام من آل خير الأنام) (2).

وقد تمكن (محمد بن الأشعث) من محاصرته والقبض عليه، بعد أن

ص: 181

1- الطبري ج 6 / ص 199 .

2- باقر القرشي: مرجع سابق ج 2/ ص 395.

أعطاه الأمان ، فأرسله إلي قصر الإمارة حيث قتل .

ومما قاله «ابن زياد» لمسلم قبل قتله : (قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد من الناس في الإسلام).

فرد عليه مسلم : (أما أنك أحق من أحدث في الإسلام ما ليس فيه . أما أنك لم تدع سوء القتلة ، وقبح المثلة ، وخبث السيرة ، ولؤم الغيلة لمن هو أحق به منك) (1).

«ومسلم» هو أول قتيل صلبت جثته من بني هاشم ، وأول رأس حمل من رؤوسهم إلي دمشق (2). وقد ذكر «مسلم» قصده من حركته ومن مجيئه إلي الكوفة ، بقوله :

(فأتيناهم لنأمر بالمعروف وننهي عن المنكر، وندعوهم إلي حكم الكتاب والسنة ، إنكم أول من خرج علي إمام هدي، وشق عصا المسلمين ، وأخذ الأمر غصبا، ونازع أهله بالظلم والعدوان) (3).

وبالرغم من أن «ابن زياد» قتل «مسلم» غدرا بعد أن أمنه ، فقد كان بمقدور مسلم أن يقتله غدرا قبل ذلك ويمتطي السهولة ، ولكنه رفض تنفيذ تلك الفكرة بقوله : (إنا أهل بيت نكره الغدر).

وقال في «عبيدالله بن زياد» : (إنه يقتل النفس التي حرم الله قتلها علي الغضب وسوء الظنة ، وهو يلعب ويلهو كأن لم يصنع شيئا).

وقد صدق «مسلم» في قوله هذا، وشرح نفسيته بوضوح، فهو سيقوم بتلك الأعمال التعسفية والجرائم المتكررة لما لا يحصي من أخبار البشر وأصلحهم .

ص : 182

1- أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص 107 - ابن الأثير : الكامل ج 4 ص 35.

2- المسعودي : مروج الذهب ج 3 ص 9- علي الخربوطلي : 10 ثورات / ص 60.

3- القرشي: مرجع سابق ج 2/ ص 406.

وقد ذكرنا جزءا منها في فصل سابق (1) .

وقد شارك «مسلم» الإمام علي (عليه السلام) والحسن والحسين (عليه السلام) وغيرهم رأيهم في وصف أهل الكوفة وغدرهم، فيما ذكره للحسين (عليه السلام) في إحدى رسائله :

(فلا يغرك أهل الكوفة ، فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمني فراقهم بالموت أو القتل وكذبوك وخذلوك ، وليس لكذوب رأي).

وقد وضح ذلك أيضا في قوله عند مقتله :

(اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا، فدعونا لينصرونا فأسلمونا العدو نأيريق دمائنا).

وهكذا سال الدم الزكي فوق «مسلم بن عقيل» شهيدا من أجل الفكرة السامية . وسيذهب أيضا (هاني بن عروة) شهيدا من أجل الحفاظ علي الوفاء بالعهد.

وكان ذلك بداية الأعمال التعسفية التي لم تشهد الكوفة لها مثيلا في التاريخ (2).

وقد خرج معه: المختار بن أبي عبيده الثقفي، وعبدالله بن الحارث بن نوفل ولكن «ابن زياد» قبض عليهما وحبسهما (3).

وعندما بعث «ابن زياد» رأس «مسلم وهاني» إلي «يزيد بن معاوية»، كتب إليه سريعا يشكره ويأمره أن يكمل ما بدأه، فيقتل الحسين بن علي أيضا : (وقد بلغني أن الحسين قد توجه نحو العراق ، فضع المراصد والمسالح، واحترس علي الظن ، وخذ علي التهمة غير ألا تقتل إلا من قاتلك

ص: 183

1- الفصل الرابع .

2- المسعودي : المروج ج 3 ص 9 - موسوعة العتبات المقدسة (قسم كربلاء) ص 49.

3- الطبري ج 6 ص 215.

واكتب إلي في كل ما يحدث من الخبر (1).

ولما علم الحسين (عليه السلام) بعد ذلك بمقتل «مسلم» وهاني «وعبدالله بن بقطر» أعلم الناس بذلك وقال :

(قد خذلتنا شيعتنا، فمن أحب منكم أن ينصرف فلينصرف فليس عليه منا ذمام). فتفرقوا يمينا وشمالا ، حتي بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ، ونفر يسير ممن انضموا إليه . فهؤلاء ظنوا أن الأمور قد استقامت للحسين في العراق .

ولذا، رأي الحسين أن يبين لهم ذلك ، حتي لا يصحبه إلا من أراد مؤاساته والموت معه .

2- هاني بن عروة :

كان رجلا مقداما ثابت الجنان : أجار «مسلم» حيث فر منه الجميع .

وقد جرؤ علي أن ينصح «ابن زياد» بمغادرة العراق ، فقال :

(تشخص إلي أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم، فإنه قد جاء حق من هو أحق من حقاك وحق صاحبك).

علي أن «ابن زياد» كافأه علي نصيحته بقتله في قصره ، وقد ناهز ال 99 عاما من العمر (2).

وكان «ابن زياد» قد طلب منه تسليم مسلم إليه ، فقال :

(لا آتيك بضيفي تقتله أبدا . والله لو كنت واحدا ليس لي ناصر لم أدفعه حتي أموت دونه) (3).

ص: 184

1- ابن الأثير : الكامل ج 4 ص 36/ الطبري ج 6 ص 215.

2- عبد الحسين إبراهيم : مرجع سابق ص 30- الطبري ج 6 ص 214 - المسعودي: المرجع السابق ص 89 - الخربوطلي - المرجع السابق / ص 60

3- ابن الأثير : الكامل ج 4 ص 28.

وقد كان ما ذكر.

وقال عند موته : (اللهم اجعل هذا اليوم كفارة لذنوبي، فإني إنما تعصبت لابن بنت نبيك محمد) (1).

ولكي يظهر الوالي الفرح والسرور، سحل جثتيهما في الشوارع .

3- زهير بن القين البجلي :

حينما كان الحسين (عليه السلام) في طريقه إلي الكوفة ، مر ب«زرود» ، فنظر إلي فسطاط مضروب ، فسأل عنه فقيل له:

إنه لزهير بن القين : وكان عثمانيا .

فاستدعاه الحسين ، فشق عليه ذلك ، ثم أجابه ، فلما عاد منه أشرق وجهه ونقل ثقله إلي الحسين، وضرب فسطاطه إلي لرق فسطاط الحسين ، ثم توجه إلي أصحابه قاتلا :

«غزونا بلنجر ففتح علينا وأصبنا غنائم ففرحنا. وكان معنا سلمان الفارسي فقال لنا: إذا أدركتم سيد شباب أهل محمد فكونوا أشد فرحا بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم.

فأما أنا فاستودعكم الله (2) .

(من أحب أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد) . ثم طلق زوجته وقال لها : « الحقي بأهلك فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خير» (3).

وقد لزم هذا الإنسان المخلص لدينه ، الحسين، حتي قتل معه في

ص: 185

1- باقر القرشي: المرجع السابق ج2/ص 410.

2- ابن الأثير : ج 4 ص 42.

3- فؤاد علي رضا : غصن الرسول ص 143 - الطبري ج 6 ص 225.

المعركة الكبرى. ومن موافقه مع الإمام (عليه السلام):

إنه عندما قابل الحسين ، جيش «الحر بن يزيد» قال زهير :

(إنني والله لأرى بعد الذي ترونه لأشد مما ترون، إن قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا، فلعمري، ليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا به).

فقال الحسين : (ما كنت لأبدأهم بقتال).

ثم خطب الإمام (عليه السلام) في صحبه :

(قد نزل من الأمر ما ترون، وأن الدنيا قد تغيرت وتكرت، وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء، وخسيس عيش كالمرعي الوبيل ، ألا ترون أن الحق لا يعمل به ، والباطل لا يتناهي عنه، ليرغب المؤمن في لقاء به محققا، فإني لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا برما).

فرد «زهير»:

(قد سمعنا هداك الله مقاتلك يا بن رسول الله ، ولو كانت الدنيا لنا باقية ، وكنا فيها مخلدين ، لأثرنا النهوض معك علي الإقامة فيها) (1).

ومن خطبه في جيش العدو:

(ونحن علي دين واحد حتي الآن ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة ، وكنا نحن أمة وأنتم أمة. إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد (صلي الله عليه واله وسلم) لينظر ما نحن وأنتم عاملون. إنا ندعوكم إلي نصره ، وخذلان الطاغية ابن الطاغية عبدالله بن زياد .

فإنكم لا- تدركون منهما إلا سوءا، يسملان أعينكم ويقطعان أرجلكم وأيديكم. ويمثلان بكم ويرفعانكم علي جذوع النخل، ويقتلان أمثالكم

ص: 186

1- عبد الحسين إبراهيم : مرجع سابق / ص 57.

(أمثالكم) وقراءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهاني بن عروة وأشباهه).

فما كان من الطرف الآخر إلا أن سبه وأثنى علي ابن زياد ، فقال زهير :

(يا عباد الله إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية ، فإن كنتم لم تنصروهم فأعيذكُم بالله أن تقتلوهم، خلوا بين الرجل وبين ابن عمه يزيد، فلعمري إن يزيد ليرضي من طاعتكم بدون قتل الحسين).

فرماه عندئذ «شمر» وخوفوه بالموت ، فقال : (والله للموت معه أحب إلي من الخلد معكم) (1).

ومن كلامه مع الأعداء يشرح موقفه وصموده مع الحسين رغم أنه كان عثمانيا :

(أفلسست تستدل بموقفي هذا أني منهم - أي من أهل البيت - «أما والله ما كتبت إلي الحسين ولا أرسلت إليه رسولا قط ولا وعدته نصرتي قط، ولكن الطريق جمعني وإياه ، فلما رأيته ذكرت ابن رسول الله ومكانه منه وعرفت ما تقدمون من عذرکم ونكتکم، وسبيلکم إلي الدنيا، فرأيت أن أنصره وأكون في حزبه وأن أجعل نفسي دون نفسه حفظا لما ضيعتم من حق الله وحق رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم)» (2).

4- الحر بن يزيد الرياحي :

كان من قواد جيش «ابن زياد» بعثه للتصدي للحسين (عليه السلام) وقطع

ص: 187

1- ابن الأثير : ج 4 ص 63 - الطبري ج 6 / ص 244.

2- باقر القرشي: مرجع سابق ج 2 ص 163 - البلاذري : أنساب الأشراف ج 1 ق 1 - الطبري : ج 6 ص 237 .

الطريق عليه . فأحاط الحسين وصحبه ، عندما كان سائرا نحو الكوفة . فسأله الحسين : من أنتم، لنا أم علينا؟

فقال له الحر: إنا قد أمرنا إذا لقيناك ألا نفارقك حتي نقدمك الكوفة علي ابن زياد . فقال الحسين : «أيها الناس ، أن تتقوا الله وتعرفوا الحق الأهله يكون رضا الله ... » (1) وعندما بادر الحسين (عليه السلام) إلي الانصراف نحو الحجاز، منعه «الحر» من ذلك ، وهدده بالموت إن لم يمثل لأمره ، ويسير معه نحو الكوفة . فرد عليه الحسين قائلا :

(أبالموت تخوفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلونني؟ ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه :

سأمضي وما بالموت عار علي الفتى *** إذا ما نوي خيرة وجاهد مسلما) (2)

وبعد تطورات الأحداث السريعة، وعندما كان اليوم العاشر من المحرم، لم يفكر «الحر» أو يتصور أن «ابن زياد» سيحارب الحسين وجماعته ، فما تصوره أن ما يجري هو مناوشة الحسين وتخويفه فقط. ولكن عندما زحف «عمر بن سعد» قائد الجيش الأموي نحو الحسين ، أوقفه «الحر» قائلا :

(أصلحك الله ، أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال له : أي والله قتالا أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي .

فقال الحر: أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضا؟

قال ابن سعد:

(والله لو كان الأمر إلي لفعلت، ولكن أميرك قد أبي ذلك).

ص: 188

1- راجع خطبة ص 176.

2- محمد رضا : مرجع سابق ص 110 - الطبري ج 6 ص 228.

فأخذ «الحر» يفكر سريعا، وبعد فترة قال لرجل من قومه : «إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، ولا أختار مع الجنة شيئا ولو قطعت وحرقت» (1).

ثم كان منه أن لحق بالحسين وحارب معه ، ودعا أهل الكوفة إلي التفكير مثله ، والرجوع إلي صوابهم ، والوقوف مع الحق ، فالتفت إلي الجيش قائلا :

(يا أهل الكوفة ، دعوتموه حتي إذا أتاكم أسلمتوه، وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه. أمسكتم بنفسه وأحطتم به ومنعتموه من التوجه في بلاد الله العريضة حتي يأمن ويأمن أهل بيته ، فأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعا، ولا يدفع عنها ضرا. وخلاتموه ونساؤه وأصبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهودي والمجوسي والنصراني ، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه . وها هو وأهله قد صرعهم العطش . بئسما خلفتم محمدا في ذريته، لا سقاكم الله يوم الظما إن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه) (2).

ومما جعل «الحر» يذكر الماء والعطش في كلامه ، أنه عندما قابل الحسين (عليه السلام) لأول مرة، كان العطش قد أضر جيشه، فحينما رأي الحسين ذلك قال لفتيانه :

«اسقوا القوم وأر وهم من الماء ، وارشفوا الخيل ترشيفا» ، وفضلا عن ذلك كان الحسين يروي القوم بيده (3).

ص: 189

1- موسوعة العتبات المقدسة - قسم كربلاء ص 61.

2- محمد رضا: المرجع السابق ص 110 - موسوعة العتبات المقدسة - قسم كربلاء ص 61 الطبري ج 6 / ص 245.

3- عبد الكريم القزويني : مرجع سابق ص 38.

وهذا مما أثر في نفسية الحر، ومن تغيير موقفه بعد ذلك، والخروج من معسكر «ابن سعد» إلى جانب الحسين (عليه السلام) ثم محاربة القوم واستشهاده .

ولأن «الحر» كان أحد رجال «ابن زياد»، فقد كان عارفاً لنفسياتهم الدينية، ونيتهم الإجرامية، وحبهم للشر، وبغضهم للخير. فكان خطابه تلخيصاً لحالتهم ونواياهم، فأوضح موقف أهل الكوفة ابتداءً من طلبهم في رسائلهم إلى الحسين، ليتزعمهم في ثورتهم، حتى نكثهم لعودهم، إلى الوقوف العدائي الجاحد ضده .

تاسعا - استخدام القوة والتلاحم العسكري :

نقدم فيه صوراً للأبطال من رجال الحسين وأنصاره وموقف أهل بيته منه:

قدمنا عرضاً سريعاً لبعض من هؤلاء الرجال الذين التفوا حول الحسين (عليه السلام) وكانوا أعظم أنصاره وأقوي مؤيديه في أهدافه ومبادئه، دافعوا عنها منذ أول اتصالهم بالحسين (عليه السلام) إلى أن قدموا أنفسهم ضحية وفداء في سبيلها فاستشهدوا دونه بإصرار قوي علي أن يفدوه بأرواحهم الطاهرة .

هؤلاء الرجال وقفوا مع الحسين وصمموا علي البقاء معه حتي النهاية، بعد أن تركه غيرهم، فثبتوا في مواقفهم الصلبة، حتي حينما طلب منهم الحسين بعد استشهاد بعض من رجاله وسفرائه وأهل بيته الانصراف عنه: (قد خذلتنا شيعتنا فمن أحب أن ينصرف فلينصرف ليس عليه منا ذمام) فتفرق عنه الناس، ولكن بقي في أصحابه هؤلاء الذين جاءوا معه من مكة والمدينة، وثبتوا معه في كل مواقفه حتي النهاية . وعندما حاصرهم العدو من كل جانب كي لا يفرون - ظنا منهم أن ذلك من سلوكهم وشيئتهم - خطب الحسين في أهله قائلاً:

(القوم لا يريدون غيري أحداً، وإني لأظن يومنا مع هؤلاء الأعداء

غدا ، وإني قد أذنت لكم فانطلقوا في حل ليس عليكم مني ذمام. هذا الليل قد غشيكم فتفرقوا في سواده وانجوا بأنفسكم) فما كان منهم إلا أن هتفوا:

(لم تفعل هذا لنبقي بعدك، لا أرانا الله ذلك أبداً، والله لا تفارقك ولكن أنفسنا لك الفداء ، نفديك بنحورنا وجباهنا وأيدينا، فإذا نحن قتلنا كنا وفينا وقضينا ما علينا) (1).

كان هؤلاء هم أصحاب الحسين وأهله، تسابقوا في الدفاع عنه والموت دونه .

كانوا تشكيلة غريبة من البشر ومزج عجيب من عناصره» .

كان فيهم الشباب والشباب والكهل، مثلما كان فيهم الرضيع .

كان فيهم الشاب الصغير اليافع ، وذو العمر متوسطه .

كان فيهم مع الرجال ، النساء اللواتي أردن الحرب والشهادة في سبيل الله والدفاع عن ابن بنت رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) وما أكثر محاولاتهم للفتك بواحد من أعداء الله .

وحتى قبل الحرب ، كان منهم من ساعد في معركته، حينما فتحت (مارية بنت سعد) من عبد القيس منزلها ليكون مجتمعا للتشاور في أمر البيعة للحسين (عليه السلام) وخرج منهم «يزيد بن نبيط» مع ابنه وانضموا إلي الحسين حتي قتلوا في كربلاء (2) .

كان فيهم السيد والنبيل، والعبد والمولي.

وكان فيهم العربي والعجمي. والقريب والغريب .

ص: 191

1- الطبري ج 6 / ص 239 - عمر أبو النصر: آل محمد في كربلاء ص 75.

2- ابن الأثير: الكامل ج 4 ص 28.

كان فيهم الصحابي والتابعي والمحب لأهل البيت . وكان فيهم الأنصاري -والمهاجري.

كان فيهم الفقيه والعالم والقاريء، وكان فيهم من آل الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) من يشبهه في خلقه وأخلاقه .

كان فيهم من كان أحد أسرته في جيش العدو، وهو جندي في جيش الحسين (عليه السلام).

وكان فيهم من كان أصلا في جيش «ابن سعد» وتحول إلي جيش الحسين .

وكان فيهم من لم يكن له عطف علي الحسين أو علي موقفه ، فتحول بكل جوارحه إلي جانبه حتي الشهادة .

وكانوا ينتمون إلي قبائل وعشائر مختلفة ، فهذا من أسد وذلك من غفار أو همدان أو قريش أو مراد أو غيرها.

وكان قد اشترك في هذه التشكيلة العجيبة الحيوان أيضا، فقد كان حصان «الحسين» أوفي من البشر فلم يستطع أحد أن يمسه فدافع عن نفسه وأذي كثيرا من الأعداء ، ثم أنه أخذ يقبل بدن الإمام المبارك الكريم ويمرغ ناصيته بالدم الطاهر ويصهل صهيلا عاليا (1) .

هؤلاء هم أصحاب الحسين وأهله الذين أحصرهم فكانوا ثمانين ، عرفوا بعد شهادتهم بعدد رؤوسهم التي اجتزت ورفعت علي السهام والحراب.

كان الواحد منهم في المعركة يقتل عددا من أفراد العدو، ويبارزه أكثر من مبارز واحد.

ص: 192

1- الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي : مرجع سابق ص 348.

ولم يقتل أحدهم بمواجهة فردية ، بل يقتل عندما يحوطه أكثر من مهاجم.

كانوا يتسابقون في البروز للعدو، فكثيرا ما طلب أحدهم أن يبرز قبل الآخر.

فهؤلاء هم الأنصار، حينما وضع الحسين (عليه السلام) آل البيت في مقدمة الصفوف، هجموا إلي الصف الأول قائلين : (معاذ الله أن تموتوا ونحن أحياء نشهد مصارعكم).

كان جنود العدو يتعاركون ويتسابقون للحصول علي رأس أحدهم للاشتراك في نيل الجائزة من الحكام. ولشجاعتهم وقوتهم، منع «ابن سعد» أفرادهم من مبارزتهم ، فلم يكن لهم طاقة بها أو الصمود أمامهم وأمرهم بالدخول في الحرب رأسا إذ هو أفضل.

ولم يكن دور هؤلاء الرجال في هذا اليوم هو الحرب والمبارزة فحسب، بل النصيحة والإرشاد والتوجيه أيضا، فقد عجز هؤلاء الأصحاب وهم يعظون الطرف الآخر ويذكرونهم الله حتي يرتدعوا عن قتال أهل البيت ، فلم يسمعوا لكلامهم ولم يفهموا لخطابهم فقد استحوذ الشيطان علي قلوبهم وأعمي بصيرتهم فأنساهم ذكر الله تعالى، وانتهى أمرهم إلي الحرب والقتال.

وقد عرف العدو قوتهم وبأسهم فأطبق عليهم الحصار، ففي أثناء الليل ، كان الحسين وأهله وأصحابه يصلون فيما كانت خيول حرس عدوهم تدور من ورائهم تحرسهم حتي لا يفرون، وكأنما كانوا يريدون قتلهم كلهم والقضاء عليهم جميعا .

وخير ما يوضح موقفهم وما صدر عنهم، شهادة أحد الأعداء الذين اشتركوا في هذا اليوم، فقد قيل لرجل شهد يوم الطف «مع عمر بن سعد»

:

(ويحك أقتلتم ذرية محمد رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم)؟ فقال : إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا . ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية ، تحطم الفرسان يمينا وشمالا وتلقي أنفسها علي الموت ، لا تقبل الأمان ولا ترغب في المال ، ولا يحول حائل بينها وبين الورود علي حياض المنية أو الاستيلاء علي الملك ، فلو كففنا عنها رويدا لأتت علي نفوس المعسكر بحذافيرها . فما كنا فاعلين لا أم لك؟ (1). فشهد شاهد من أهله . كانوا قلة في العدد ، وكثرة في الشجاعة والإقدام والفداء .

كانوا جيشا بكامله له ميمنته وميسرته وحامل لوائه .

وكالجيش الجرارة، أثناء حروبها كان منهم القتل والجريح والأسير.

فمنهم من قتل، ومنهم من أصبح أسيرا، ومنهم من لم يقتل فأصبح إماما ، حفظ ذرية محمد (صلي الله عليه واله وسلم) ونسله من الانتهاء ، فزادت الذرية وكثرت وانتشروا في بقاع الأرض يوزعون نورهم هنا وهناك .

هؤلاء أصحاب الحسين وأهله الذي قال فيهم الحسين : (فإني لا أعلم أصحاب أولي ولا خيرا من أصحابه ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي ، فجزاكم الله عني جميعا خيرا) (2) .

وبعد، فإني أحب الآن أن نلقي نظرة سريعة علي مواقف هؤلاء الرجال أثناء الوغي، فأقدم صورة متواضعة لها ولتصرفهم وبعض أعمالهم في ذلك اليوم التاريخي الخالد، ولا يستطيع القلم بكل إمكاناته أن يسطر حقيقتهم وحقيقة مواقفهم، وأطلب من الله التوفيق في ذلك. وقد تعارف الناس أن

ص: 194

1- ابن أبي الحديد: الشرح ج3 ص 263.

2- موسي محمد علي : مرجع سابق ص 155.

يذكروا مقتل الحسين (عليه السلام) وأصحابه قبل انتهاء أي محاضرة عنه أو التحدث عن ذلك اليوم، ونحن كذلك نتبع ذلك الأسلوب .

1- برير بن خضير الهمداني :

خاطب القوم في أمر أهل الحسين وعياله ليجعلهم حجة عليهم وعلي الظالمين : (يا قوم إن ثقل محمد (صلي الله عليه واله وسلم) قد أصبح بين أظهركم، وهؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمه، فهاتوا ما عندكم وما الذي تريدون أن تصنعوه بهم) (1).

كما شجع أصحابه أثناء المعركة بقوله: (لكنني مستبشر بما نحن لاقون، والله ما بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم) (2).

2- أنس بن الحارث الكاهلي :

وهو صحابي جليل، وشيخ كبير السن، شهد مع النبي (صلي الله عليه واله وسلم) بدرا

وحنينا، التحق بالإمام حتي استشهد معه .

3- نافع بن هلال الجملي (أو البجلي):

اختص برمي السهام، وقد أسر، ولكن «شمرا» قتله بضرب عنقه . وقال قبل موته : (الحمد لله الذي جعل مناينا علي يدي شرار خلقه) (3) .

4 - عابس بن أبي شبيب الشاكري :

وهو من أسرة عريقة في الشرف والنبيل والإخلاص والحق والشجاعة .

طلب المبارزة فلم يتجرأ أحد لمبارزته خوفا منه فقالوا: «هذا أسد

ص: 195

1- باقر القرشي: ج 3 ص 191.

2- ابن الأثير : ج 4 ص 60.

3- ابن الأثير: ج 4 ص 72 - باقر القرشي: ج 3 ص 226.

الأسود لا يخرجن إليه أحد منكم». فطلب «ابن سعد» بإلقاء الحجارة عليه وشدوا عليه من كل جانب فصرعوه واجتزوا رأسه وكل واحد يدعي قتله لينال الجائزة.

وكان معه «شوذب» مولي شاكرا، الذي قاتل حتي قتل .

5- ومن الموالى الذين اشتركوا وقاتلوا حتي قتلوا :

سليمان : مولي الحسين (عليه السلام) .

و منجح : مولي الحسين أيضاً .

وحوي : مولي أبي ذر الغفاري (1).

وجون : مولي أبي الغفاري أيضاً. وكان أسودا، فدعا له الإمام (عليه السلام) :

(اللهم بيض وجهه وطيب ريحه ، واحشره مع محمد وعرف بينه وبين آل محمد) (2).

6- عمرو بن جنادة الأنصاري :

كان عمره إحدى عشرة سنة ، فهو أصغر جندي في المعركة، وقد أمرته أمه بالحرب.

7- مسلم بن عوسجة الأسدي:

وصي «حبيب بن مظاهر» قبل موته :

(أوصيك بهذا رحمك الله - وأوما نحو الحسين - أن تموت دونه (3)).

ص: 196

1- الطبري : ج 6 ص 240.

2- باقر القرشي: ج 3 ص 229.

3- ابن الأثير : ج 4 ص 68.

وقد شهد له ولشجاعته وإسلامه : «ثبث بن ربيعي» من رجال عمر بن سعد بقوله :

(أتفرحون بقتل مثل مسلم ، فلقد رأيته يوم سلق أذربيجان ، قتل ستة من المشركين قبل أن تنام خيول المسلمين . أفيقتل مثله وتفرحون؟).

وقد تعارك «الحصين بن نمير» ورجل من بني تميم علي رأس «حبيب بن مظاهر» فيقول له: «أنا شريكك في قتله».

وقد تمكن «القاسم بن حبيب» من أن يأخذ بثأره أيام «مصعب بن الزبير» فقتل قاتل أبيه .

8- «أم وهب».

زوجة : عبدالله بن عمير الكلبي :

أقبلت نحو زوجها عند المبارزة تشجعه بقولها: (فداك أُمِّي وأبِي قاتل دون الطيبين ذرية محمد) .

وقد امتنعت عن الرجوع بعد أن طلب منها الحسين ذلك وقال لها: «جزيتم من أهل بيت خير». وقالت لزوجها: لن أدعك دون أن أموت معك .

وقد قتلها «شمر» بضربة علي رأسها بعمود .

وقد جاء «عبدالله بن عمير» إلي الحسين عندما عرف بأمره ، وهو علي مبدأ : (أن قتال الجيش الأموي جهاد في سبيل الله كجهاد المشركين : فوالله لقد كنت علي جهاد أهل الشرك - حريصا) (1) .

ص: 197

1- الطبري: ج6 ص 245 - ابن الأثير: ج 4 ص 65.

9- عبدالله وعبد الرحمن، ابنا عزره الغفاريان .

10 - سيف بن الحارث بن سريع، مالك بن عبد بن سريع، الجابريان .

وهما أبناء عم وأخوان لأم (1).

11 - سعد بن الحارث وأخوه أبو الحتوف الأنصاريان .

وكانا مع «ابن سعد» فقاتلا مع الحسين (عليه السلام).

12 - أبو الشعثاء الكندي، وهو:

يزيد بن أبي زياد بن المهاصر: كان في جيش «ابن سعد» فلما رأى موقفهم من الحسين (عليه السلام) عدل إليه وقاتل بين يديه ، وكان أول من قتل .

وقد رمى بمائة سهم ، وكلما رمى قال له الحسين : (اللهم سدد رميته واجعل ثوابه الجنة) (2) .

13 - أبو ثمامة الصائدي :

قتل ابن عم له كان عدوه في جيش «ابن سعد» .

14 - سويد بن المطاع :

كان قد صرع فوقع بين القتلي وسمع الناس يصرخون: قتل الحسين ، فوجد خفة فوثب ومعه سكين حيث كان سيفه قد أخذ، فقاتلهم بسكينة سامة ثم قتلبيد نفرين . وكان آخر من قتل من أصحاب الحسين (عليه السلام) (3) .

15- زهير بن القين :

كان علي رأس الميمنة في جيش الحسين (عليه السلام). وكان «حبيب بن مظاهر» في الميسرة .

ص: 198

1- الطبري: ج 6 ص 248

2- ابن الأثير : ج 4 ص (73)

3- ابن الأثير : المرجع السابق ص 79.

أسر فخلي سبيله . وكذلك خلي سبيل : المرقع بن تمامة الأسدي ، بعد أن جرح فأمنه قومه .

17 - قتل من أهل بيته 18 نفسا أو اثنان وعشرون رجلا من ولد أبي طالب (1) .

منهم : العباس بن علي بن أبي طالب :

الذي أعطاه الحسين (عليه السلام) رايته .

وقد بعثه الحسين (عليه السلام) لجلب الماء إلي معسكره حين حال «ابن زياد» الماء عنهم علي ألا يذوقوا قطرة منه ، وقد حارب العباس في سبيل الحصول علي هذا الماء .

كما طلب منه الحسين (عليه السلام) أن يستفسر عن قدوم القوم عليهم بخيلهم فقال له : يا عباس اركب بنفسك أنت يا أخي حتي تلقاهم فتسألهم مالكم وما بدا لكم وعما جاء بكم؟ فأتاهم «العباس» في عشرين فارس وسألهم عما يريدون؟ فقالوا:

جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا علي حكمه أو منازلتكم . فأخبر الحسين بطلبهم ثم أقبل يركض إليهم قائلاً: «يا هؤلاء إن أبا عبدالله يسألكم أن تتصرفوا هذه العشية حتي ينظر في هذا الأمر، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله ، فإما رضينا فأتينا بالأمر الذي تسألونه وتسومونه ، أو كرهناه فرددناه» (2) .

وكان الحسين (عليه السلام) يريد في هذه الليلة أن يصلي لربه ويدعوه ويستغفره . ولهذا طلب تأجيل الحرب يوم التاسع من المحرم «إلي يوم

ص: 199

1- أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص 95.

2- موسى محمد علي: مرجع سابق ص 155.

العاشر منه ، فقال للعباس : «إرجع إليهم فإن استطعت أن توخرهم إلي غدوة وتدفعهم عنا العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره . فهو يعلم - أي ابن سعد - أنني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار (1).

وكان من أهل بيته من الذين حاربوا معه غلام صغير دافع عنه قبل موته ، عندما رأى الأعداء يحيطون بعمه ويهمون بقتله فقال : يا بن الخبيثة أتقتل عمي؟ فضربه أحدهم (2).

كما كان منهم الرضيع (عبدالله) الذي كان قد أتم شهره السادس من عمره .

وأول قتيل من بني آل طالب كان : علي الأكبر بن الحسين بن علي . وآخرهم كان الحسين بن علي نفسه .

فقد زحفت الخيول نحو خيام الحسين (عليه السلام) منذ صبيحة اليوم العاشر من شهر محرم ، ولما سألت «زينب» أخيها عن هذه الخيول وهذه الرجال، لنا أم علينا؟ قال : لا يا أختاه هذه كلها تريد رأس أخيك الحسين في هذا اليوم» .

وقد أصبح الحسين وحيدا في الميدان بعد أن استشهد من كان معه من أهله وأصحابه ، فأطلق بصره إلي السماء وهو يناجي الله قائلا : (اللهم أمسك عنهم قطر السماء، وامنعهم بركات الأرض، اللهم فإن متعتهم إلي حين ففرقهم فرقا، واجعلهم طرائق قددا، فإنهم دعونا لينصرونا، فعدوا علينا وقتلونا) (3).

ص: 200

1- الطبري: ج 6 ص 238 .

2- الطبري ج 6 ص 259 .

3- عمر أبو النصر: ص 91 .

وحمل الناس عليه عن يمينه وشماله ، فحمل علي الدين عن يمينه فنفروا ، ثم حمل علي الدين عن يساره فنفروا فما روي مكثور قط قتل ولده وأهل بيته وأصحابه ، أربط جأشاً منه ولا أمضي جنانا ، ولا أجرا مقدما منه ، إذ كانت الرجالة لتتكشف عن يمينه وشماله انكشاف المعزي إذا شد فيها الذئب (1).

وقد توارز عليه من غرته الدنيا وباع حظه بالأرذل الأدني، وشري بأخرته بالثمن الأوكس وتردي في هواه (2) .

لم يقو أحد علي قتله، فما انتهى إليه رجل إلا انصرف كراهية أن يتولي قتله . حتي سقط السبط علي الأرض بعد أن حارب كجيش لوحده فجثم «الشمر» علي صدره ليقتله وليأخذ رأسه إلي «يزيد» طمعا في الجائزة.

ولنا أن نسأل ، هل كان الطمع في الجائزة حقا السبب والدافع إلي قتل الحسين وآله؟

يبدو لي أن ذلك صحيحا، فكما نعلم أن أعداؤه قتلوه أشنع قتلة ومثلوا به وبأهله جميعا إرضاء للحاكم والوالي، وتسابقوا إليه ابتغاء المكافأة (3) .

لقد تجرأوا وتعدوا علي أهل بيت الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) وقتلوههم . ولم يكن ذلك غريبا أن يقع الظلم علي الأبرياء الأظهر في هذه الدنيا، فقد قتل الأنبياء والصالحون والصديقون والأولياء ، والله سبحانه هو الذي سيحاسب الظالمين في الآخرة ، وفي الدنيا أيضا، علي ما جنت أيديهم (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) فلو لم يكن هناك دار أخري للحساب ، لساد الظلم والطغيان ، وفاز الظالم القوي .

ص: 201

1- ابن الأثير : ج 4 ص 77.

2- مفاتيح الجنان : ص 468.

3- محمد رضي : مرجع سابق ص 110.

وكما يبدو أنهم لم يشبعوا من الدم وسفكه ، فلم يشف غل صدورهم، فأمر بأن تطأ الخيول صدر الحسين وظهره ، ثم سلب ما كان علي الحسين (عليه السلام). كما أنهم تركوه مسجى في العراء، وانشغل القوم في سلب ونهب حله وإبله وأثقاله ومتاعه ، وسلبوا نساءه ، وتناولوا عليهن ، حتي إن كانت المرأة لتتازع ثوبها عن ظهرها حتي تغلب عليه فيؤخذ منها (1).

أخذوا سراويله وقطيفته ونعليه وسيفه وقميصه، ولم يتركوا شيئا إلا أخذوه .

هل انتهوا؟ لا فقد كان لا بد من إكمال الجريمة . رفع رأس الحسين (عليه السلام) الشريف علي خشبة وطيف به أحياء الكوفة علي مرأى من السبايا الثواكل، وسيقت العقائل الهاشميات إلي قصر الإمارة في موكب تعس لم تشهد الدنيا مثيلا له من قبل ولا بعد، وعرض الموكب علي أهل دمشق قبل أن يساق إلي حضرة «يزيد» (لقد جئتم شيئا إذا تكاد السموات يتفطرن به وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا) (2).

قتلوا خير الناس ، كما قال «سنان بن أنس النخعي» قاتله :

قتلت خير الناس أما وأبا *** وخيرهم إذ هم ينسبون نسبا (3)

قتلوه وهو يقول: أقتل مظلوما وأذبح عطشانا وأموت غريبا (4) .

وقد حدث ما قدر الله تعالي وما أخبر عنه الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) من قبل . فقد قتل أهل بيت الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) وجماعته من أصحاب الحسين بعد أن ضربوا

ص: 202

1- ابن الأثير : ج 4 ص 78 - الطبري ج 6 / ص 260.

2- بنت الشاطيء : سكينه بنت الحسين ص 66.

3- ابن الأثير : ج 4 ص 79.

4- الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي : مرجع سابق ص 348.

المثل الأعظم في التضحية والفداء والجهاد في سبيل الله ، وبعد أن قدموا صورة لمعركة غريبة من نوعها، غير متكافئة وغير عادلة ، وغير شريفة ، حيث نفر قليل أمام جيش عرمرم، بعد أن أسروا في الطريق وطوقوا من العدو ذي العدة والعدد .

ولكنهم أظهروا للتاريخ بالرغم من كل ذلك أنهم كانوا جيشا عظيما خاف منه الجريء والشجاع، وتفرق عنه أثبتهم جنانا وأربطهم جاشا .

ص: 203

الفصل السادس: نتائج وآثار الثورة

مرحلة ما بعد الحسين

يتناول هذا الفصل الجوانب التالية :

- النتائج المتعددة الثورة الحسين وقتله. وقد قسمت إلى تسعة آثار : سياسية ، اجتماعية وأخلاقية تربوية ونفسية، وأثرية وانتقامية وثأرية، وثورية .

وهذه الأخيرة قسمت إلى ثلاث طوائف .

- ثورات أهل البيت والصحابة .

-ثورات البيت الأموي .

-ثورات الخوارج .

ص: 205

إن نتائج و آثار معركة كربلاء، والتي ترتبت علي قتل الحسين وأهل البيت (عليه السلام) لم تكن هينة أو وقتية . بل إن هذه الآثار والنتائج كانت خطيرة وعظيمة للغاية وهي أخطر مما تصورها القائلون بجريمتها ومنفذوها.

فقد تصور «يزيد» وأعوانه، أنهم بموت الحسين وأهل بيته (عليه السلام) سيتخلصون من مشاكلهم، وتستقيم لهم أمورهم، فيحكمون الناس كما يشتهون، فيستعبدونهم، ويتمرغون هم في الخيرات ، ويحيون حياتهم طولا وعرضا في الدنيا، دون أن يفكروا في الانتقام الإلهي، أو الخوف من عذاب الله في الآخرة ، التي ربما لا يعترفون بوجودها أو حدوثها.

ولكن الأحداث التي عقبته شهادة الحسين وأهله ، كانت أكبر بكثير من تصوراتهم وتخيلاتهم، وأخطر مما كان يتخيله قتلهم والمعرضون لها والمشركون في تنفيذها، وذلك بسبب تفكيرهم القصير ، وعقولهم الناقصة ، فهم لا يرون إلا القريب ، فأعينهم وبصيرتهم لا تتعدي في قوتها حواجبهم ، فلم يتمكنوا من النظر إلي المستقبل قريبا كان أو بعيدا، كما أنهم لم يتمكنوا من التنبؤ لما سيحدث نتيجة أعمالهم الإرهابية ، ودليل ذلك :

إنهم قاموا بجريمتهم النكراء الشنيعة علي أمل الانتهاء من مشكلة حادة تعوق تأسيس ملكهم، وتهدد سلطانهم، وبالتالي فإنه بإعمال القوة والبطش

والقتل والتمثيل بالجثث، سيتمكنون من التخلص من إحدي المشاكل الكبرى التي تهدد سلطانهم، فيرتاحون بعد أن يشتتوا أركان دولتهم لتستمر سنين وقرون عدة طويلة تتوارثها أجيالهم ، جيلا بعد جيل أموي .

فقد تمسك الأمويون بحكمهم وسلطانهم بكل الوسائل والأدوات والأجهزة التي عرفوها والتي اخترعوها وحتى عندما قام أهل بيت النبي (صلي الله عليه واله وسلم) ليعلموا للناس فساد أمرهم، وينتقدوا أعمالهم، لم يترددوا في القضاء عليهم بنفس الأسلوب الذي أحبوه وشبوا عليه ، فاستخدموا هذه المرة أشنع الأساليب وأشنعها، وأقساها وأكثرها دناءة وخسة ، لم يعرفها السابقون من طغاة الحكام وظلامهم المتجبرين، فقتلوا الرجال وسبوا النساء، واعتدوا علي الأطفال، وحملوا الرؤوس علي أسنة الرماح، يهتفون بالانتصار علي أعدائهم، وكأنهم في حرب ضد الأجنب الكفار، أو في فتح لإحدي البلدان الغربية عن دار الإسلام استفاد المسلمون منها بنشر الإسلام ودين محمد (صلي الله عليه واله وسلم) جد هؤلاء الضحايا الأظهار الأبرار . و يقيم «يزيد» الأفراح في دمشق قبل أن يصل رأس الحسين الشريف وأهل بيته وذلك استقبالا لهم، ويجلس مترنحا فيقول شعرا : (فلقد قضيت من الرسول ديوني).

وهم في نشوة من هذا الانتصار العظيم ، في قتل هؤلاء الأبرياء الكرام، ارتاحت أنفسهم بعد أن تخلصوا من أكبر المشكلات التي اعترضت سلطانهم وملكهم، إذ ثبت الآن واستمكن، هذا الملك ، فلا خوف بعد اليوم، حيث العيش الوفير ، والحياة الهنيئة والملك المستديم .

ولكن هيهات ، ما كل ما يتمني المرء يدركه .

إنهم لم يقدروا الموقف، ولم يقدروا العاقبة ، ولم يقدروا الناس حق قدرها، ثم لم يقدروا الله حق قدره ولم يعرفوه . لم يعرفوا أن الله سبحانه وتعالى لهم بالمرصاد وأن جريمتهم هذه ستكون بداية النهاية لدولتهم. بداية

النهاية لأسمائهم في التاريخ. بداية لتشويه سمعتهم في الأرض وفي السماء. بداية لتقرير مصيرهم عند الأفراد والأمم. بداية للكشف عن صورهم الحقيقية أمام الشعوب والدول وتعريتهم.

فمنذ ذلك اليوم عرف الإنسان الفرد. والأمم والناس والدول والشعوب المختلفة ، من هم الأمويون؟ وما هي طبيعتهم ونفسياتهم؟ وكيف هي مستويات أخلاقهم ، وما هي غاياتهم وأهدافهم في المجتمع الإسلامي؟ وما هي وسائلهم وأدواتهم في الوصول إلي تلك الأهداف والغايات؟

ومن هم أعوانهم ورجالهم في قيادة أمة الإسلام؟

عرف الناس أفرادا وجماعات ، لماذا، وكيف؟ وبماذا؟ ولمن؟ يقومون بتلك الأعمال القبيحة؟ فالحسين (عليه السلام) حين قدم نفسه فدية ضخمة تتوهج بالدم، لأنه هو الوحيد الذي يملك أن يتقدم كفدية ، لتهز الضمير الميت في قلب الأمة . فهو أشرف وأذكي رجل في عصره يقدم نفسه ليوغل فيه أعداء القيم العليا ما شاء لهم انحذارهم، كآخر ما يستطيع أن يصل إليه بشر، فتكون الصرخة التي توقظ ضميرا خربوه بكل الوسائل. وكانت شهادته أعظم انتصار للثورة، لأنها تغلغت في الضمير العربي، وأحيت الضمائر التي خنقها الإرهاب ، لتسقط بعد ذلك، لا لتبقي. وقد سقطت فعليا بعد ستين عاما فقط.

والحسين عندما خرج وهو يتمثل بقول جده النبي (صلي الله عليه واله وسلم) : (من رأي سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ، ناكثا لعهد الله ، مخالفا لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله الإثم والعدوان ، فلم يغير ما عليه بعمل ولا قول، كان حقا علي الله أن يدخله مدخله) كان قد رأي أن :

(هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا

الفساد، وعطلوا - الحدود، واستأثروا بالغي، وأحلوا حرام الله، وحرموا جلاله (1).

فإنه كان يرى أنه أحق من غيره في قيادة الأسوة (وأنا أحق من غيري، وقد أتتني كتبكم ورسائلكم ببيعتكم. وإنكم لا تسلمونني ولا تخذلونني. وأنا الحسين بن علي ابن فاطمة بنت النبي (صلي الله عليه واله وسلم)، نفسي مع أنفسكم، وأهلي من أهلكم، فلکم في أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي، وخلعتم بيعتي، فلعمري ما هي لكم بنكير، والمغرور من اغتر بكم. فحظكم أخطأتم، وتقيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث علي نفسه، وسيغني الله عنكم) (2).

وإنما كان يرغب من وراء تلك التضحية الكريمة أن يكون أسوة لغيره من بعده، أن يكون طريقا يفتح به قلوب المؤمنين وضمانهم لتناضل وتكافح في سبيل المباديء - السابقة التي ذكرها عن الرسول (صلي الله عليه واله وسلم). كانت نفسه الأبية تغلي مثل الرجل في أشد احتدامة، فلم يصغ إلي أمير، ولم يسمع من مشفق، ولم يتراخي أمام سلطان أو قوة غاشمة، وأبي أن يرضي للمؤمنين بالدنية والخسف، فأعلن الإنكار، ولم يعط أذن إلي من نصحه بالبقاء دون الخروج، لأن عدم خروجه، وإن تكن فيه سلامته، ففيه حتف المسلمين قاطبة، واستهان بكل شيء ما عدا مبدأه (3).

فقد أبت نفسه إلا أن تكون القدوة الحسنة والمثل الأعلى لكل مصلح ولكل نائر علي الظلم والظالمين، ولكل أبي كريم يؤثر الموت تحت ظلال السيوف علي الحياة بين أطمار الذلة وفي ظل الجباية. ولا يزال وسيقي رمزا للبطولات والتضحيات، وحدثا طيبا كريما للأجيال تستمد منه معانيه وأبعاده الخيرة، أقدس المثل وأكثرها عطاء في تاريخ البشرية الطويل (4).

ص: 210

- 1- من خطبة الإمام الحسين (عليه السلام) في جيش «الحر».
- 2- من خطبة الإمام الحسين (عليه السلام) في جيش «الحر».
- 3- عبد الحميد جودة السحار: حياة الحسين ص 105.
- 4- العقاد: أبو الشهداء ص 82.

كان يرغب من وراء عمله الإنساني، أن يبعث روح الثورة في المجتمع الإسلامي الذي بدأ فعلا بالثورة، حيث بدأت الجماهير ترقب زعيما إذا ظهرها يقودها، كانوا وراءه وهم علي أتم الاستعداد للثورة والتضحية والفداء.

لقد كانت ضربة كربلاء، ومن بعدها ضربة المدينة وضرب البيت الحرام، أقوى ضربات بني أمية لتمكين سلطانهم وتثبيت ملكهم، وتغليب ملكهم علي المنكرين والمنازعين، فلم ينتصر عليهم المنكرون والمنازعون بشيء، كما انتصروا عليهم بضربات أيديهم، ولم يذهبوا بها ضار بين حقبة حتي ذهبوا بها مضر و بين إلي آخر الزمان .

فلننظر إلي مسرح الحياة بعد مصرع الحسين وآله (عليه السلام)، هل نعم آل أمية في حكمهم وتسلطهم؟ أم أنهم انشغلوا بالقضاء علي هذا والتخلص من ذلك، سواء كان ثائرا أو معارضا، أو مطالبا، للحق ، أو مجاهدا في سبيل الله.

ننظر إلي أحوال هذه الدولة التي عندما انقضت وانتهت، عرف ما قصده الإمام الحسن (عليه السلام) وعلم تفسير قوله لما قيل له : تركت الخلافة معاوية؟

فقال : ليلة القدر خير من ألف شهر .

فلم يستمر حكمهم وملكهم إلا نيفا وثمانين سنة، وهي ألف شهر .

سنذكر ما يمكننا من ذكره من نتائج و آثار معركة الطف في كربلاء يوم قتل آل الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) هناك يوم العاشر من المحرم الموافق ليوم الجمعة أو السبت 61 هـ، المساوي ليوم 10 أكتوبر من عام 680 م.

أولا - آثار سياسية :

أ- كان قتل «الحسين» سلاحا ذو حدين وضعته الدولة الأموية في

أيدي أعدائها، وكان لهذا السلاح أثره العاجل في تمزق ملك «يزيد بن معاوية» وانحلال الدولة الأموية في عهد «معاوية الثاني» (ومروان بن الحكم) الذي أنهى الدولة الأموية السفيانية وأنشأ الدولة مروانية .

ب - كان موقف الأمويين من «الحسين» وهو امتناعهم لكل «حل سلمي» جعلهم بمثابة الثائرين علي الإسلام نفسه ، وقد جعل «الحسين» هذا الموقف لصالحه ، فبينما قال لهم : (أخبروني ، أتطلبوني القتل منكم قتلته ؟ أو مال استهلكته ؟ أو بقصاص من جراحه؟ ويلكم أقتلونني علي سنة بدلتها أم علي شريعة غيرتها) لم يكن في مقدورهم الإجابة علي أسئلته وموقفه، بل كانوا يتخبطون في الردود ، فمرة يقولون: انزل علي حكم ابن زياد ومرة يجيبون: بأننا نقتلك بغضا لأبيك (1).

فموقفهم إزاء «الحسين» كان لمجرد الانتقام والثأر . وإذا كان كذلك فما ذنب أهله وأصحابه ؟

إذن لم يكن لهم أي دافع أو سبب مقنع لارتكابهم المجازر وسفك الدماء في ساحة كربلاء.

ولذا فعندما أنكروا أنهم راسلوا «الحسين» للمجيء والقدوم إليهم، رد عليهما بالإمام: (إذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلي مأمني من الأرض) (2) .

وكاد «الحسين» أن ينجح في فكرته وفي تحول أنظار الجيش الأموي إلي مبادئه والتفكير في موقف أنصار الأمويين، وذلك بخروج بعضهم من هذا الجيش والالتحاق بالحسين (عليه السلام)، ولكن «ابن سعد» تدارك الموقف

ص: 212

1- شمس الدين : مرجع سابق ص 154 .

2- الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوري الحنفي: مرجع سابق ص 346 (من كتاب عن أبي مخنف الذي ذكر فيه شهادة الحسين وأهله).

سريعا ، فرمي أول سهم يفتتح به القتال والحرب خوفا من انهيار جيشه وتفككه وانحلاله فخسارته.

ج- بعث حركة الحسين (عليه السلام) روح الثورة في المجتمع الإسلامي، فبدأ الشعب يثور وبدأت الجماهير ترقب زعيما يقودها وهي مستعدة للثورة والتمرد علي الأمويين في كل حين كلما وجد القائد. وقد أصبح الأخذ بثأر «الحسين» شغل أهل العراق الشاغل، فاعتبروا أنفسهم مسؤولين أمام الله والمسلمين عن دماء الحسين وآله المسفوكة في كربلاء العراق ، وأصبحت صيحة (يالثارا الحسين) من أهم العوامل التي قوضت بنيان الدولة الأموية. فقد تأمل «يزيد» والأمويون أنه بالانتهاء من مشكلة الحسين (عليه السلام) ستنتهي جميع مشاكلهم ويستتب الأمر لهم ، ولكن ذلك أدي إلي العكس تماما لمعتقداتهم، فلم تؤثر حركة الحسين (عليه السلام) في إرباك الدولة الأموية وقيام الثورات والتمردات المتعددة فحسب، بل إنها أنهت دولتهم في وقت مبكر وفي فترة قصيرة ، كان يأمل الأمويون أن تدوم وتستمر قرونا طويلة .

ثانيا - آثارها علي البيت الأموي :

أ- زلزل « معاوية الثاني» أركان الدولة الأموية وسلب جده وأباه حقهما في الخلافة ، وعدد أخطاءهم بصورة كفت المعارضين للدولة الأموية مؤونة مهاجمتها، فقد خطب في الناس بعد بضعة أشهر من الحكم: (أيها الناس، إن جدي معاوية نازع الأمر أهله ، ومن هو أحق به منه ، لقرابته من رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) وهو علي بن أبي طالب ، وركب بكم ما تعلمون، حتي أتته منيته فصار في قبره رهينا بذنوبه وأسيرا بخطاياها ، ثم تقلد الأمر أبي فكان غير أهل لذلك وركب هواه وأخلفه الأمر وقصر به وصار في قبره رهينا بذنوبه وأسيرا بجرمه . وبعد أن بكي قطع همسات الناس قائلا:

أيها الناس، إن من أعظم الأمور علينا علماء بسوء مصرعه وبؤس

منقلبه ، وقد قتل عترة رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) وأباح الحرم، وضرب الكعبة ، وما أنا بالمتقلد ولا بالمحتمل تبعاتكم فشأنكم وأمركم. والله لئن كانت الدنيا خيرا فلقد نلنا منها حظا، ولكن كانت شرا لكفي ذرية أبي سفيان ما أصابوا . ألا فليصل بالناس «حسان بن مالك» وشاوروا في خلافتكم رحمكم الله).

وعرضوا عليه أن يولي الخلافة أخيه «خالد» فرفض وقال :

(والله ما ذقت حلاوة خلافتكم فلا أتقلد وزرها) (1).

وقد استنكر بنو أمية تصرف « معاوية الثاني» هذا، فلم يدر بخلدهم أن يظهر واحد منهم يناوئهم بهذه الكيف. ويعارضهم بهذا الأسلوب ، فما كان منهم إلا أن وضعوا وزر تصرفه وأخلاقه علي مؤدبه «عمر المقصوص» أي جعلوه «كبش فداء» فقالوا له :

(أنت علمته هذا ولقنته إياه وصددته عن الخلافة وزينت له حب علي وأولاده ، وحملته علي ما وسمننا به من الظلم، وحسنت له البدع حتي نطق بما نطق وقال ما قال). ولم يقبلوا منه اعتذاره والدفاع عن نفسه حينما قال : (والله ما فعلته، ولكنه مجبول و مطبوع علي حب علي) فأخذوه ودفنوه حيا حتي مات (2).

ب - وكان لهذا الموقف أثره في تمزيق البيت الأموي نفسه ، حيث بدأ الصراع علي السلطة فاستولي الفرع المرواني علي الحكم وأبعد الفرع السفيفاني ، كما أدى إلي انشقاق الدولة نفسها وسقطت معظم الولايات في أيدي أعدائها والمناوئين للحكم الأموي، ولم يبق للبيت الأموي إلا الشام، التي لم تسلم أيضا من الحروب والتمرد والفوضى والتمزيق فاشتعلت فيها

ص: 214

1- ممدوح حقي : الفرزدق ص 5 خالد محمد خالد : أبناء الرسول في كربلاء ص 36.

2- الدميري : حياة الحيوان الكبرى - باب الهمة ص 113.

الحروب الأهلية تغذيها روح العصبية الجاهلية التي أسسها نظام الحكم الأموي وقواعده .

ج - تحطم منذ ذلك اليوم الإطار الديني الذي أحاط به الحكام الأمويون حكمهم الفاسد، فلم تعد لهذا الحكم حرمة دينية عند جماهير المسلمين . فقد كانت الرؤوس والسبايا وأحاديث الجنود العائدين دلائل حية بليغة الأداء تعمل علي تقويض كل ركيزة دينية للحكم الأموي في نفوس المسلمين . فلولا قيام الحسين (عليه السلام) بتلك التضحية الكريمة لكان الدين كله أمويا يسعي بملوك أمية وهو ذلك الإفساد في الأرض (1).

وكان الأمويون قد أدخلوا في أذهان الناس بأن بني أمية هم أئمة الإسلام ورسخ ذلك في عقائد الناس منذ طفولتهم، فاعتقد الناس حقيقة أن هؤلاء أئمة الدين، وأن مخالفيهم علي ضلال ، فلما قتل الحسين ، بتلك الكيفية وسبيت عياله ، تنبه الناس أن لو كان هؤلاء أئمة حق ، ما فعلوا ذلك، لأنفعلهم لا يطابق دينا ولا مذهباً ولا عدلاً ، كما لا يطابق جور الجائرين (2) .

ثالثاً - آثار اجتماعية وأخلاقية وتربوية :

أ- قدم الحسين وآله في ثورتهم الأخلاق السامية وهي الأخلاق الإسلامية الرفيعة بكل صفائها ونقاها، ولم يقدموها بألستهم وإنما كتبوها بدمائهم وحياتهم. فهذا اللون من الأخلاق وهذا النموذج من السلوك يعتبر خطراً علي كل حاكم يجافي روح الإسلام في حكمه .

وإذا كانت ضمائر الزعماء قليلاً ما تتأثر بهذه المثل المضيئة ، فإن الأمة سريعاً ما تتأثر بها. وهو ما كان يقصده الحسين (عليه السلام) في أن يشق الطريق

ص: 215

1- باقر القرشي: ج 3 ص 443.

2- عبدالله العلايلي: مرجع سابق ج 3 ص 443.

للأمة المستعبدة لتناضل عن إنسانيتها. فابتدأت من جديد تتغير الأخلاق القبلية إلى أخلاق جديدة إسلامية دعا إليها الإسلام منذ أن صاح بها النبي (صلي الله عليه واله وسلم) وصرح بها، وأراد الحكم الأموي أن يسترجعها ويثيرها ويثبتها في قلوب المسلمين من جديد، فحرك الحسين (عليه السلام) الأخلاق مرة أخرى وهزها ليظهرها علي السطح لتبرز وتشع . فاندثرت الروح القبلية والعصية الجاهلية التي حرمها الله ورسوله (صلي الله عليه واله وسلم) فلم تصبح الحياة الدنيا وإنما الحياة للمباديء ، والأخلاق وللآخرة ، فهي خير وأبقى .

ب - كلما ذكر الحسين (عليه السلام) ذكرت به معاني الفضيلة والحق، وإذا ذكر خصومه ، ذكر بهم معني اللؤم البغيض والإنسانية الشريرة. فقد علمنا الحسين كيف نحافظ علي ذاتيتنا، وكيف نتناهي في الدفاع عن كرامتنا، وكيف نعمل في سبيل القضية المقدسة، وكيف يجب علي الزعيم العامل أن يكون إرادة ماضية لا يلين ، وعلمنا كيف نعتق المباديء وكيف نحرسها، وكيف نقدر العقيدة وندافع عنها، وكيف نموت ونحيا كراما بها، ورسم طريق الخلود والأدب القومي من طريقها (1). فقضيته كانت قضية الصراع بين الخير والشر، بين النور والظلمة، بين الحرية والاستبداد، بين العدالة والمحسوبية . لقد جعل الحسين من نفسه قبلة هائلة تفجرت لتهدم معالم ذلك الملك العضوض الذي طالما أمعن في امتصاص دم الشعب وخنق الحرية بأبشع الأساليب الميكافيلية الرعناء ، فوهب نفسه للسيوف ذيادا عن حياض الرسالة المحمدية ومنافحة عن دين الحق ، بشعاره :

إن كان دين محمد لم يستقم *** إلا بقتلي، يا سيوف خذيني (2) .

ج - كانت قضيته أئمن درس عن الإيمان والوفاء والتضحية في سبيل

ص: 216

1- عبدالله العلايلي : الإمام الحسين ص 349.

2- محمد كامل سليمان : الأيدلوجية الشيعية في رثاء الحسين ص 90.

الله ، فهي ترفع الحسين وأهل بيته وأصحابه علي جميع شهداء الحق والعدل في العالم. وحسبك من تقويم الأخلاق في تلك النفوس أن ما من أحد قتل ، في كربلاء إلا كان في وسعه أن يتجنب القتل بكلمة أو بخطوة، ولكنهم جميعا آثروا الموت عطاشا جياعا مناضلين ، علي أن يقولوا تلك الكلمة أو يخطوا تلك الخطوة، لأنهم آثروا جمال الأخلاق علي متاع الحياة .

رابعا - آثارها علي المعاصرين لها، وعلي المفكرين والعلماء والأدباء من بعد :

1- فجع المسلمون المعاصرون بقتل حفيد الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) وأصبح استشهادة قضية لا يوجد في الإسلام أعظم فحشا لها، وقد حدث ذلك للمسلمين ولم تنقض خمسون سنة علي انتقال النبي (صلي الله عليه واله وسلم) من هذه الدنيا إلي حظيرة الخلود.

فتلك أقبح الجرائم التي ارتكبت تحت راية الإسلام لا يمكن أن يقدم عليها أي بشر يوصف بالآدمية حتي مهما تجرد من آدميته، أو مهما زادت درجات حقه وخسته. وما زالت قصة استشهاد سبط رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) عالقة في الأذهان لفظاعتها، فهي وصمة عار في جبين التاريخ الإسلامي.

وقد حزن الهاشميون علي سيد الشهداء ، أشد ما يكون عليه الحزن واللوعة ، فاستمروا في النياحة عليه ثلاث سنين، وكان (مسور بن مخرمة ، وأبو هريرة ، والمشيخة من أصحاب الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) يأتون متسترين فيستمعون ندبتهم فيكون بكاء مرا) (1).

ومن أقوال الإمام زين العابدين في ذلك :

« قد أصبحت العرب تفتخر علي العجم بأن محمدا منهم، وأصبحت

ص: 217

1- باقر القرشي : مرجع سابق ، ج 3 ص 428.

قريش تفتخر علي العجم بأن محمدا منهم، وأصبحت قريش تفتخر علي سائر العرب بأن محمدا منهم، ونحن أهل بيته أصبحنا مقتولين مظلومين، قد حلت بنا الرزايا، نساق سبايا، ونجلب هدايا، كأن حسبنا من أسقط الحسب، ومنتسبنا من أرذل النسب، كأن لم نكن علي هام المجد رقينا» (1).

وكتب «عبدالله بن عباس» إلي يزيد:

«وسألت أن أحب الناس إليك وأبغضهم وأخذلهم لابن الزبير، فلا ولا سرور ولا كرامة. كيف وقد قتلت حسينا وفتيان عبد المطلب مصابيح الهدى ونجوم الإعلام، غادرتهم خيولك بأمرك في صعيد واحد مرملين بالدماء مسلوبين بالعراء، مقتولين بالظماء، لا مكفينين ولا موسدين، تسفي عليهم الرياح، وينشي بهم عرج البطاح، حتي أتاح الله بقوم لم يشركوا في دمائهم كفنوهم وأجنوهم، وبي والله وبهم عززت وجلست مجلسك الذي جلست، فما أنسي من الأشياء، فلست بناس إطرادك حسينا من حرم رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) إلي حرم الله، وتسييرك الخيول إليه، فما زلت بذلك حتي أشخصته إلي العراق، فنزلت به خيلك عداوة منك لله ولرسوله ولأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» (2).

وكان الإمام الشافعي يبكي أشد البكاء وهو يتلو أبيات شعرية:

تزلزلت الدنيا لآل محمد *** وكادت لها حمم الجبال تذوب .

كما أن «الحسن البصري» صاح: « واذلاه لأمة قتل ابن دعيها - ابن مرجانة - ابن نبيها . والله لينتقم له جده وأبوه من ابن مرجانة» (3).

ص: 218

1- عبد الحميد جودة السحار : مرجع سابق، ص 196، الطبري، ج 13 ص 89.

2- ابن الأثير : الكامل ج 4 ص 128/ اليعقوبي - ج 2 ص 235.

3- باقر القرشي : مرجع سابق ص 428.

وكذلك أظهر «وائله بن الأسقع» الصحابي الجليل استيائه وغضبه لقتل الإمام (عليه السلام).

كما أن «أم سلمة» أم المؤمنين توفت كمدا وحزنا علي الحسين .

وقال «أبو برزة الأسلمي» من أصحاب رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) ليزيد بن

معاوية ورأس الحسين أمامه :

(أما أنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيحك ، ويجيء هذا يوم القيامة ومحمد (صلي الله عليه واله وسلم) شفيعه) (1).

وقد تأثر بالفاجعة وغضب لها، قيصر الروم، فكتب إلي يزيد:

(قتلتم نبيا أو ابن نبي).

وكان رسول قيصر عند يزيد عندما أتى برأس الحسين ، فقال متعجبا : (إن عندنا في بعض الجزائر كنيسة فيها حافر حمار عيسي (عليه السلام) ونحن نحج إليه كل عام من الأقطار ونذره له النذور ونعظمه كما تعظمون كعبتكم ، فأشهد أنكم علي باطل (2).

وممن شهد علي تلك الجريمة، أحد أعداء الحسين (عليه السلام) وهو: شيب بن ربعي، الذي أكره علي قتال الحسين ، فقال :

(لا يعطي الله أهل هذا المصر خيرا أبدا ولا يسددهم الرشد، ألا تعجبون أنا قاتلنا مع علي بن أبي طالب ومع ابنه، آل أبو سفيان خمس سنين ، ثم عدونا علي ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن

ص: 219

1- الطبري: مرجع سابق ص 267 - ج 6.

2- الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي : ص 325 - البيهقي : المحاسن والمساوي ج 1 ص 46.

سمية الزانية ، ضلال يا لك من ضلال (1) .

كما أن «يزيد بن معاوية» نفسه أدرك أن رد فعل عمله أصبح عكسيا ، فندم علي فعلته - ولكن حيث لا ينفع الندم - فقال يحدث عن ابن زياد يحمله المسؤولية : (لعن الله ابن مرجانة ، فإنه أخرجه واضطره ، ثم قتله فبغضني بقتله إلي المسلمين ، وزرع في قلوبهم العداوة بما استعظموه من قتلي حسينا، فأبغضني ، البر والفاجر (2)).

كما أن رد الفعل لمقتل الحسين (عليه السلام) لدي أهل السنة كان عنيفا ، إذ فشلت تماما كل محاولة للتوفيق في الحكم بتصويب حركة الحسين ، وموالات أعدائه من الخلفاء مع ميل أهل السنة عادة إلي الحلول الوسطي، ولكن ذلك انهار عند مقتل الحسين ، فانتهاوا إلي اعتبار الخلافة الدينية منتهية بتنازل الحسن بن علي وفقا للحديث : (الخلافة من بعدي ثلاثون عاما ثم تصير ملكا عضوا) (3) .

وقد نقل صالح بن أحمد بن حنبل (رضي الله عنه) قال : قلت لأبي : يا أبت أتلعن يزيد؟ قال يا بني كيف لا نلعن من لعنه الله تعالى في ثلاث آيات من كتابه العزيز . قال تعالى : « وَالَّذِينَ يَقْتُلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ » وأي قطيعة أفضح من قطيعته (صلي الله عليه واله وسلم) في ابن بنته الزهراء؟ وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً » وأي أذية له (صلي الله عليه واله وسلم) فوق قتل ابن بنته الزهراء؟ وقال تعالى : (فَهَلْ عَسَيْتُمْ أَنْ تُلَاقُوا)

ص: 220

1- ابن الأثير : ج 4 ص 68.

2- بنت الشاطيء: تراجم سيدات بيت النبوة - بكلية كربلاء ص 790/ ابن الأثير ج 4 ص 87.

3- توفيق أبو علم : الحسين بن علي ص 209 (من كلام : أحمد محمود صبحي في كتابه : نظرية الإمامة)

الأرضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ» وهل بعد قتل الحسين إفساد في الأرض أو قطعية للأرحام (1)؟ .

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده ، عن الربيع بن منذر عن أبيه قال : كان الحسين يقول: (من دمعت عيناه فينا قطرة، أتاه الله عز وجل الجنة) (2).

وأخرج «ابن عبد البر» في الاستيعاب ، «وابن حجر» في الإصابة :

عن عمر بن عبد العزيز، أنه قال : (لو كنت من قتلة الحسين وغفر الله لي وأدخلني الجنة لما دخلتها حياء من رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم)) (3).

وقال : «ابن سعد اليافعي» : وأما حكم من قتل الحسين أو أمر بقتله ممن استحل ذلك فهو كافر، وإن لم يستحل ففاسق (4).

ويقول فيها العلامة ابن طباطبا المعروف بالطقطقي :

(هذه قضية لا أحب بسط القول فيها استعظاما واستفظاعا لها، فإنها قضية لم يجر في الإسلام أعظم فحشا منها، ولعمري أن قتل الإمام أمير المؤمنين هو الطامة الكبرى، ولكن هذه القضية جري فيها من القتل الشنيع والسبي أو التمثيل ما تقشعر له الجلود. واكتفيت أيضا عن بسط القول فيها بشهرتها فإنها شر الطامات. فلعن الله كل من باشرها وأمر بها ورضي بشيء منها، ولا يقبل الله منه عرفا ولا عدلا ، وجعله الله من الأخسرين أعمالا ، والذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (5)

ص: 221

1- توفيق أبو علم : المرجع السابق ص 208/ محمد رضا : مرجع سابق ص 149.

2- موسي محمد علي : مرجع سابق ص 213 - ص 214.

3- موسي محمد علي : مرجع سابق ص 213 - ص 214.

4- موسي محمد علي : مرجع سابق ص 213 - ص 214.

5- الفخري في الآداب السلطانية ص 84- إسماعيل أحمد إسماعيل : المسجد النبوي الشريف ص 55.

وقال الإمام الحافظ بن كثير : كل مسلم ينبغي له أن يحزنه قتل الحسين رضي الله عنه ، فإنه من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة ، وابن بنت رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) التي هي أفضل بناته ، وقد كان عابدا شجاعا سخيا (1).

وجاء في الكامل لابن الأثير الجزري : ما فخر الآلاف الكثيرة التي تجتمع علي اثنين وسبعين رجلا قد نزلوا علي غير ماء؟ إنما يعتبر النصر شرفا وفخرا إذا كانت العدة متكافئة ، والعدد قريبا ، فحقق ابن زياد ومن كان علي شاكلته ، أن يندبوا علي أنفسهم بالخبيبة والخسران، وأن يطأطئوا رؤوسهم ذلاً وعارا، حينما وقف هؤلاء النسوة الأشراف علي رأسهن السيدة زينب بنت فاطمة بنت رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) وهي بهذه الحالة . لعن الله الفسق والفساق ، لقد سودوا صحائف التاريخ، وسجلوا علي أنفسهم الجرائم الكبرى التي لا تغفر ولا تنسي مدي الدهر، فإننا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله (2) .

ومما ذكره المفكرون والكتاب في العصور التالية ، تقتطف الأجزاء التالية من آرائهم وأفكارهم في تلك الملحمة الرائعة :

«إن الروايات الإسلامية التي هي باستثناءات نادرة ، معادية باتساق للأسرة الأموية يعتبرون الحسين شهيدا، ويزيد قاتله، والمسألة بالنسبة للمسلمين تقرره علاقة الأمويين بالإسلام، فلا يمكنهم وقد خرقوا قوانينه وسخروا من مثله العليا، أن يكونوا غير طغاة، وما داموا طغاة فلا يحق لهم قتل المؤمنين الذين يشقون عصا الطاعة في وجه سلطتهم الغاصبة، وعند التمهيص نجد أن ما يسمي بحكم التاريخ هو حكم الدين، وقضاء الإسلام

ص: 222

1- موسي محمد علي : المرجع السابق ص 214.

2- موسي محمد علي : المرجع السابق ص 214.

الإلهي. وعلي هذا الأساس فإن الأمويين قد أدنوا بحق « (1). » وليس في تاريخ «يزيد» عمل واحد صحيح أو مدعي ولا كلمة واحدة صحيحة أو مدعاة، تقيمه بحيث أراد المأجورين من العذر الممهّد والمدح المعقول، أو تخوله مكان الترجيح في الموازنة بينه وبين الحسين. كل أخطائه ثابتة عليّة - ومنها بل كلها- أخطؤه في حق نفسه ودولته ورعاياه، وليس له فضل واحد ثابت، ولا كلمة واحدة مأثورة تنقض ما وصفه به ناقده وعائبوه « (2).

ومن الصعب أن نجد في تاريخ البشرية كله يوماً كذلك اليوم الفريد والمجيد، وأبطالاً كأولئك الأبطال الشاهقين والباهرين، إذ لم يكن الأمر في ذلك اليوم، أمر شهداء برزوا لمناياهم في استبسال وغبطة، ولا أمر جيش خرج لجيش مثله فأبلي وأحسن البلاء، وإنما الأمر الذي شغل الدنيا في يوم كربلاء، هو أنه اليوم الذي تجلت فيه قداسة الحق، وشرف التضحية علي نحو متميز وفريد.

إنه يوم لم يعرف المسلمون بعد حقه عليهم، ولا واجبهم تجاهه، وإن الأقدار لم تدع رؤوس أبناء الرسول (صلي الله عليه وآله وسلم) تحمل علي أسنة رماح قاتليهم بل لتكون مشاعل علي طريق الأبد، للمسلمين خاصة، وللشريعة الراشدة كافة، يتعلمون في ضوئها الباهر: أن الحق وحده هو المقدس، وأن التضحية وحدها هي الشرف، وأن الولاء المطلق للحق والتضحية العادلة في سبيله، هما وحدهما اللذان يجعلان للإنسان وللحياة قيمة ومعنى « (3).

«إن مأساة الحسين المروعة بالرغم من تقادم عهدها وتباين موطنها لا

ص: 223

-
- 1- صفاء خلوصي: (موسوعة العتبات المقدسة - قسم كربلاء - الجزء الأول) رأي المستشرق «رينولد نيكلسن» في كتاب (تاريخ الأدب العربي) ص 187
 - 2- عباس العقاد: أبو الشهداء ص 276.
 - 3- خالد محمد خالد: أبناء الرسول في كربلاء - المقدمة، ص 8.

بد أن تثير العطف والحنان في نفس أقل القراء إحساساً وأقساهم قلباً . فقد هزت مذبحه كربلاء العالم الإسلامي هزا عنيفاً ، وخلقت في فارس شعوراً ساعد أحفاد العباس فيما بعد علي استغلاله لمصلحتهم الشخصية وتقويض دعائم الدولة الأموية « (1).

« فقد سالت دماء الحسين زكية لتزلزل ملك بني أمية وتقويض أركانه ، إذ كان الحسين ميتاً أخطر منه حياً» (2).

« وقد منح يوم كربلاء الشيعة شعاراً في المعارك يتلخص في الثأر من أجل الحسين، وقد برهنت الأيام فيما بعد علي أنه أحد العوامل التي قوضت أسس الدولة الأموية « (3) .

« فكانت محنة أي محنة للطالبيين عامة وأبناء فاطمة خاصة ، ثم كانت محنة أي محنة للإسلام نفسه ، خولف فيها عما هو معروف من الأمر بالرفق والنصح وحقن الدماء إلا بحقها، وانتهك أحق الحرمات بالرعاية، وهي حرمة رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) التي كانت تفرض علي المسلمين أن يتخرجوا أشد التحرج، ويتأثموا أعظم التأثم قبل أن يمسوا أحداً من أهل بيته « (4).

« لم تنقض في ذلك خمسون سنة علي انتقال النبي (صلي الله عليه واله وسلم) من هذه الدنيا إلي حظيرة الخلود ، محمد (صلي الله عليه واله وسلم) الذي بر بدينهم ودنياهم، فلم ينقل من الدنيا حتي نقلهم من الظلمة إلي النور، ومن حياة التيه في الصحراء إلي حياة عامرة يسودون أمم العالمين».

ثم هذه خمسون سنة لم تنقض بعد، وإذا هم في موكب جهير يجوب

ص: 224

- 1- السيد أمير علي : من كتابه : مختصر تاريخ العرب - موسوعة العتبات - كربلاء) ص 253.
- 2- عبد الحميد جودة السحار : مرجع سابق ص 180.
- 3- فيليب حتي: من كتابه : تاريخ العرب . (موسوعة العتبات ص 194 قسم كربلاء).
- 4- طه حسين : المجموعة الكاملة - المجلد الرابع - الفتنة الكبرى ص 672.

الصحراء إلى مدينة بعد مدينة ، سبايا بنات محمد (صلي الله عليه وآله وسلم)، حواسر علي المطايا، وأعلامه رؤوس أبناءه علي الحراب، وهم داخلون به دخول الظافرين» (1).

« فأى فاجعة أفضع من مقتل الحسين وقد مضى شهيدا مظلوما كريما صابرا مكثورا. وأي عدو أحط نفسا وأعظم جهلا وأغلظ كبدا من أخصامه إذ ارتكبوا هذه الجناية وهم يرفون جليل قدره طلبا للحظوة عند أميرهم ، وطمعا في المال ، فباعوا آخرتهم بديناهم .

وكما أن حياة الحسين منار المهتدين، فمصرعه عظة المعترين وقدوة المسلمين. وتأمل عناية الله بالبيت النبوي الكريم ، يقتل أبناء الحسين ولا يترك منهم إلا صبي مريض أشفي علي الهلاك فيبارك الله في أولاده فيكثر عددهم.

فالحسين هو الذي عبد للأمم طريق الخروج علي ولاية الفسق والجور، ودعا إلي جهاد الظلم من استطاع إليه سبيلا» (2).

« هذه عاصمة أمية - الشام - التي اتخذت يوم قتل الحسين عيدا واستقبلت الرؤوس والسي بالدفوف والطبول، و بقيت أياما وعليها منشورة معالم الزينة والفرح، أصبحت والمأتم تقام فيها نادبة الحسين باكية عليه ، الاعنة من اجترح منه ذلك الذنب العظيم . وهذا اسم الحسين مكتوب علي مسجد الأعمش، وقد وضع ثوب السواد شعار الحزن علي موضع صلب الرأس من ذلك المسجد. وأين قبر معاوية ويزيد من عاصمتهم الشام، وأين الزائر لهما من أشياعهم ومن سائر الناس ؟ » (3).

ص: 225

1- العقاد : المجموعة الكاملة لمؤلفاته - المجلد الثاني - العبقريات الإسلامية - أبو الشهداء / ص 257.

2- من مقدمة كتاب : غض الرسول الحسين بن علي للأستاذ .د. محمد فتح الله بدران ص 7.

3- محمد حسين المظفر: الشيعة في التاريخ ص 34.

« فمدفنه مزار يطيف به المسلمون متفقيين ومختلفين ، ومن حقه أن يطيف به كل إنسان ، لأنه عنوان قائم لأقدس ما يشرف به هذا الحي الآدمي بين سائر الأحياء، فما أظلت قبة السماء مكانا لشهيد قط هو أشرف من تلك القباب ، بما حوته من معني الشهادة وذكرى الشهداء»
(1).

« فالحسين ليس ملكا لجيل دون جيل، إنه ثروة الأمة في كل زمان ومكان ، ومن حق الأجيال أن تتعرف عليه وتقتدي به، لأن كل الأجيال مطالبة بالعمل من أجل الجنة التي يكون الحسين سيذا لشبابها جميعا» (2).

« والحسين رثاؤه عبادة ، واستماع رثائه عبادة، والجلوس في مجلسه عبادة ، والههم والحزن له عبادة، وتمني الشهادة بين يديه عبادة ، والسلام عليه عبادة» (3) .

وذلك كله ما دفع السير «برسي سايكس» إلي أن يقول في كتابه «تاريخ إيران» :

«إن الإمام الحسين وعصبته القليلة المؤمنة عزم علي الكفاح حتي الموت وقاتلوا ببطولة وببساله ظلت تتحدي إعجابنا وإكبارنا عبر القرون حتي يومنا» (4) .

خامسا - آثار ومعالم أثرية :

أصبح الحسين وأهل بيته (عليه السلام) مزارا للمسلمين من وقت شهادتهم إلي يومنا هذا و إلي ما شاء الله حين ينهي الحياة علي الأرض. وأصبح رأس الحسين الذي استحوذ عليه القتلة ليحصلوا علي الجوائز الثمينة من وراء

ص: 226

1- العقاد : أبو الشهداء / ص 257.

2- هادي المدرسي : الشهيد والثورة ص 250

3- توفيق أبو علم : مرجع سابق ص 186.

4- موسوعة العتبات : كربلاء ص 256.

اقتنائه ، له مزارات عدة ، بعد أن سيطر نفر من الحكام علي الرأس الشريف وأراد أن يكون بجانبه في أرضه فيدفن فيها تبركا وإعظاما . فالأماكن التي ذكرت علي أنها موطن رأس «الحسين» في ستة مدن : «المدينة - كربلاء - دمشق - عسقلان - الرقة - القاهرة»، وهي تدخل في بلاد الحجاز والعراق والشام وبيت المقدس والديار المصرية ، تكاد تشتمل علي مداخل العالم الإسلامي كله من وراء تلك الأقطار، فإن لم تكن هي الأماكن التي دفن فيها رأس «الحسين» (عليه السلام) فهي الأماكن التي تحيا بها ذكراه لا مرء» (1).

فلو أعطيت كربلاء حقها من التنويه والتخليد لحق لها أن تصبح مزارا لكل آدمي يعرف لبني نوعه نصيبا من القداسة وحقا من الفضيلة، لأننا لا نذكر بقعة من بقاع الأرض يقترن بها اسمها بجملة من الفضائل والمناقب أسمى وألزم لنوع الإنسان من تلك التي اقترنت باسم كربلاء بعد مصرع الحسين فيها، فما أظلت قبة السماء مكانا لشهيد قط هو أشرف من تلك القباب بما حوته من معني الشهادة وذكرى الشهداء (2).

سادسا - آثار نفسية :

استطاع الحسين أن يجعل الذين خانوا أباه وغدروا بأخيه في حزن مقيم وعبرة لا تسكن، وندب لا يذهب مهما طالت السنون وانقضت القرون. فقد حصل الشعور بالإثم وأثر ذلك في النفوس، وأصبح التفكير في التكفير عن الإثم والذنب الذي ارتكبهوه .

وأثار مشاعر الحقد والكراهية في النفس للذين دفعوه إلي ارتكاب الجريمة . فأصبح الطريق ممهدا للأمة المستعبدة للنضال عن إنسانيتها كما أرادها الحسين . وتغيرت النفوس، فالذين كانوا حاملين في الحرب من

ص: 227

1- عباس العقاد : أبو الشهداء / ص 111 .

2- عباس العقاد : عبقرية الإمام / ص 237 .

قبل، تسلحوا الآن وبدأوا معركة كبيرة ضد الحكم الأموي بعد أن زال الخوف والتردد من قلوبهم . فأصبحت نفوسهم مهيئة تماما وشجاعة وجريئة للقيام بأي عمل بطولي في سبيل الدين والإسلام، ورفع راية الإسلام عالية خفاقة وتحرير إرادة الأمة العربية الإسلامية ، فانقلب بذلك مفاهيم الخوف والخنوع السائدة إلي مبادئ الثورة والنضال، وهي من نتائج أعظم الثورات التحررية في الأرض . فالأحداث - التي ستتابع سريعا، ستؤثر في النفوس أيما تأثير ، وستترك آثارا مريرة في النفوس . فحصار الكعبة وانتهاك حرمة المدينة، بعد سفك دماء أهل البيت ، وسياسة الجبر والقهر والاستبداد ، واضطهاد المعارضة، والابتعاد عن سيرة السلف الصالح، وحب الترف واللهو وكثرة مظاهره ، وكثرة المذاهب وتصارعها، وظهور أقوال كثيرة غير مألوفة من قبل، والاعتماد علي العصبية في الحكم ، لم تكن هذه الأمور واضحة لأحد ولا في حسابان أحد، ولا لها اهتمام أو تأثير في فرد إلا بعد أن وقفوا جميعا أمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء وسفكوا دماءه، ففطنوا عندئذ وتفهموا الأمور علي حقيقتها، بعد أن تعلموا الدرس الذي كان علي المسلم أن يتعلمه بالوسائل الصحيحة السليمة، وكانت تلك الوسيلة هي التضحية البطولية الرائعة لأهل البيت .

سابعا - آثار انتقامية وثأرية :

أهلك الله سبحانه وتعالى كل من شهد مقتل الحسين (عليه السلام) أو رفع رمحا في حربه ، أو ضرب بسيف في قتاله. فبعد ست سنوات حاق الجزاء بكل رجل أصاب الحسين في كربلاء ، وكان مصرعه هو الداء القاتل الذي سكن جثمان دولة بني أمية حتي قضى عليها .

وقد كتب الله السلامة «لزين العابدين» من الموت ورجع إلي المدينة فتزوج من «فاطمة» بنت الحسن (عليه السلام) فيكتب للسلالة الطاهرة أن تبقي في

النبعة الكريمة - الملتفة ولا يفني بيت «الحسن» المسموم ولا «الحسين» الشهيد. ونعمت يد الله (1).

فكل من اشترك في حربه أو قتله أصابته مصيبة ، منهم من مات بأسلوب أو بأخر وبأقبح أنواع الموت أو ابتلي بالعطش فكان يشرب ولا يرتوي ، وعن «الزهري» : (أنه لم يبق من قتله إلا من عوقب في الدنيا إما بقتل أو عمي أو اسوداد وجهه أو زوال الملك في مدة يسيرة) (2).

فمن منع عن الحسين الماء دعي عليه فأصابته دعوته مثل : «عبدالله بن أبي الحصين الأزدي» حين قال للحسين : والله لا تذوق من هذا الماء قطرة حتي تموت عطشا، فقال الحسين : اللهم اقتله عطشا ولا تغفر له أبدا . ويحلف «حميد بن مسلم» أنه رآه بعد ذلك يشرب فلا يرتوي ويقيء ثم يشرب حتي مات (3) .

وكذلك «عبدالله بن حوزة» قال للحسين : أبشر بالنار . فقال الإمام : رب حزه إلي النار . فاضطرب به فرسه في جدول فأخذ يضرب برأسه كل حجر وكل شجرة حتي مات.

وقد رأى « مروان بن وائل » هذا المنظر فقال : لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئا لا أقاتلهم أبدا (4) .

والذي سلب قميص الحسين واشترك في وطيء الخيل علي جسده الشريف فبرض بعد ذلك وهو «إسحاق بن حيوة الحضرمي» (5).

ص: 229

1- عبد العزيز الأهل : زين العابدين ص 35.

2- الحافظ القندوزي : ص 323.

3- الطبري: ج 6 ص 234 .

4- الطبري: ج 6 ص 246.

5- الطبري: ج 6 ص 261.

وعندما قال «الحجاج بن يوسف يوما : من كان له بلاء فليقم ، فقام «سنان بن أنس» وقال : أنا قاتل الحسين . فقال : بلاء حسن . ورجع إلي منزله فاعتقل لسانه وذهب عقله فكان يأكل ويحدث مكانه (1).

ثامنا - آثار ثورية :

إشارة

لم يعرف التاريخ هزيمة كان لها من الأثر لصالح المهزومين كما كان الدم الحسين . فانهزم الحسين في كربلاء وأصيب هو وذووه من بعده ، ولكنه ترك الدعوة التي قام بها ملك العباسيين والفاطميين، وتعلل بها أناس من الأيوبيين والعثمانيين ، واستظل بها الملوك والأمراء بين العرب والفرس والهنود والروم، ومثل للناس في حلة من النور تخشع لها الأبصار .

وباء بالفخر الذي لا فخر مثله في تواريخ بني الإنسان ، غير مستثني منهم عربي ولا أعجمي، ولا قديم ولا حديث.

فقد أثار مقتله ثورة ابن الزبير وخروج المختار، وانقضي الأمر إلي ثورات أخري حتي زالت الدولة الأموية ، بعد أن صارت ثارات الحسين هي الصرخة المدوية لتدك العروش وتزيل الدول. فأصبحت هذه «الثارات نداء كل دولة تفتح لها طريقا إلي الأسماع والقلوب .

وتلك جريرة يوم واحد هو يوم كربلاء، فإذا بالدولة العريضة تذهب في عمر رجل واحد مديد الأيام، وإذا بالغالب في يوم كربلاء، أخسر من المغلوب إذا وضعت الأعمار المنزوعة في الكفتين (2).

والثورات التي اعتمدت ثورة الحسين (عليه السلام) طريقا لها وتأثرا بها لا تعد ولا تحصى - ولكثرتها فإننا سنتناول الأهم منها فالمهم، ويمكن تقسيمها إلي ثلاث طوائف:

ص: 230

1- الطبري : ج 13 / ص 20.

2- عباس العقاد : أبو الشهداء / ص 131 .

في الطائفة الأولى نتناول الثورات الكبرى التي قادها أهل البيت وأبناء الصحابة أو التابعين أو العلماء الأجلاء. وقد تمكن بعضها من تأسيس دولة خلافة أو ولايات خاصة علي حساب الدولة الأموية .

وفي الطائفة الثانية نتناول الثورات التي خرجت من البيت الأموي نفسه والذي قادها زعماء ومناصرو الأسرة الأموية.

ثم نتناول في الطائفة الثالثة ، الثورات الخاصة بالخوارج .

ص: 231

1- ثورات المدينة المنورة :

أ- زينب بنت الإمام علي (عليه السلام) - علي بن الحسين (عليه السلام) :

بالرغم من أن المدينة المنورة اهتمت من قبل وفجعت في عهد «معاوية» الذي خوف أهلها ليركنوا إلي الهدوء والمسالمة ، فقد اضطربت في عهد خلفه «يزيد» وثار عليه أهلها وعلي ولاته ورجالاته .

ومرت ثورة أهل المدينة في هذه الفترة علي مرحلتين : كانت الأولى سلمية ، وأخذت الثانية طابع القوة والعنف.

وكان زعيم وقائد الثورة الأولى : زينب أخت الحسين (عليه السلام) وعلي بن الحسين فعندما رجع الإمام زين العابدين مع نساء وأطفال آل الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) إلي المدينة بعد مذبحه كربلاء، لم يبق ساكنا وكأن شيئا لم يكن ، بل استطاع مع السيدة زينب عمته ، من شحن النفوس بالحق علي الظالمين، والكراهية ليزيد ودولته ، وتهيئتها للثورة عندما يحين وقتها.

ولم تقم «زينب» بثورتها بعد مذبحه كربلاء. بل ابتدأتها مع أخيها الحسين (عليه السلام) فكانت إلي جانبه ، وإلي جانب المريض تمرضه والمحتضر تواسيه ، والشهيد تبكيه. فقد رؤيت إلي جانب أخيها الحسين (عليه السلام) منذ بدأ القتال حتي انتهى .

وتمكنت في فترة قصيرة أن توصل أهداف ومبادئ نهضة الحسين (عليه السلام) إلى الحكام والولاة والأفراد الذين حاربوه ، ومن لم يحاربه ، كما وصل صداها بعيدا إلى الأمم في الأمصار الإسلامية ، «فزينب» التي اشتركت مع أخيها الحسين (عليه السلام) ومع آل الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) في حرب كربلاء، أكملت هذه الحرب في قصور الأمراء والحكام وفي الشوارع، ثم أشعلتها في المدينة حتي ثارت وثار أهلها، حتي أنها عمت مدن العراق والشام ومصر بالتالي ، إلا أن حركتها السلمية في المدينة أدت إلي الثورة الدامية واستخدام العنف في مجابهة رجال الحكم الأموي .

فاستطاعت في فترة قصيرة أن تشعل في نفوس الشيعة خاصة والمسلمين عامة حزنا مستعرا لم يخمد لهيبه حتي اليوم، وأن ترهق الذين أسلموا آل البيت بوخز الحسرة والندم، وتجعل التكفير عن خطيئتهم ميراثا رهيبا مقدسا يتوارثونه جيلا بعد جيل (1).

كانت مواقفها جريئة وشجاعة لم تكن لامرأة من قبل ولا من بعد، فقد جابهت أمراء بني أمية ، وصمدت أمام حكامهم، ونددت بأهل الكوفة ، وأثارت أهل الشام، بل تمكنت من أن تدخل الألم والخوف في قلوب آل أمية ، فأحزنت أفئدتهم، وأدمعت عيونهم، وأربكت تفكيرهم ، حتي أخرجها «يزيد» من الشام وأرسلها إلي المدينة المنورة ، فاستمرت في موقفها الشجاع الذي خوف آل أمية من الانهيار، فأخرجوها من مدينة جدها (صلي الله عليه واله وسلم) إلي مصر .

خطبت أهل الكوفة بعد المذبحة حين رأتهم يبكون ويتحسرون :

(أبكون وتنتحبون؟ أي والله فابكوا كثيرا وأضحكوا قليلا. كل ذلك بانتهاكم حرمة ابن خاتم الأنبياء وسيد شباب أهل الجنة ، فلا سكنت العبرة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم مثل الذي نقصت غزلها من بعد قوة إنكاثا ،

ص: 233

1- بنت الشاطيء تراجم سيدات بيت النبوة ص 646.

تتخذون أيما نكم دخلا- بينكم، ألا- ساء ما ترون. أو تعجبون لو أمطرت دما؟ ألا ساء ما سولت لكم أنفسكم، إن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون (1).

وقد بقي صدي صوتها يدوي في آذان أهل الكوفة ويملاً الفضاء من حولهم، مذكرا إياهم بخطيئتهم الشعناء. وظل هذا الصدي باقيا لم يتبدد مع الأحداث التي أعقبت المذبحة وثار لقتلاها، وقد رددت حوائط الكوفة صدي صوتها.

وفي مجلس «ابن زياد» عندما تكلم الطاغية بكلام قبيح يوبخها والهيا، ردت عليه دون خوف أو تردد: (الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه (صلي الله عليه واله وسلم) وطهرنا من الرجس تطهيرا. إنما يفضح الفاسق و يكذب الفاجر، وهو غيرنا والحمد لله) (2).

كان حملها ثقيلًا، وواجباتها كبيرة، وإرثها كثيرا. كانت تحارب قتلة أخيها في جبهات متعددة، فهناك الأمير الأموي، والحاكم الأموي، وأهل الكوفة، وأهل الشام، وأهل المدينة الذين حرصتهم للانتقام.

كانت تبرز المأساة للناس، أفرادا وجماعات، وتوضح أخطاء الحكم وجرائمه، هنا وهناك، في المدن وفي الشوارع، وفي الطرق ذات المسافات الطويلة، عند ترحالها من مكان إلي آخر. فبعد أن أظهرت موقف الأمير الأموي وأهل الكوفة، كان لها موقفها المعروف عند «يزيد» الحاكم. حين أراد أحد بطانته الاستيلاء علي إحدي كريمات بيت النبوة، فردت علي يزيد:

(كلا والله ما جعل الله ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا)،

ص: 234

1- باقر القرشي: مرجع سابق ج 3 ص 335 - بنت الشاطيء : المرجع السابق ص 765.

2- بنت الشاطيء : المرجع السابق ص 765.

فيغضب «يزد» لقولها : (إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك). فتجيب عليه بكل قوة :

(بدين الله و بدين أبي وأخي وجدي ، اهتديت يا يزيد أنت وأبوك وجدك) (1).

هذا موقف في مجال . ونري موقفا آخر في مجال آخر، حين فرح «يزيد» بالرؤوس ، قالت : (صدق الله يا يزيد: « ثُمَّ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَأُوا السُّوءَ إِنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ»، إن الله أن أمهلك فهو قوله : «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ، إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مَّهِينٌ» ، إن العدل يابن الطلقاء تخديرك بناتك وإماتك ، وسوقك بنات رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) كالأساري قد هتكت ستورهن وأصلحت أصواتهن ، مكثبات تجري بهن الأباغر، وتحذو بهن الأعادي من بلد إلي بلد، لا يراقبن ولا- يؤوين ، يتشوفهن القريب والبعيد، ليس معهن قريب من رجالهن ؟ والله ما فريت إلا في جلدك ، ولا حزرت إلا في لحمك، وستردي علي رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) برغمك، ولتجدن عترته ولحمته من حوله في حظيرة القدس يوم يجمع الله شملهم من الشعث، «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ» . فكذ كيدك ، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحيننا، ولا يرخص عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله علي الظالمين) (2).

فلم تكذ تخرج من عند «يزيد» حتي أحس أن سروره بمقتل الحسين (عليه السلام)

ص: 235

1- بنت الشاطيء مرجع سابق ص 772.

2- بنت الشاطيء مرجع سابق - باقر القرشي: ج 3 ص 380.

قد شابه كدر خفي ظل يزداد حتي استحال إلي ندم، كدر صفو الأعوام الثلاثة الأخيرة من حياته .

وفي الشام أيضا كان لها موقف في مجال ، حين أقامت مع بنات رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) المأتم أياما ، فبكت النساء الهاشميات ، وبكت معهن نساء بني أمية ، فلم تبق من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهم تبكي وتنوح علي الحسين (عليه السلام). وأقيمت المناحة ثلاثة أيام وصالا علي روح الشهداء (1).

وبعد الشام، وفي الطريق إلي المدينة ، حينما مروا علي كربلاء، ناحت النوائح ثلاثة أيام لم تهدأ لهن لوعة ولم ترفا لهن دمعة .

كان هذا أسلوبها في ثورتها السلمية ، فقد تركت نشاطها في ترديد المأساة والنوح والبكاء المتواصل الذي ألهب النفوس، وهياها للثورة التي كانت تنتظر ساعة الصفر للانفجار . فتعتبر حركتها السلمية مع ابن أخيها، تحركا سياسيا مغلفا بلون الحزن المثير لعواطف الجماهير وغضبها ونقمتها علي يزيد وحكومته . لقد تمكنت «زينب» (عليه السلام) أن تقسد علي « ابن زياد» و بني أمية ، لذة النصر، وسكبت قطرات من السم الزعاف في كؤوس الظافرين .

فحينما عادت إلي المدينة أرض جدها الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) لم تبق مخدرة إلا برزت من خدرها نائحة معولة ، وما رأت مدينة الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) أفجع مشهدا ، ولا رأت مثل ذلك اليوم أكثر باكيا و باكية ، فأقامت المدينة أياما بلياليها تشهد المأتم الرهيب ، وتصغي إلي النواح الفاجع، وتتلقني في ثراها الطاهر دموع البواكي، وكان يبكيهن الأعداء والأصدقاء (2).

والتفت القلوب حولها، وكانت شديدة التأثير علي الناس بشخصيتها

ص: 236

1- الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 265.

2- بنت الشاطيء : المرجع السابق ص 782.

وبطولتها، فأحاط الناس بها، واتخذوا دارها مركزا ومزارا لتجمعاتهم (1). كانت تقص علي المؤمنين ما لقي سبط الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) من جيش يزيد، وتصف لهم المجزرة الشنيعة التي ذبح فيها الإمام الحسين (عليه السلام) وشيعته . فخيم علي المدينة جو من القلق ينذر بتفجير الموقف بين حين وآخر. فقد كان وجود «زينب» (عليه السلام) فيها كافيا لأن يلهب الحزن علي الشهداء، ويؤلب الناس علي الطغاة، حتي كاد الأمر يفسد علي بني أمية . حيث لم تخف هذه الحركة علي رجالهم، فقد عرف سرها والي المدينة «عمرو بن سعيد» وخاف نتائجها، فكتب إلي «يزيد» يكشف له الحركة، وفيما سينجم عن مواقف «زينب» (عليه السلام) من أخطار تحيط به وعرشه : (إن وجودها بين أهل المدينة يهيج الخواطر، وإنها فصيحة لبينة عاقلة، وقد عزمت هي ومن معها علي القيام للأخذ بثأر أخيها الحسين) (2).

فما كان من «يزيد» إلا أن أمره بأن يضع حدا لنشاطها ويفرق بينها وبين الناس . فطلب الوالي من السيدة زينب (عليه السلام) أن تخرج من المدينة فتيقن حيث تشاء .

فقال في غضب: (قد علم والله ما صار إلينا، قتل خيرنا وسبق الباقون كما تساق الأنعام، وحملنا علي الأقتاب، فوالله لا خرجنا وإن أريقت دماؤنا). كان هذا ردها علي أحد رجالات بني أمية، فتحدثه مع قوة سلطانه، وأرادتها حربا إن كان منها بد. ولكن نساء «هاشم» أقنعنها بالخروج، حيث لا مأمّن من عدوانهم وغدرهم، ولو كن نساء . فخرجت إلي مصر هذه المرة دون عودة .

وقد كان معروفا عن مصر أنها شديدة الولاء لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)،

ص: 237

1- أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي - 2 الدولة الأموية ص 170.

2- بنت الشاطيء : المرجع السابق ص 784.

ومن أجل حب المصريين لآل البيت، وإحساس السيدة زينب (عليها السلام) بذلك، كان من الطبيعي أن تختار مصر محلاً لإقامتها. وأما علي بن الحسين (عليه السلام) فلم يغادر الحجاز ليقوم بواجبه هناك ما وسعته الحيلة (1).

وقد خف والي مصر (مسلمة بن مخلد الأنصاري) للقائها واستقبلها معه جموع الناس من العلماء والأعيان، وأجهشوا بالبكاء. وخصص لها منزل أقامت به في القاهرة، وأقيم لها بعد ذلك الضريح العظيم بالحي الذي عرف باسمها، فبقي قبرها مزاراً مباركاً يفد إليه المسلمون حتى يومنا هذا من كل فج عميق (2).

هذه «زينب» أخت الحسين (عليه السلام) التي جعلت من مصرعه مأساة خالدة لا نعرف ما هو أبعد منها أثراً في تطور العقيدة عند الشيعة. فكانت هي التي صيرت من ليلة العاشر من المحرم مأتماً سنوياً للأحزان والآلام، يحج فيه أحفاد التوابين إلى المشهد المقدس في كربلاء حيث يعيدون تمثيل المأساة، ويفرضون علي أنفسهم أقسى أنواع العقاب الجسدي تكفيراً عن خطيئة الأجداد. وما أحسب أن التاريخ قد عرف حزناً كهذا طال مداه حتى استغرق بضعة عشر قرناً دون أن يفتر. فمراثي شهداء كربلاء هي الأناشيد التي يترنم بها العراقيون في عيد حزنهم يوم عاشوراء كل عام.

فهي بطلا استطاعت أن تثار لأخيها الشهيد العظيم، وأن تسلط معاول الهدم علي دولة بني أمية، وأن تغير مجري التاريخ. فزينب هي باعثة ذلك ومثيرته، لا أقول هذا من عندي تزيدياً، وإنما هو قول التاريخ (3).

فقد اندلعت الثورات، وحادثة بعد الأخرى، سنوات بعد سنوات،

ص: 238

1- أحمد شلبي : مرجع سابق ص 170 .

2- أحمد شلبي : المرجع السابق / ص 170 - بنت الشاطيء : ص 790.

3- بنت الشاطيء : ص 799.

وقامت دول وتأسست ممالك باسم الحسين (عليه السلام) بعد مقتله .

فعندما ظهرت السيدة زينب «عليها السلام» علي مسرح المأساة قبيل إسدال الستار لتقذف بلغتها أهل الكوفة والطغاة من بني أمية ، فمن ثم لم يسدل الستار أبداً، وما أحسبه يسدل حتي تتبدل الأرض ومن عليها.

ب - ثورة عبدالله بن حنظلة الغسيل الأنصاري . وهو الصحابي العظيم المنعوت بالراهب :

وقد جاءت ثورته نتيجة مباشرة لحركة السيدة زينب (عليها السلام) السلمية ، وتأثراً سريعاً بها، بعدما ظن رجال الحكم الأموي أنه بعد نفيها من المدينة ، أن الأحوال ستهدأ والأمر سستسير كما ينبغي . علي أن الوقت لم يكن في صالح «يزيد» وحكومته، فالأحوال والأجواء المضطربة لم تكن تشجع الناس علي الهدوء وقبول الأمر الواقع أو الرضا بالحكم الإرهابي المتسلط، فقد أتت الحركة السلمية ثمارها، وغرست نتائجها في النفوس، ودخلت مبادئها في القلوب ، وبرزت عوامل جديدة كانت الشرارة التي فجرت الموقف رأساً دون انتظار، فقد دنت ساعة الصفر الحتمية ، واشتعل الفتيل بسرعة غير متوقعة ، وسيكون «يزيد» نفسه هو هذا الفتيل الذي سيشعله نقر زاره في مركز حكمه. فهو المسزول عن إشعال الشرارة .

فبعد رجوع الوفد - وفد أهل المدينة برئاسة عبدالله بن حنظلة - من الشام، عيب علي يزيد وأخلاقه، وقالوا : (إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين ، يشرب الخمر، ويعزف بالطنابير، ويضرب عنده القيان ، ويلعب بالكلاب ، ويسامر الحراب ، والفتيان ، وإنا نشهدكم إنا قد خلعناه) (1) . فتابعه الناس .

ص: 239

1- الطبري : ج 7 ص 4 - عبد العزيز سيد الأهل : مرجع سابق ص 27 - ابن الأثير : مرجع سابق / ج 4 ص 103 .

وأكد (المنذر بن الزبير) هذا الموقف بقوله: (والله إنه ليشرب الخمر، والله إنه ليسكر حتي يدع الصلاة) وعابه بمثل ما عابه، به أصحابه وأشد (1). والناس ليسوا مذنبين، فقد شملهم جور «يزيد» وعماله، وعمهم ظلمه، وما ظهر عن فسقه، من قتله ابن بنت رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) وأنصاره، وما أظهره من شرب الخمر، وسيره سيرة فرعون، بل إن فرعون كان أعدل منه في رعيته، وأنصف منه لخاصته وعامته، كما يري صاحب المروج (2).

فلم يروا بدا بعدما سمعوه من زعمائهم: عبدالله بن حنظلة وعبدالله بن مطيع العدوي حينما رجعوا من الشام، إلا أن يغضبوا علي هذا الوضع، وينقموا عليه بالثورة. فابتدأوا بخلع عامل «يزيد»: (عثمان بن محمد بن أبي سفيان) وإخراجه من المدينة، ثم طردوا «مروان بن الحكم» وسائر بني أمية ومواليهم وكانوا نحو من ألف رجل نزلوا دار «مروان» حيث حاصرهم بها أهل المدينة.

وعندما استغاث الأمويون «بببببب» أخرجهم أهل المدينة منها ورموهم بالحجارة. فكتب «يزيد» إلي أهل المدينة مهددا ومتوعدا: (وأيام الله لنن وضعتم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقل بها عددكم وأترككم بها أحاديث تنسخ منها أخباركم كأخبار عاد وثمود) (3).

ولكن بداله أنه لا ينفع معهم تهديد أو وعيد، فأرسل إليهم أحد رجاله الأشداء، وأعظم أعوانه للقضاء علي هذه الفتنة التي ستزيد خطورتها إن لم يخدم نارها سريعا. وكان القائد هذه المرة: (مسلم بن عقبة المري) أو كما أطلق عليه بعدئذ: (مسرف، ومجرم بن عقبة) وذلك لسوء ما

ص: 240

1- ابن الأثير: الكامل ج 4 / ص 103.

2- المسعودي: مروج الذهب ج 3 / ص 67.

3- أحمد بن عبدالله القلقشندي: مآثر الأنافة في معالم الخلافة ج 3 ص 238.

فعل (1). وقد وصاه «يزيد» قائلا: (أدع القوم ثلاثا، فإن أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرت عليهم فانهبها ثلاثا، فكل ما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجنود) (2).

وفي الحقيقة، أن «مسلم» قد أخلص في تنفيذ ما وصاه به «يزيد» بل أكثر من عنده، فقد أمهل أهل المدينة ثلاثة أيام يختارون فيها: البيعة أو الاستسلام. ولكنهم عرضوا اختيارا ثالثا هو الحرب. فاستعدوا لها بحفر خندق كما فعل الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) يوما حينما عاش في هذه المدينة الطيبة التي غير اسمها القائد (مسرف) وسماها «نتنة» بعد أن سماها الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) «طيبة» (3).

واصطدم الجيش الأموي - الذي بلغ عدده خمسة آلاف جندي اختيروا من أهل فلسطين والأردن ودمشق وحمص وقنسرين - بأهل المدينة في موقعة الحرة (4). قمع فيها جيش الشام أهل المدينة، وأتى كثيرا من الفطائع والمذابح والكبائر، مما أجمع المؤرخون علي استنكاره. فحينما غلب «مسرف» أعمال في أهل المدينة القتل بلا رحمة ولا شفقة، ثم أباح للجنود أن يعتدوا علي أهلها ثلاثة أيام كما شاءوا، يقتلون أهلها ويسلبون أموالهم ويعتدون علي نسائهم. وبلغ من ضراوته بالشر وهو شيخ فان مريض، أنه أباح المدينة في حرم النبي (صلي الله عليه واله وسلم) واستعرض أهلها بالسيف جزرا كما يجزر القصاب الغنم حتي ساخت الأقدام في الدم، وقتل أبناء المهاجرين والأنصار وذرية أهل بدر، فقتل ثمانين من أصحاب الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) وسبعمائة من قريش والأنصار، وعشرة آلاف من سائر الناس والموالي الذين كانوا أشد

ص: 241

1- المسعودي: المروج ج 3 / ص 17 - عبد العزيز الأهل ص 64.

2- ابن الأثير: ج 4 ص 112 - الطبري ج 7 ص 7.

3- المسعودي: المروج ج 3 ص 69.

4- موضع شمال شرقي المدينة المنورة. الطبري ج 7 ص 12.

الناس دفاعا عن المدينة وأكثر تعرضا للسهام، ونهب الأموال سببت الذرية، واستيحت المحارم (1).

ولم ينتبه الأمر بعد، فقد أخذ البيعة «ليزيد بن معاوية» علي كل من استبقاه من الصحابة والتابعين علي أنه فن - خالص العبودية - لأمير المؤمنين، وأرغم كبار أهل المدينة علي مبايعته في قباء، وطلب من الناس أن يبايعوا علي أنهم عبيد ليزيد، إن شاء باع وأعتق، فكان الرجل من قريش يؤتي به فيقال له: بايع علي إنك عبد، فإذا قال لا، ضربت عنقه (2).

وقد حاول زعيم الثورة (عبدالله بن حنظلة) أن يرد الغزاة عن غيهم وجرمهم فخطب فيهم: (يا قوم اتقوا الله وحده لا شريك له، فوالله ما خرجنا علي «يزيد» حتي خفنا أن نرمي بالحجارة من السماء، إن رجلا ينكح الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويترك الصلاة والصيام، واللله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت في الله بلاء حسنا) (3).

ولكن كيف يمكن أن يرتدع مثل هؤلاء خوفا من إنسان ما داموا يفعلون فعلهم دون خوف من الله وخشية منه.

وقد برز أثناء هذه الأحداث والفوضى والدمار والقتل وإسالة الدماء، دور (علي بن الحسين زين العابدين)، فقد استجار به «مروان بن الحكم» وألجأ إليه حريمه وأهله، فألجأهم «زين العابدين» عندما أبل «عبدالله بن عمر» أن يلجئهم، فلم يقبل بأن يحفظ عنده حرم وعيال «مروان» عندما طلب

ص: 242

1- المسعودي: ج 3 ص 17 - عبد العزيز الأهل ص 64 - اليعقوبي: لابن واضح ج 2. ص 237 - العقاد: أبو الشهداء ص 53 - معجم البلدان ج 3 / ص 262.

2- الطبري: ج 3 ص 379.

3- هاشم معروف: سيرة الأئمة الاثني عشر - القسم الثاني ص 140 - ابن سعد، الطبقات ابن الأثير / ج 4 ص 111 / الطبري ج 7 / ص 4.

منه ذلك. ولكن «زين العابدين» أبي أن يرد عدوه حين احتمي به ، فحماهم وأرسلهم إلي (ينبع) في أمن ودعة . كما إن نساء المدينة لجأن حين الموقعة إلي داره ، وقد بلغن أربعمائة امرأة . فجعل «الإمام» يؤمنهن من الخوف، ويحفظهن من الذعر، ويميل عليهن بالطعام والثياب ، حتي انتهت الموقعة وهدأت الناس ، فذهبت كل امرأة إلي بيت أهلها (1).

وقد قاتل مع «ابن حنظلة» :

الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وعبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب .

وزبير بن عبد الرحمن بن عوف ، الذين قتلوا في المعركة .

والصحابي ابن الصحابي ، محمد بن أبي الجهم، الذي قتل حينما شهد علي «يزيد» بشرب الخمر. كما اشترك فيها :

أبو سعيد الخدري ، الذي خاف حتي دخل في كهف جبل .

وعمر بن عثمان بن عفان ، الذي خلي سبيله ، بعد أن نتف لحيته واستهزأ به أمام أهل الشام .

ومحمد بن سعد بن أبي وقاص، الذي انهزم بعد المعركة .

وجابر، وسهل بن سعيد، اللذان نجيا من المذبحة .

وقتل من بني هاشم خمسة ، اثنان منهم من آل أبي طالب (2).

أما «مجرم بن عقبة» فإنه مات وهو في طريقه إلي مكة لحرب «ابن الزبير»، وقال قبل موته : (اللهم إني لم أعمل قط بعد شهادة لا إله إلا الله

ص: 243

1- الطبري : ج 4 ص 372 - أعيان الشيعة : ج 4 ص 461 - عبد العزيز الأهل ص 64.

2- المسعودي : المروج ج 3 ص 70 - ابن الأثير : ج 4 ص 115 - الطبري ج 7/ ص 12.

وأن محمدا رسول الله ، عملا أحب إلي من قتلي أهل المدينة ، ولا أرجي عندي في الآخرة(1).

وهكذا انتهت الثورة العنيفة للمدينة المنورة ، مدينة الرسول الكريم (صلي الله عليه واله وسلم) التي لم يبال «يزيد» ولا أبوه من قبل، بقول رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) عنها :

(من أخاف المدينة أخاف الله عز وجل، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا) (2).

وفي قول: (اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل) (3).

ولا بقوله (صلي الله عليه واله وسلم) :

لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع ، كما ينماع الملح في الماء) (4).

وفي قول :

(لا يريد أحد أهل المدينة بسؤ إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء) (5).

وفي قول آخر: (أيما جبار أراد المدينة بسؤ أذابه الله تعالى كما يذوب الملح في الماء) (6).

ص: 244

1- ابن الأثير: ج 4 / ص 123.

2- عبد الحسين شرف الدين : النص والاجتهاد ص 32 - ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ص.

3- رواه الطبراني : أحمد الهاشمي: مختار الأحاديث النبوية ص 137 - الأميني: الغدير ج 11 / ص 35.

4- صحيح بخاري: ج 3 ص 181.

5- صحيح مسلم : ج 4 / ص 113 - الأمينية الغدير ج 11 / ص 35.

6- الأميني: الغدير ج 11 / ص 35.

وفي قول أبي هريرة : (من أراد أهلها بسوء، أذابه الله كما يذوب الملح في الماء) (1).

ولا بقوله (صلي الله عليه واله وسلم) :

(من أباح حرمي فقد حل عليه غضبي) (2).

وفي حديث آخر له (صلي الله عليه واله وسلم):

(إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدنها بمثلي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة) (3).

وفي حديث آخر عن إبراهيم التيمي عن أبيه، قال :

خطبنا علي ابن أبي طالب، فقال : قال النبي (صلي الله عليه واله وسلم) : (4)

المدينة حرم ما بين «عير إلى ثور» (5)، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً.

وذمة المسلمین واحدة يسعى بها أدناهم).

كما أن النبي (صلي الله عليه واله وسلم) كتب في المدينة عندما استقر فيها كتاباً بين

المهاجرين والأنصار، وقرر فيه حرمة البيت .

«أي أنه يحرم فيها ما يحرم بمكة» (6).

ص: 245

1- مختصر صحيح مسلم: ج 1/ ص 205.

2- الأميني: الغدير ج 11 / ص 35.

3- مختصر صحيح مسلم: ج 1/ ص 203.

4- مختصر صحيح مسلم: ج 1/ ص 203.

5- وهما جبلان علي طرفي المدينة، عير في جنوبها وثور خلف أحد من شمالها.

6- محمد جمال الدين سرور: قيام الدولة العربية الإسلامية ص 79 - ابن هشام، السيرة ج 2/ ص 119.

وقال (صلي الله عليه واله وسلم) في الأنصار :

- حديث أنس (رضي الله عنه) عن النبي (صلي الله عليه واله وسلم) قال : آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار، فمن أحبهم، أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغض الله (1).

- حديث زيد بن أرقم : عن أنس بن مالك ، قال : حزنت علي من أصيب بالحرّة فكتب إلي زيد بن أرقم وبلغه شدة حزني يذكر أنه سمع رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) يقول:

اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار (2).

- وروي الشيخان «عن البراء بن عازب» عن النبي (صلي الله عليه واله وسلم) أنه قال في الأنصار :

(لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله) (3).

2- ثورة - عبدالله بن عفيف الأزدي :

كان من شيعة علي (عليه السلام) وأنصاره، شهد معه الجمل وصفين ، وفقد عينيه فيهما فذهبت إحدى عينيه يوم الجمل والأخري بصفين فأصبح ضريرا (4).

ص: 246

1- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - الجزء الأول - باب (الدليل علي أن حب الأنصار من الإيمان) ص 14.

2- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - كتاب (فضائل الصحابة) - باب من فضائل الأنصار (رضي).

3- أحمد الهاشمي : مختار الأحاديث النبوية ص 194.

4- عبد الحميد جودة السحار : مرجع سابق : ص 187 - باقر القرشي: مرجع سابق ج 3 ص 348 - البلاذري : أنساب الأشراف ج 1 ص

لم يستطع أن يتحمل إهانات المجرمين ومهاتراتهم في حق الفاضلين ، فعندما صعد «عبيدالله بن زياد» المنبر في المسجد - بعد أن أدي دوره الخبيث في التخلص من الحسين وآله (عليهم السلام) - فأظهر سروره بقتلهم وأنزل السباب والشتائم علي سبط الرسول (صلي الله عليه وآله وسلم) وآله (عليه السلام) وقال : (الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته) (1).

فما كان من «ابن عفيف» الضرير إلا أن ثار علي قبح كلامه ووثب إليه صائحا :

(يا ابن مرجانه ، إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه ، أتقتلون أبناء النبيين وتكلمون بكلام الصديقين) (2).

غضب «ابن زياد» وأمر رجاله بالقبض عليه ، فحاربهم وهو يضرب يمينا ويسارا ، كما أن معركة جرت بين الأزدي وأهل اليمن وكثر القتلي بينهم . وقبض علي «ابن عفيف» فضرب «ابن زياد» عنقه وصلبه في السبخة (3).

وتعتبر ثورته أول حركة تمرد في الكوفة بعد مجزرة كربلاء.

3- ثورة مكة المكرمة: عبدالله بن الزبير :

كان معاوية قد وصي يزيدا ابنه فيما ينبغي عليه فعله إزاء معارضييه من بعده (وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك مراوغة الثعلب ، فإن أمكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير، فإن فعلها بك فظفرت به فقطعه إربا

ص: 247

1- الطبري: ج 6 ص 263 - عبد الحميد جودة: المرجع السابق / ص 187.

2- الطبري: ج 6 ص 264 - باقر القرشي : ج 3 / المرجع السابق / ص 348.

إربا (1). وذلك لأن معاوية كان قد ذكر من قبل لعبدالله بن الزبير، يزيدا ابنه حين طلب منه البيعة له ، فقال ابن الزبير: (أنا أناديك ولا أناجيك، إن أخاك من صدقك ، فانظر قبل أن تقدم، وتفكر قبل أن تندم، فإن النظر قبل التقدم ، والتفكر قبل التندم) فضحك معاوية وقال : (تعلمت يا بن بنت أبي بكر الشجاعة عند الكبر) (2). وابن الزبير كان واحدا من حزب أهل المدينة - وهم من أبناء كبار الصحابة الذين أجمعوا رأيهم علي معارضة بيعة يزيد بن معاوية بكل قوة . وهو لم يتمكن من إظهار زعامته أو إعلان ثورته طالما كان «الحسين بن علي» حيا يعيش بين أهل الحجاز والمسلمين في الأمصار . فصبر حتي خرج الحسين متوجها إلي الكوفة تاركا أرض الحجاز لابن الزبير ، فخلت له - الساحة، (فعظم شأنه عند ذلك في الحجاز، فاشتهر أمره وبعد صيته ، ومع هذا كله ليس هو معظما عند الناس مثل الحسين ، بل إنما الناس ميلهم إلي الحسين لأنه السيد الكبير وابن بنت رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) فليس علي وجه الأرض يومئذ أحد يساويه ولا يساويه) (3). إذ إن ابن الزبير نفسه كان ممن يقدون علي الحسين ويجلسون إليه ، فقد كان تباعده عنه مما يغضب المسلمين ، ولكن مع ذلك فإنه كان يتمني الخلاص من الحسين الذي اعتبر منافسه الأول علي الخلافة، حيث ما دام الحسين موجودا علي الأرض، لن يجرؤ ابن الزبير علي الخروج أو الثورة، أو التحدث باسم المسلمين .

ويوضح السياسي ذلك بقوله : (إن الحسين كان أثقل خلق الله علي ابن الزبير، وقد عرف أن أهل الحجاز لا يبايعونه ولا يتابعونه ما دام حسين بالبلد) (4).

ص: 248

- 1- ابن الأثير : ج 4 ص 3.
- 2- ابن أبي الحديد الشرح : ج 2 ص 123.
- 3- ابن كثير: البداية والنهاية ج 8 ص 150 - الخربوطلي: 10 ثورات في الإسلام ص 70.
- 4- علي الخربوطلي: المرجع السابق : ص 70 - الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام - مخطوط بدار الكتب ج 2 ص 8.

وكان الحسين نفسه يدرك ما يدور في خلده، حيث قال عنه : (إن هذا ليس شيء في الدنيا أحب إليه من أن أخرج من الحجاز، وقد علم أن الناس لا يعدلونه بي، فود أني خرجت حتي يخلو له). وقد كان ما تمناه «ابن الزبير» حين خرج الحسين من الحجاز مصطحبا أهله وأصحابه ، وجاء الخبر بعد حين باستشهادهم جميعا في كربلاء . حينئذ تحرك «ابن الزبير» مستخدما أول الأمر سلاح الأخذ بثار الحسين بداية لثورته، فقال بعد مقتله موضحا موقفه من الأمويين عامة ومعرضا بيزيد خاصة : (أبعد الحسين نظمئن إلي هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهدا؟ لا ولا نراهم لذلك أهلا، أما والله لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه ، كثيرا في النهار صيامه ، أحق بما هم فيه منهم، وأولي به في الدين والفضل . أما والله ما كان يبدل بالقرآن الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الخمر، ولا بالمجالس في حلق الذكر بكلام الصيد) (1).

ولكنه أخفق في استمالة الشيعة علي الخصوص، كما أخفق في استمالة المسلمين علي العموم، باستخدام سلاح الأخذ بثار الحسين . فلم تؤمن الشيعة بصدق مقالته ، وأدركوا أنه يناضل الدولة الأموية من أجل تحقيق أغراضه السياسية ، وحماية خلافته التي أقامها في الحجاز، وعلي الأخص حينما لم يهتم بالثار للحسين (عليه السلام) عندما ترك ولاته - بعد امتداد نفوذه في العراق - قتلة الحسين (عليه السلام) يمرحون في الكوفة والبصرة ويسرحون. ولكن أهل الحجاز وقفوا معه بعدئذ وذلك ، لأن معاوية كان قد تعمد إضعاف الحجاز سياسيا واقتصاديا ، فلم يبذل لهم في العطاء، مما اضطرهم إلي بيع ممتلكاتهم التي اشتراها منهم بأبخس الأثمان. فلما ظهر «ابن الزبير» رأي

ص: 249

فيه أهل الحجاز أنه يخلصهم من هذه السياسة الأموية الظالمة (1)، فمال أكثر الناس إليه وقالوا: هو رجل كامل السن، وقد نصر أمير المؤمنين عثمان، وهو ابن حواري رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) وأمه بنت أبي بكر بن أبي قحافة، وله فضل في نفسه ليس لغيره (2).

وهكذا قضى «ابن الزبير» بقية حياته يقاتل الأمويين، فقاتل جيوش «يزيد» و«مروان بن الحكم» وعبد الملك بن مروان، وحاصرته الجيوش الأموية مرتين في مكة (3)، حيث بعث إليه حكام بني أمية الجيوش الجرارة وقوادهم الكبار ورجالاتهم الطبيعيين من صنائعهم، للقضاء عليه في مستقره في الكعبة المشرفة في البلد الحرام.

ولكن قواد بني أمية لم يردهم عن هدفهم وبغيتهم حرمة بيت الله ولا الخوف من عذاب الله، فضربوا الكعبة بالأسلحة الثقيلة، واستخدموا أنواعا من الأسلحة النارية في حرق الكعبة المكرمة، (4) إذا أحرقوها بالمنجنيق، حيث تركها «ابن الزبير» ليراها الناس محترقة كي يحرضهم علي أهل الشام (5)، الذين كانوا يسخرون من «ابن الزبير» ويصيحون به في الحرب: يابن ذات النطاقين (6).

وكان القائد الأموي الذي حاصر «ابن الزبير» هو «الحصين بن نمير

ص: 250

1- الخربوطلي: المرجع السابق / ص 88.

2- جمال الدين سرور: مرجع سابق / ص 109 - البلاذري: أنساب الأشراف ج 4 ق 2 / ص 65.

3- الخربوطلي: المرجع السابق / ص 88.

4- ابن واضح: تاريخ اليعقوبي / ج 2 ص 237 - الشهرستاني: الملل والنمل ج 2 ص 247.

5- ابن الأثير: ج 4 ص 123.

6- ابن الأثير: ج 4 ص 358.

السكوني» في أواخر عهد «يزيد» الذي قتله «المختار» بعد ذلك في معركة عين الوردة (1).

وتمكن بعد ذلك «الحجاج بن يوسف الثقفي» من قتل «ابن الزبير» وأمر بصلب جثته ليرهب أهل الحجاز، وحمل رأسه إلي «عبد الملك بن مروان» ثم سلمت إلي أمه. وقد ذكر مسلم في صحيحه أن ابن الزبير ألقى في مقابر اليهود (2).

وإذا كان الجيش الأموي قد هاجم بكل قواه المدينة المقدسة لأجل تحقيق أطماع دنيوية، فإنه من جانب آخر اشتركت أطراف عدة وجهات متفرقة في الدفاع عن البيت العتيق، حين استنكرت هذه الحروب وهذا الدمار الذي لحق بأقدس مقدسات المسلمين، ومن هذه الجهات التي اشتركت مع ابن الزبير في الدفاع عن الحرم الشريف:

1- جند أهل المدينة الذين نجوا من قبضة الأمويين .

2 - (نجدة بن عامر الحنفي) الثائر في الإمامة علي الحكم الأموي .

3- جماعة من خوارج العراق وعلي الأخص فرقة الأزارقة بزعامة : «نافع بن الأزرق» وقد عانوا كثيرا من شدة «عبيد الله بن زياد» (3).

4 - المختار بن أبي عبيدة الثقفي، الذي كان في طليعة المدافعين عن الكعبة، والذي استمر مع ابن الزبير في محاولة منه أن يتفق معه في تكوين جبهة واحدة تجاه عدوهم المشترك، إلا أن ابن الزبير لم يقبل به ففارقه إلي الكوفة (4) .

ص: 251

1- الخربوطلي: مرجع سابق /ص 120.

2- ابن الأثير : ج 4 /ص 358.

3- علي الخربوطلي: مرجع سابق ص 88 - البلاذري : أنساب الأشراف ج 4 ص 51.

4- ابن أبي الحديد: الشرح: ج 20/ص 103.

5 - نجاشي الحبشة، حيث غضب هذا الحاكم المسيحي لإقدام الأمويين علي حصار الأماكن المقدسة في مكة، فبعث فرقة من جنده للدفاع عنها .

6 - كما أن من المشجعين له في موقفه، أمه : أسماء بنت أبي بكر، التي كان لها رأيها في الأمويين : (يابني إن كنت علي حق وإليه تدعو، فلا تمكن عبيد بني أمية منك يتلاعبون بك) .

وهكذا، فقد دافع عن الكعبة أطراف مختلفة من أمصار إسلامية وغير إسلامية وعلي اختلاف مبادئهم، ولكن هدفا واحدا جمعهم وهو: الذود عن الكعبة . ولكن ابن الزبير يسقط في النهاية .

ومكة هذه قد جعلها الله بلدا آمنا يأمن من حل بها وإن كان كافرا، ولأهلها وطيرها ووحشها ونباتها حرمت عند الله .

وهي التي حقنت دم آل بني سفيان ومن علي شاكلته حينما كانوا كفارا وملحدين .

وكان رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) يرهاها كل الرعاية يوم الفتح وغيره، فما عامل أهلها هو وجيشه الفاتح إلا بكل جميل، وكان يقول: (إن هذا بلد حرم الله يوم خلق السموات والأرض، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلي يوم القيامة، لا يعرض شوكة، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلي خلاها) (1).

فمكة قد شرفها الله تعالي، كلها مشهد كريم، كفاها شرفا ما خصها الله به من مثابة «مجمع الناس» ببيته العظيم، وما سبق لها من دعوة الخليل

ص: 252

1- الأيني : الغدير، ج 11 ص 33 - صحيح البخاري، ج 3 ص 168- صحيح مسلم : ج 4 ص 109 - الأزرقى : أخبار مكة، ج 2 ص 126.

إبراهيم (عليه السلام) فإنها حرم الله وأمنه ، وكفاها أنها منشأ النبي (صلي الله عليه واله وسلم) الذي آثره الله بالتشريف والتكريم، وابتعثه بالآيات والذكر الحكيم، فهي مبدأ نزول الوحي والتنزيل، وأول مهبط الروح الأمين «جبريل» وكانت مثابة أنبياء الله ورسوله الأكرمين.

وهي أيضا مسقط رأس جماعة من الصحابة القرشيين المهاجرين الذين جعلهم الله مصابيح الدين ونجوما للمهتدين (1).

ولكن بالرغم من كل هذا، ومعرفة المحكومين والحاكمين لهذه الأمور، فقد كان الخطأ فيمن تولى أمر المسلمين حيث لم يكن يصلح لتولي أمرهم ، ولا حتي يكون من المحكومين . وصدق رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) إذ قال :

(من تولى من أمر المسلمين شيئا فاستعمل عليهم رجلا وهو يعلم أن فيهم من هو أولى بذلك ، وأعلم بكتاب الله وسنة رسوله، فقد خان الله ورسوله وجميع المؤمنين) (2).

وينقل «جابر بن عبدالله» في حديثه ، يقول : سمعت رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) (3) يقول : (لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح).

وقد أجمع العلماء علي أن مكة المكرمة والمدينة المنورة أفضل بقاع الأرض - و يليها بيت المقدس ، وقيل عن أهل مكة أنهم أهل الله عز وجل .

وقالت عائشة (رضي الله عنه) عنها: (لولا الهجرة لسكنت مكة ، إنني لم أر السماء بمكان قط أقرب إلي الأرض منها بمكة، ولم يطمئن قلبي ببلد قط ما اطمئن بمكة ، ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة (4).

ص: 253

1- موسوعة العتبات المقدسة (قسم مكة) ص 115 : صفاء خلوصي : مكة في رحلة ابن جبير .

2- الأميني: الغدير، ج 11/ص 33

3- الحافظ المنذري : مختصر صحيح مسلم، ج 1 ص 201.

4- أبو الوليد الأزرقى: أخبار مكة ، ج 2/ص 134، 153.

وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول: (لخطيئة أصيبتها بمكة أعز علي من سبعين خطيئة أصيبتها بركبة) (1).

ولكنه بالرغم من ذلك، فإن النتيجة كانت الاعتداء الوحشي علي حرم الله والبلد المقدس، وإراقة الدماء في جوف الكعبة، حيث قتل مع ابن الزبير، كما يروي المؤرخون (240) رجلا، وإن منهم لمن سال دمه في جوف الكعبة (2).

4- ثورة التوابين - بزعامة: سليمان بن صرد الخزاعي :

بعد موت «يزيد بن معاوية» ثار أهل الكوفة، وخرج المسجونون من السجون والتفوا حول «سليمان الخزاعي» الذي أصبح زعيما للتوابين (3).

وقد كان له شرف في قومه. ولما قبض رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) تحول فنزل الكوفة، وشهد مع علي (عليه السلام) الجمل وصفين (4).

وكان في الذين كتبوا إلي الحسين (عليه السلام) أن يقدم إلي الكوفة، غير أنه لم يقاتل معه خوفا من «ابن زياد». فقد بعث برسول من طرفه إلي الحسين (عليه السلام) يطلب منه الخروج إلي العراق ليحكمهم بقوله: (فإن الناس بانتظارك، لا رأي لهم في غيرك، العجل العجل، فقد اخضرت الجنان وأينعت الثمار، والسلام) (5).

ص: 254

1- ركبة : أي نجد.

2- ابن أبي الحديد: الشرح : ج 20، ص 107 - الطبري، ج 17 ص 202 - الأزرقى أخبار مكة ج 2 ص 196.

3- الطبري : ج 7، ص 48.

4- سبط ابن الجوزي.

5- الطبري : ج 4، ص 234 .

لم يكن «سليمان» أو أحد رفاقه ساعيا وراء مطلب خاص أو مكسب شخصي، وإنما كانوا طلاب قضية عامة . فقد كانت رغبتهم في الانتقام والتكفير، وثورتهم تعتبر ثورة انتحارية كان من أهم أهدافها :

أ- الانتقام للحسين (عليه السلام) رأس الحركة الشيعية ورائدها في تحقيق أمانها السياسية.

ويوضح ذلك كتاب أميرهم إلي عامل المدائن : «سعد بن حذيفة بن اليمان» :

(إن أولياء الله من إخوانكم وشيعة آل نبيكم، نظروا لأنفسهم فيما ابتلوا به من أمر ابن بنت نبيهم الذي دعي فأجاب ، ودعا فلم يجب، وأراد الرجعة فحبس، وسأل الأمان فمنع وترك الناس فلم يتركوه، وعدوا عليه فقتلوه ثم سلبوه وجردهه ظلما وعدوانا وغرة بالله وجهه) (1).

كما أن رغبتهم في الانتقام والتكفير تتضح عندما توجهوا إلي قبر الحسين (عليه السلام) قبل أن يحاربوا الجيش الأموي، وتلوا الآية الكريمة :

«فَتَوَبُّوا إِلَى رَبِّكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ».

ب - إزاحة الأمويين من السلطة في الكوفة ، والقضاء علي عصاباتهم ورجالاتهم، وتحويلها إلي قاعدة للحكم الإسلامي الذي ينبغي أن يسود مختلف أقاليم الدولة .

فجماعة التوابين لم يطلبوا السلطة للتحكم، ولكن لتغيير نظام الحكم في العراق إلي حكم إسلامي، وإبعاد رجال الأمويين الذين يتحكمون في الشعب بالقهر والشدّة والإرهاب . وتفسر خطبة «سليمان بن صرد» في جماعته ذلك الهدف :

ص: 255

1- إبراهيم بيضون : مرجع سابق / ص 70 - الطبري : ج 17 ص 50.

(أيها الناس من خرج يريد بخروجه وجه الله والآخرة، فذلك منا ونحن منه، فرحمة الله عليه حيا وميتا، ومن كان إنما يريد الدنيا فوالله ما نأتي فينا نأخذ، وغنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله . وما معنا من ذهب ولا فضة ولا متاع . فمن كان ينوي غير هذا فلا يصحبنا) (1).

وبعد أن نظموا أنفسهم ، توجهوا إلي محاربة الجيش الأموي، فساروا إلي «عين الوردة» بعد أن تمكنوا من القضاء علي الوالي الأموي في الكوفة وتغييره عام 65 هـ .

وقد كان «سليمان» في سيره من الكوفة إلي «عين الوردة» قد تأسى بسيرة الحسين (عليه السلام) في رفضه عدم محاربه العدو . فالكثير من أهل الكوفة أشاروا عليه بالترث والاستعداد الأكثر للحرب، وأشار عليه أيضا والي «عبدالله بن الزبير» في الكوفة ، وكذلك «زفر بن الحارث» أمير قرقيسيا بالأسير وينتظر عنده لملاقاة العدو، ولكنه في كل الأحوال كان يقول: «علي الله توكلنا وعليه فليتوكل المتوكلون» (2) .

وقد دعاهم أهل الشام إلي الجماعة علي : حكم «مروان بن الحكم» .

فدعا أصحاب «سليمان» أهل الشام إلي :

أ - خلع «مروان» وتسليم «عبيد الله بن زياد» ليقتلوه .

ب - وأنهم سيخرجون أصحاب «ابن الزبير» من العراق .

ج - وأن يرد الأمر إلي أهل بيت النبي (صلي الله عليه واله وسلم) (3) .

وبما أن شروط الطرفين كانت متناقضة ومضادة ، فإنه كان لا بد أن

ص: 256

1- ابن الأثير : ج 4، ص 176.

2- الطبري: ج 7، ص 73.

3- ابن الأثير: ج 4، ص 182.

تتلاحم الصفوف ويقتلوا. وقد كانت الغلبة في بداية المعارك لجيش التوابين، إلا أنهم قتلوا جميعا بعد ذلك، ولم ينج منهم إلا القليل .

وكان عمر «سليمان بن صرد» يوم قتل ثلاثة وتسعون عاما .

وقد كانت لحركتهم نتائج إيجابية ، فقد سجلت بعض الإيجابيات علي صعيد حركة النضال الشيعي ، حيث انعكست تأثيراتها بصورة خاصة علي المجتمع الكوفي. فعبأت جماهيره بالثورة، وعمقت في نفوسهم الكراهية والحقد ضد النظام الأموي، الأمر الذي جعل من الكوفة فيما بعد مسرحا للتحرك الدائم للحزب الشيعي وغيره ، وثوراته المتلاحقة المناهضة للنظام .

كما أنها أثرت في استمرار التعبير عن الندامة والشعور بالإثم تجاه الموقف السلبي من الحسين (عليه السلام) وممارسته عبر نشاطات وتحركات مختلفة (1). فقد أفادوا الزبيريين وغيرهم من مناهضي النظام الأموي، الذي وضع ضعفه ، وتخلخلت صفوف جيشه، فاستغل «المختار» ذلك الوضع أيضا واستقل بالكوفة أميرا عليها، محاربا الأمويين.

5 - المختار بن أبي عبيدة الثقفي :

كان المختار من الناس الذين يحبون العدل ، ويكرهون الظلم، ويرغبون في إقامة الحكم الإسلامي المعتمد علي ما جاء في القرآن الكريم وما أقره الرسول العظيم (صلي الله عليه واله وسلم).

وهو من ذلك الصنف من الإنسان الذي لا يخاف الطغاة والجبابرة ولا أسلحتهم وقوتهم وعدتهم ، لأنه كان واثقا من نفسه، معتقدا في إيمانه ، أنه طالما كان مطلبه الحق ، وموقفه العدل ، فإن النجاح سيتحقق بإذن الله فيما يرغب ويهدف إليه .

ص: 257

1- إبراهيم بيضون: مرجع سابق، ص 70.

فهو ذلك الإنسان المؤمن الذي تكلمنا عنه سابقا، والذي يعتنق بقوة المبادئ الإسلامية، وعلي الأخص الجهاد في سبيل الله، ورفع الصوت عالية أمام الحاكم الجائر، فإن لم يرتدع، ولم يسمع نداء الله وكلام الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) رأي من الواجب عليه أن يقوم هذا الحاكم بالسيف والإطاحة به، قبل أن تؤثر آدابه وسلوكه المشين في الجماعة المؤمنة، فتتحرف عن أهداف ومبادئ الإسلام النبيلة، وقبل أن تتعد عنها وتنسي أن لها دينا كريما، وعقيدة عظيمة، يجب اعتناقها، والحفاظ عليها، والسير بمقتضاها، وتطبيق مبادئها وترجمتها سلوكيا، أي فعلا لا قولاً.

فالمختار هو ذلك الإنسان الذي اختاره الله سبحانه وتعالى، ليعطي الأميين بخاصة، والحكام الجائرين بعامة، درسا كبيرا لن ينسوه، وهو، أن دولة الظلم لا تدوم، وأن الظلم والجور والفساد، صفات ليست من أخلاق المسلم وشيمته، وليست من طبائعه، ولم يأمر بها الدين الإسلامي، بل كرهها، ودعي إلي نبذها والبعد عنها والقضاء عليها قضاء تاما، كي لا تثبت وتنتشر في مجتمع نبيل أسسه القرآن الكريم والسنة النبوية. وهو ذلك الإنسان الذي جاء ليكون يد العدالة، فيقتص من القتلة الذين تخيلوا الأقصاص في الحياة، مثل ما اعتقدوا أنه لا عقاب في الآخرة. ولكن الله سريع العقاب، فبعث هذا الإنسان بعد سنوات قليلة ليثأر للحسين وآله (عليه السلام) وصحبه في كربلاء.

كما أنه في السنوات القليلة التي حكم فيها العراق، حاول جل جهده، أن يبعد عن المجتمع الإسلامي في العراق، العادات والأمر السيئة التي أسستها أدوات الحكم الأموي، ويقضي عليها، مبينا خلال ذلك أن تلك الأمور ليست من الإسلام في شيء بل هي عادات غريبة علي المجتمع الإسلامي، لأنها ذات أصل جاهلي، تعارف عليها العرب قبل الإسلام، وتعاطوها قبل مجيء النبي الكريم محمد (صلي الله عليه واله وسلم).

وفي كلمة مختصرة نقول إن المختار عمل في العراق بالمبدأ الذي نادى به القرآن مرارا، وكررت آياته، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والتاريخ يذكر أن «ابن زياد» تخوف من المختار قبل مجيء الحسين (عليه السلام) إلي الكوفة، فأودعه السجن خوفا من أن يثور علي الحكم الأموي . فيذكر «الطبري» أن المختار وعبدالله بن الحارث بن نوفل، قد خرجا مع «مسلم بن عقيل»، فقبض عليهما «عبيد الله بن زياد» وحسبهما (1). كما أنه أراد أن يدافع عن الحسين (عليه السلام) مع جماعة صغيرة يوم كربلاء، ولكن الوالي الأموي قبض عليه أيضا وسجنه، بعد أن كان قد خرج من السجن بشفاعة «عبدالله بن عمر» زوج أخته . فلم يتمكن من الاشتراك في هذه المعركة الشريفة، لينال رضا الله ورضا الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) ورضا آل بيته . ولكنه سيؤدي مهمة أخري ينهي بها المعركة التي دارت بين الحق والباطل، والتي لم تنته بقتل «الحسين» وجماعته ، كما تصوره الحكام والولاة، فيكملها المختار في فترة قصيرة .

ولقد انحاز إليه في ثورته (إبراهيم بن الأشتر وعامر الشعبي وأبوه ، وكذلك ممن بقوا علي الحياة من جماعة التوابين، وبايعوه علي العمل بكتاب الله وسنة رسوله (صلي الله عليه واله وسلم) والطلب بدماء أهل البيت، وجهاد المحلين، والدفع عن الضعفاء ، وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا) (2).

وقد تمكن بمعاونة أصحابه ومؤيديه أن ينفذ ما اتفق عليه في شروط البيعة :

1- فقد حارب الحكم الأموي وأنهاه بالقضاء علي واليه وبطانته،

ص: 259

1- الطبري : ج 7، ص 58.

2- ابن الأثير : ج 4، ص 214.

وذلك في المعركة التي دارت علي ضفاف نهر الخازر (أحد روافد دجلة من أعلاه) وقتل «عبيد الله بن زياد» والحصين بن نمير السكوني وغيرهما .

وكان «إبراهيم الأشر» يحمس قومه للقتال في هذه المعركة بقوله: « إنه قتل الحسين وأهل بيته، فوالله ما عمل فرعون بنجباء بني إسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيت رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم)»⁽¹⁾. ثم دخل قصر الإمارة وبويع، فطلب الثأر للحسين بقوله: (ما من ديننا أن نترك قتلة الحسين أحياء، فإني لا يسوغ لي الطعام والشراب حتي أظهر الأرض منهم). فكان أن قتل الذين قتلوا الحسين (عليه السلام) وآله والذين اشتركوا في قتله وتعذيبهم والتكيل بهم⁽²⁾ وكان قوله في الثأر للحسين (عليه السلام): (فوربك لأقتلن بقتله عدة من قتل علي دم يحيي بن زكريا)⁽³⁾. فأصبحت هذه نهاية الحرب، ولكنها ليست النهاية أو الخاتمة، ولكنها بداية النهاية، حيث أهلك الله سبحانه وتعالى كل من شهد مقتل الحسين (عليه السلام) أو رفع رمحا في حربه، أو ضرب بسيف في قتاله. وكان جملة من قتل من قتلة الحسين 248 شخصاً .

لقد حارب الأشراف الذين ثاروا عليه في 66 هـ بعد أن أمنهم علي أرواحهم وممتلكاتهم، واحتفظ للعرب أول الأمر بالمراكز الرئيسية، وولي كثيرا من رجالات العرب وقتنذر ولايات عدة. ولكن هؤلاء الأشراف العرب لم تعجبهم سياسة المختار العادلة وقتنذر في عدم التفرقة بين الناس، ولأنه لم يكن يميل إلي أي نوع من العصبية، القبلية أو الجنسية، فقاموا بالثورة عليه، ولكنه استطاع القضاء عليهم في وقعة «السيح» (جبانة السبيح) وهي معركة الأشراف حيث قتل فيها «شمر بن ذي الجوشن» ورميت جثته للكلاب. وقتل عمر بن سعد وابنه وقال المختار فيهما: «هذا بحسين وهذا بعلي بن الحسين

ص: 260

1- الطبري: ج 7، ص 143.

2- علي الخربوطلي: المختار بن أبي عبيدة الفقي ص 41 - ابن الأثير ج 4 ص 264.

3- ابن الأثير: ج 4، ص 170.

ولا سواء. والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا بأنملة من أناملة» (1) وبعث برأسيهما إلي «ابن الحنفية» وكتب إليه: «فإن الله بعثني نعمة علي أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد» (2).

هذا هو موقفه من آل البيت الكرام الذين استشهدوا، فأخذ بثأرهم، ولكنه أيضا يقف صامدا أمام من يجتريء علي إهانة فرد من أهل البيت وهو حي.

فقد رأي أن ينال رضا الشيعة الذين يمثلون الغالبية العظمي من أهل العراق، وذلك بطريقتين: الأولى أن يثأر لقتلة الحسين، وهو ما قام به ونفذه بكل دقة وإيمان. والثانية أن يعيد الأمر إلي آل البيت، فالثأر للحسين وإعادة الأمر إلي آل البيت، هما الركن الأول في سياسته.

ولذا، اتصل «بمحمد بن الحنفية» حتي تأتي أفعاله شرعية ومرضية من جانب الشيعة وغيرهم، ومما قال فيه «ابن الحنفية» تأييدا له: (وأما ما ذكرت ممن دعاكم إلي طلب بدمائنا فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه) (3). وعندما أراد «ابن الزبير» الثأر في مكة علي الحكم الأموي، أن يحرق «ابن الحنفية» وأصحابه لأنهم لم يبايعوه، أنجدهم المختار وخلصهم من ذلك، ولكن «ابن الحنفية» رفض قتالهم في الحرم وقال: (إني لا أستحل القتال في الحرم) فكف أصحابه وحذرهم الفتنة (4).

2- ولما كانت بيعته تنص علي العمل بكتاب الله وسنة رسوله (صلي الله عليه واله وسلم) وجهاد المحلين، والدفع عن الضعفاء، فقد كان عليه أن يعتني بهذه الأمور ويهتم

ص: 261

1- ابن الأثير: ج 4، ص 239.

2- الطبري: ج 7، ص 127.

3- ابن الأثير: ج 4، ص 214.

4- الطبري: ج 7، ص 136.

فعندما صفا له الجو في العراق ، كان هناك الكثير من الأمور والأعمال التي لا بد من إعادة النظر فيها لتعديلها أو تغييرها . فقد كان هناك نظام الحكم نفسه ، وهناك الشعب الإسلامي بعناصره وطوائفه المتعددة، واختلاف وتعدد مشكلاتها، وهناك المال وأسلوب توزيعه ووجوه إنفاقه ، وهناك المناوئون له في الداخل والخارج.

إن المشكلات الداخلية التي واجهت المختار لم تكن هينة، بل صعبة وقوية ، في كثرتها وفي تعددها، وفي انتشارها، وتأصلها وتمكينها في الناس، حيث إن الأمويين وولاتهم قد اخترعوا واستحدثوا أموراً وأشياء لا تمت إلي المجتمع الإسلامي بصلة مطلقاً ، بل كانت غريبة علي هذا المجتمع ، استظهرها الحكم من القرون الغابرة ومن المجتمعات القديمة التي كانت تحيي علي مبادئ وثنية أراد الإسلام أن يقبرها .

كان علي المختار أن يتجه بكل طاقاته وإمكاناته نحو هذه الأمور جميعاً، حتي يعيدها إلي الطريق السليم بعد تصحيحها، ليثبتها مبادئ إسلامية حقيقية تصمد أمام انحرافها مرة أخرى.

فقد وجه اهتمامه منذ استولي علي الكوفة إلي إشاعة العدل والطمأنينة في نفوس أهلها، فأشاع العدل بين الناس، والمساواة بين العرب والفرس ، ومثلما قرب إليه الأشراف ، وأبدي لهم رغبة في مجالسته والنصح له كما كانوا يفعلون من قبل مع غيره من الولاة، فإنه وجه اهتمامه أيضا إلي الموالي الذين كانوا يؤلفون نصف سكان الكوفة و يشتغلون بالحرف اليدوية والمهن والتجارة، واستمالهم، حيث لم تكن لهم أية حقوق قبل هذا الوقت، علي الرغم من أن موارد الثروة في أيديهم .

وإذا نظرنا إلي الناحية المالية ، نري أنه كان كريماً - فقد فرق المختار

جميع الأموال التي وجدها في بيت مال الكوفة علي رجاله والمعوزين. وقد كان عطاء أهل العراق خلال الحكم الأموي أقل دائما من عطاء أهل الشام، ولكن المختار رفع عطاءهم إلي أن أصبح يفوق عطاء أهل الشام. كما أنه أمر بإعفاء كل من أسلم عن دفع الجزية. (إلا أن «الحجاج» سينقص عطاءهم مائة درهم بعد ذلك، وسيبقي الجزية علي من أسلم) إلي أن يعيد (عمر بن عبد العزيز) سيرة المختار.

وهكذا، فإنه إذا كان أهل العراق يميلون إلي تحقيق نوع من الاستقلال الذاتي عن الدولة الإسلامية، فقد حقق المختار رغبتهم.

ونظرا لعدله وسيرته الحسنة، فقد انضم إليه عدد كبير من الزعماء والجماعات حيث انضم إليه كما علمنا «الزعيم» (إبراهيم الأشر) وعدد كبير من التوابين الذين أصبحوا من أشد أنصاره إخلاصا وأعظم جنده استبسالا في الحروب. وكان من أصحابه أيضا: (هبيبة بن مريم) مولي الحسين بن علي (عليه السلام) وهو من ثقات المحدثين - وقتل بالخارز (1).

كما أنه تمكن من شراء الولاية الأموية والزييريين ليتنازلوا عن الحكم، مثل: «عبدالله بن مطيع» الذي منحه مائة ألف درهم ليتنازل عن الحكم، ففعل. وكذلك: (عمر بن عبد الرحمن بن الحرث) الوالي التالي لابن الزيير، الذي منحه سبعين ألفا فركن إلي الهدوء في البصرة.

ويؤكد المؤرخون بعد تحليلهم لسياسته، أنه لو أن الأمويين ساروا سيرة المختار، لما انهارت دولتهم.

وكان للمختار مناوئون في الخارج، كما كان له مناوئوه في الداخل. وقد كان هذا العداء بين زعماء المسلمين هو إحدى نتائج مساويء

ص: 263

1- ابن الأثير: ج 4، ص 278.

الحكم الأموي. لأن الإنسان المسلم كان يرى أن الحكم الأموي غير شرعي، وأنه حكم ظالم يجب الإطاحة به والقيام في وجهه .

ومن الذين اعتنقوا هذا الرأي والمبدأ : «عبدالله بن الزبير» في الحجاز، الذي أمر بالجهاد ضد الأمويين في محاولة منه لإسقاط حكمهم .

وقد تمكن «ابن الزبير» نتيجة لضعف الدولة الأموية ، بعد أن استولي «المختار» علي الكوفة وقتل ولائها الجبابرة ، أن يستقل بالحجاز، وأن يتجه ببصره إلي الأمصار الأخرى التي سقطت من يد الأمويين وخرجت من نطاق نفوذهم ، فبعث بولائه وأنصاره إلي تلك الجهات ليسيطر عليها، وأن يدعي له بالخلافة كوارث للحكم الأموي.

وعلي الرغم من أن «المختار» كان قد وقف إلي جانب « ابن الزبير» في الدفاع عن الكعبة التي حاصرها الجيش الأموي، فقد أظهر له العداوة حينما انتزع الكوفة من أيدي «عبدالله بن الزبير»، الذي اتجه بكل قوته نحو الكوفة ليضمها إلي دولته. وعلي الرغم من أنه مال إلي مهادنته وعدم الاصطدام به فإن «ابن الزبير» كان طامعا في الحكم من جهة ، وعلي كره لمبادئه من جهة أخرى. فبعث أخاه «مصعب» الذي حاصر «المختار» أربعة أشهر، تحمل فيها العطش والجوع، وتخلى رجاله عنه. ولكنه أبي الاستسلام، ونزل إلي طرقات الكوفة يحارب حتي قتل . «فالمختار» كان مستعدا لبذل روحه ودمائه في سبيل فكرة يعتنقها.

وهكذا قتل المختار عام 67 هـ (إبريل 687 م) وأمر «مصعب» بقطع كف المختار وسمرها إلي جانب المسجد. وقتل أيضا جميع من استسلم من رجاله وكانوا بين ستة وثمانية آلاف رجل (1) ، من بينهم إحدى زوجات

ص: 264

1- علي حسني الخربوطلي : المختار بن أبي عبيدة الثقفي ص 309 - ابن الأثير: ج4، ص 266.

المختار وهي «عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصارية (1)» .

ومن الواضح في هذا المجال، أن «مصعبا» كان قد تأثر بالجو الأموي في التحكم والسيطرة وأساليبها، وفي (مجاهدته) لأعدائه، وذلك في إسرافه في القتل، فقد كان في تعامله، كما لقب هو نفسه، بالجزار، حيث صح وصفه وتسميته.

هذا هو أحد الرجال القلائل في التاريخ، من الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. من الرجال الذين لا يخافون في الله لومة لائم. فأنكر المنكر بلسانه ويده. وقام ينادي بالمباديء الكريمة أمام الحاكم الجائر دون خوف أو وجل أو تردد، رفع السيف ليقيم الحق ويحيي العدل، ويسقط الباطل ويميته.

فما إن سمع نداء الحق حتي سارع إلي تلبيته والوقوف معه والالتصاق بأهله. ففتح بيته لمبعوث الحسين (عليه السلام) إلي الكوفة: (مسلم بن عقيل) ودعا الشيعة إلي البيعة له. وأراد الانخراط في الجيش الإلهي الذي ترأسه أهل البيت الكرام، ولكن الطغاة حالوا بينه وبين أداء الواجب الذي أمر به الله تعالى.

وعلي الرغم من عدم توافق أهوائه مع «ابن الزبير»، إلا أنه دافع عن الكعبة المكرمة. وبيت الله الحرام، عندما داهمه الظالمون بكل قباحة وجرأة علي الله، كما أنه وقف مع ابن الحنفية وقفة لا يستطيعها إلا الجريء والشجاع والقوي النادر فأبعد عنه الخطر وأزاله وهدد مناوئيه وأعدائه. ولكنه مع الأسف نري أن من يعنيه ألا يظهر الحق، وألا يبرز العدل، وألا ينتشر مبدأ إسلامي بين الناس، وألا تظهر صورة القادة الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في المجتمع الإسلامي، حتي تتواري آيات الله عن أنظار الناس

ص: 265

1- ابن الأثير: ج 4، ص 266.

وأفندتهم، وحتى لا تتكرر صور الدفاع عن هذه الآيات الشريفة أو تذكيرها للأمة والأفراد، وحتى لا يجرؤ أحد أن يقوم ليقوم الانحراف و يعيد سيرته الصحيحة ، وحتى لا يجعل الناس يفرقون بين الزين والشين، وحتى تسير الأمور كما يشتهي الحاكم - أي حاكم - .

حتى لا يحدث هذا وغيره من الأمور الطيبة والأعمال الخيرة ، والأفعال الحسنة التي دعي إليها الخالق عز وجل ، ذهب بعض الدعاة إلي تخريب سمعة «المختار» والتشهير به، فنشرت عن طريق إدارة الإعلام وأبواق الدعايات ، كلاما مسفوفا وأحداثا مزورة للتقليل من أخلاقه وأعماله، فنسبت إليه ما هو بعيد عنها، وبريء منها، ولا تمت إليه بصلة ، ولا تقرب إليه بصفة مطلقا .

علي الرغم من أن معظم المؤرخين يتفقون في أن يلبسوه الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة، فلم يذكر عنه ، أنه غدر بعدو له، أو أنه أسرف في سفك دماء خصومه .

وأنه كان تقيا حريصا علي أداء شعائر دينه. فكان كما قالت عنه زوجته : (صائما نهاره، قائما ليله).

وضربوا له المثل في ابتعاده عن العصبية القبلية منها أو الجنسية وعدم الميل إلي أي نوع منها، بأنه في الحرب ، كان يحارب الأمويين : « بشجاعة العرب وعداوة العجم».

وشبه من قبل بعض المؤرخين بالرئيس الأمريكي في عصرنا الحالي ، (إبراهام لنكولن) أو شبهوا هذا به، فإذا كان «لنكولن» محررا للعبيد في أمريكا، فهو صورة مكررة للمختار، الذي عمل دائما علي تحرير الموالى والرقيق في الدولة الإسلامية .

ولكن كما قلنا، قذفه خصومه الألداء في دينه وحديثه ونهضته. مع أنه

في طليعة من رجالات الدين والهدى ، والإخلاص ، وأن كل ما بزوه من قذائف وطامات لا قبول لها من مستوي الحقيقة والصدق.

فقد ترحم عليه الأئمة الهداة سادتنا: السجاد والباقر والصادق (عليه السلام) . وبالغ في الثناء عليه الإمام الباقر (عليه السلام). ولم يزل مشكوراً عند أهل البيت الطاهر، هو وأعماله (1).

وكذلك أكبره ونزهه العلماء الأعلام الأجلاء.

فعندما قتل هو وأصحابه ، جزع لهذه الجريمة النكراء: «عبدالله بن عمر» الذي حينما سلم «مصعب» عليه وقال له: «أنا ابن أخيك»، قال «عبدالله»: (نعم أنت قاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة، عس ما استطعت . فقال مصعب: إنهم كانوا كفرة . فقال «ابن عمر»: والله لو قتلت عدتهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً) (2). كما أن «اليعقوبي» وصف تلك المأساة بأنها: (أحد الغدرات المذكورة المشهورة في الإسلام) (3). وذكر «المسعودي» أن كل هؤلاء السبعة آلاف طالبوا دم الحسين (عليه السلام) وقتلته أعدائه ، فقتلهم مصعب (4).

6- ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث:

وهي من أحداث عصر «عبد الملك بن مروان» الحاكم، «والحجاج بن يوسف الثقفي» الوالي. يقول «المدائني» كما جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد «وولي عبد الملك بن مروان، فاشتد علي الشيعة ، وولي عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرب الناس ببغض علي وموالاة

ص: 267

1- الأميني: الغدير ج 2، ص 343.

2- علي حسني الخربوطلي: المرجع السابق / ص 309 - الطبري ج 7، ص 157 - ابن الأثير: ج 4، ص 278.

3- المسعودي: مرجع سابق ج 3، ص 99.

4- المسعودي: مرجع سابق ج 3، ص 99.

أعدائه وموالاة من يدعي قوم من الناس أنهم أيضا أعداؤه، فأكثرُوا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثرُوا من الغضب من علي وعيبه والظعن فيه والشنان له» (1).

هذا مع العلم بأن «عبد الملك» كان متخوفا من التعرض لآل البيت، فقد كتب إلي الحجاج أن (جنبني دماء أهل البيت، فإني رأيت بني حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين) (2) أو في قول آخر: (جنبني دماء آل طالب، فإني رأيت الملك استوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم) (3).

وبناء علي ذلك، فإن، «الحجاج» تجنبها خوفا من زوال الملك عنهم، لا خوفا من الله عز وجل. ولكن الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أسسها الحكم الأموي، ودعمها أعوانه، وسار عليها رجاله، لم تساعد في الاستقرار، أو قبول المسلمين لها. فأمرض هذا العصر مثل سابقتها، تدفع كل فرد مسلم غيور أن يبحث عن دواء - لعلاجها. وكانت علة هذه الفترة، الحجاج بن يوسف، والمحاول لعلاجها القائد «عبد الرحمن بن الأشعث». «وعبد الرحمن» هو أحد رجالات العرب، يرجع نسبه إلي ملوك كندة، وكانت قبيلة كندة في صدر الإسلام تعارض الأمويين، كما أن جده كان من كبار أصحاب الإمام «علي بن أبي طالب» (عليه السلام).

في عام 79 هـ كان «الحجاج» قد ساق نخبة من رجال الشعب وخيرة فرسانه شيوخا وشبانا إلي مجزرة رهيبه في محاولة لغزو (رتبيل) أمير «كابل» في عقر داره، لإخضاعه وإرغامه علي دفع الأتاوة التي كان قد قطعها عن الدولة الأموية (4). واختار القائد «عبد الرحمن» لقيادة هذه القوة الكبيرة.

ص: 268

- 1- محمد حسين المظفر: تاريخ الشيعة، ص 48.
- 2- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 4، ص 385.
- 3- المسعودي: المروج، ج 3، ص (170).
- 4- حسن الأمين: مجلة العرفان، ص 28.

ولم يكن اختياره له حبا فيه لمقدرته وكفاءته ، أو تقديرا له لجهوده وإخلاصه في دينه، وإنما كان حبا في التخلص منه ، ورغبة في الكيد له والانتهاز منه . فقد كان «الحجاج» يبغض «ابن الأشعث» بغضا شديدا ، وكان يقول : (ما رأيته قط إلا أردت قتله) (1). ويذكر «الطبري» بأن «الحجاج» ليس في العراق أبغض إليه من عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث» (2). وكذلك «عبد الرحمن» كان يبادل له الشعور نفسه ، فيقول عنه: «والله لأحاولن أن أزيل الحجاج عن سلطانه» (3).

فمن الواضح أن اختيار الحجاج له كان لضرب عصفورين بحجر واحد كما يقول المثل، إخضاع «رتبيل» القوي الذي لا يواجهه إلا قوي، والتخلص من «ابن الأشعث» في تلك الأماكن الموحشة .

ولكن «ابن الأشعث» كان يعلم الغاية من هذه الحملة، وكل الحملات، فدبر في نفسه أمرا ينجيه من الوقوع فيما وقعت فيه الحملات السابقة من إبادة، حيث كان من المستحيل غزوا أراضي الترك الجبلية الوعرة، ومن الصعب التوغل فيها، صعوبة أرهقت حملات عدة سابقة انتهت جميعها بالإبادة والدمار.

فلما دخل «عبد الرحمن» أرض «رتبيل» وقف عند نقطة معينة لم يتجاوزها، حتي أتاه أمر «الحجاج» بالمسير قدما، فقد كان رأيه علي غير رأي «عبد الرحمن»، فأمره بالمسير ثم هدم وقتل وسي تلك الشعوب بأية طريقة دون تفكير أو إعمال العقل .

ولكن «عبد الرحمن» القائد الإنساني الذي اعتنق المبادئ الإسلامية

ص: 269

1- ابن الأثير : ج 4، ص 455.

2- الطبري : ج 8، ص 4.

3- ابن الأثير: ج 4، ص 445.

السمحة، كانت له نظرة ديمقراطية في تقرير الأمور المصيرية، فأجمع الجيش وأخبرهم بهذا الأمر - ليستشيرهم في الحرب أو السلام. فقال لهم:

(قد كتبت إلي أميركم الحجاج فجاءني منه كتاب يعجزني ويضعفني، وبأمرني بتعجيل الوغول بكم في أرض العدو، وهي البلاد التي هلك إخوانكم فيها بالأمس، وإنما أنا رجل منكم أمضي إذا مضيتهم، وأبي إذا أبيتم) (1).

فثار إليه الناس وقالوا: (لا بل نأبي علي عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع) (2).

كان هذا رأي الأربعة ألف من أهل الكوفة والبصرة، أي رأي الشعب في حكامه يومذاك.

فلم تكن المشكلة فيما إذا كانوا يرغبون في حرب الترك أو عقد السلام معهم، ولا الخوف من العدو وقوته، ولا الخشية من التوغل في أراض وعرة، ولا طاعة أمير أو عصيانه، بل المشكلة في الواقع كانت في نوعية الحكام والأمرء الذين يتحكمون في مصير الشعوب الإسلامية. فهذه الشعوب المغلوبة علي أمرها، تقاسي الظلم والطغيان، فمتي أتاحت لهم الفرصة، وحينما وجد القائد الكفيء المستعد لبذل التضحية معهم في الثورة علي الظلم، فإنهم سرعان ما ينضمون تحت قيادته وياتمرون بأمره، دون تردد أو خوف، طمعا في التخلص من أحكام الجور ومظاهر الفساد والعبث التي تنتشر بين أحيائهم.

ولذلك نري أن المبادئ التي بايع بها هذا الجيش أميره، تركزت في

ص: 270

1- حسن الأمين: العرفان، ص 28.

2- الطبري: ج 8، ص 8-10.

أن : (نبايع علي كتاب الله وسنة نبيه ، وخلع أئمة الضلال، وجهاد المحلين) (1).

فباسم الله وسنة كتابه ونبيه (صلي الله عليه واله وسلم) سيجاهدون أئمة الضلال. وبذلك أيدت الثورة : جميع الفرق السياسية والدينية بالعراق علي اختلاف مبادئها ومذاهبها . فيذكر «الطبري»، أنه بايع «ابن الأشعث»، أهل الكوفة والبصرة والثغور والمسالح والقراء - أهل الدين من العلماء بالقرآن - من أهل المصريين، وبلغ عددهم مائة ألف مقاتل ومثلهم من مواليهم (2). كما أن أشرف العرب خرجوا بالعراق وانضموا إلي مواليهم، رغم العداء التقليدي بينهم . وانظم إليه أيضا، الشيعة والخوارج والعباد والمسيحيون، الأساورة والزط، فضلا عن أنه عندما علم الشعب الإسلامي بأمر هذه الثورة، هب للاشتراك فيها بجميع طوائفه وعقائده ومذاهبه، فأصبح «ابن الأشعث» عندئذ الأمير علي المشرق كله ، فثارت البصرة، أولا ثم تلتها الكوفة .

فكانت أضخم ثورة شعبية تحريرية لحرب الحجاج وخلع عبد الملك بن مروان، حيث ترأسها نخبة من العلماء والفقهاء والشعراء، وهم المثقفون المتحررون ذوو الرسائل الهادفة المناضلة. وقد اشتهر من بينهم : «عامر الشعبي» الذي خطبهم بقوله : (يا أهل الإسلام، قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم، فوالله ما أعلم قوما علي بسيط الأرض أعلم بظلم، ولا أجور منهم في الحكم) (3).

«وسعيد بن جبير»: التابعي الثقة ، الذي حمسهم للقتال قائلا :

(قاتلوهم علي آثامهم وجورهم في الحكم وتجبرهم في الدين

ص: 271

1- حسن الأمين : مرجع سابق ص 28.

2- الطبري : ج 8، ص 10.

3- ابن الأثير : ج 4، ص 469 - الطبري، ج 8، ص 21.

واستذلالهم للضعفاء وإماتتهم الصلاة(1).

وكان من بينهم أيضا : (أبو البختری الطائي ، وعبد الرحمن بن أبي لیلی - الفقيه ، كميل بن زياد، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص).

ونحن عندما نلاحظ أقوال هؤلاء العلماء، نجد أنها توضیح و تفسیر الأسباب الثورة، وإبراز للدوافع القوية لها. فقد ثار «عبد الرحمن» في وجه الديكتاتورية والإرهاب والتفرقة العنصرية، هذه السياسة التي حمل لواءها الحاكم الأموي: «الحجاج بن يوسف» .

ولكي نتفهم أقوال هؤلاء العلماء ، يمكننا أن نوجز الأسباب والدوافع لتلك الحركة الثورية .

لم يتبع حكام بني أمية تعاليم الإسلام الرشيدة في المساواة بين المسلمين، فميزوا بين العرب وغيرهم، وترفعوا واعتبروا أنفسهم فوق سائر العناصر غير العربية، فأوجدوا الطبقة في العراق ، طبقات موسرة، وأخري معدمة، كما أنهم فرضوا الجزية علي من أسلم - وهو ما كان المختار قد أبعداها من قبل - ولكن الحجاج أعادها مرة أخرى، مما كان سببا في نكمة أهل الذمة علي سياستهم وإسراعهم في الانضمام إلي ثورة عبد الرحمن(2).

وما أكره الناس في معيشتهم، سمعة الحجاج وشهرته بالقسوة والإرهاب والميل إلي سفك الدماء. فمما هو معروف عنه ، أنه قد توجه في يومه الأول إلي مسجد البصرة مع ألفي جندي من أهل الشام حيث قتلوا سبعين ألفا حتي سالت الدماء إلي طرقها(3). وكان أسلوبه في التخلص من العناصر المشبوهة يتركز في تجنيد أهالي العراق بالقوة وإرسالهم إلي

ص: 272

1- حسن الأمين : المرجع السابق ص 28 - الطبري ج 8، ص 21.

2- علي الخربوطلي : 10 ثورات في الإسلام ص 140.

3- ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج 2 ص 31.

ولكنها في الحقيقة كانت لإبعاد العناصر الثائرة والمتمردة علي سلطانهم من جهة ، وإشغالهم عن مفاسد النظام والسياسة الداخلية من جهة أخرى.

فلم تفت هذه الفكرة علي القائد «عبد الرحمن». مع العلم بأن سببا واحدا من تلك الأسباب وغيرها، كان كافيا لإعمال الغليان في النفوس، فظهرت روح السخط والثورة علي الحكم الأموي والحجاج بصفة خاصة ، مما أدى إلي وقوع الصدام بين الجانبين، إذ كان أمرا حتميا .

وعندما تنتقل إلي الميدان العسكري، نجد أن الحرب في الكوفة استمرت لعدة شهور عام 82 هـ دون نتيجة حاسمة. فقد انتصر «عبد الرحمن» في أول المعركة عام 81 هـ، وتمكن من إجلاء «الحجاج» عن البصرة ، مما أجبر «عبد الملك» علي عزله وتعيين أخيه (محمد بن مروان) واليا بدلا منه. كما أجري مفاوضات مع أهل العراق عسي أن يقبلوا بمطالبه ، إلا أنهم رفضوا عروض «عبد الملك» مما اضطر إلي تثبيت الحجاج، وأن يعطيه الإجازة ويخوله بأن يفعل ما يشاء بالثوار.

فكانت معركة «دير الجماجم» التي استمرت مائة وثلاثة أيام حتي عام 83 هـ، هزم فيها «ابن الأشعث» وفر إلي البصرة ثم إلي «رتبيل» (1).

وأرسل «الحجاج» إلي «رتبيل» يفوضه بشأن تسليم «ابن الأشعث» فأغراه بالمال فقبل تسليمه علي شروط منها: ألا يغزوه الحجاج عشر سنين ، وعلي أن يؤدي إليه بعد ذلك في كل سنة (900 ألف درهم).

ولكن قائد الثورة ذو النفس العزيزة ، لم يقبل الهزيمة فألقي بنفسه من

ص: 273

بناء شاهق فمات، ويوضح هذا الموقف ضعف الحجاج من ناحية، ونيته السيئة من ناحية أخرى، فبعد أن كان الحجاج يود القضاء علي «رتبيل» والاشتراط عليه وأخذ الأموال منه، انعكست الآية فاشترط «رتبيل» عليه . ولكن بعد أن خسر المؤمنون رجلا مجاهدا وأحد الجنود المسلمين العظام، وكان هو الأمر المطلوب).

ولم يستشهد «ابن الأشعث» لوحده في هذه المعارك، بل قتل معه الألو، كان من بينهم «كميل بن زياد النخعي» («وقنبر» مولي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي دافع يوما عن بيت «عثمان بن عفان» حين حاصره الثوار في المدينة، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص، وقد قتلهم «الحجاج» الذي ضرب عنق «سعيد بن جبير» كذلك، ولما قتل التيس عقله (1). ونجا كل من «عامر الشعبي» ومطرف بن عبدالله الشخير» من المذابح، لاعتقادهما في التقية - التورية -.

وبعد المعركة، كتب «عبد الملك بن مروان» إلي «الحجاج» في الأسري أن يعرضهم علي السيف، «فمن أقر منهم بالكفر بخروجه علينا فخل سبيله، ومن زعم أنه مؤمن فاضرب عنقه». ففعل ولكن بأسلوبه ووسائله المتميزة.

فكان يسأل الرجل، علي دين من أنت؟ فيقول: «علي دين إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين» فيأمر بضرب عنقه . ويجيب آخر علي سؤاله ، بأنه علي دين أبيه الشيخ يوسف، فيقول الحجاج : أما والله لقد كان صواما قواما ، فيخلي سبيله (2).

ص: 274

1- ابن عبد ربه : العقد الفريد ج 5، ص 53 - 54 - القلقشندي : مرجع سابق : ج 1، ص 137.

2- ابن عبد ربه : العقد الفريد ج 5، ص 53 - 54.

ليس هذا كل حصاده من الضحايا، فقد قتل «الحجاج» بعد هزيمة يوم «الزاوية» وهي معركة سبقت «دير الجماجم» أحد عشر ألفاً خدعهم بالأمان . وأحصي من قتله صبوا - حسباً مائة وعشرون ألفاً. وكان في حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة، حيث كان يحبس النساء والرجال في موضع واحد، ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس في الصيف، ولا من المطر والبرد في الشتاء (1).

وقال «الأصمعي»: «عرضت السجن بعد الحجاج فوجدوا فيها (33) ثلاثة وثلاثون ألفاً من لم يجب علي واحد منهم قتل ولا صلب» (2).

كما اعترف الحجاج في بعض أيامه بمائة ألف قتيل قتلهم علي ذنب واحد (3).

وكل ما قام به وأداه كان ليرضي نفسه المريضة ويشبعها أولاً ثم لينال رضا رؤساءه ثانياً، وخاصة إذا علمنا أنه كان يحصل علي الكثير من المراكز والمناصب العليا بعد إقدامه علي قتل تائر أو إخماد فتنة أو إلقاء قبض علي مجاهد، مثل ما حدث عندما قتل «ابن الزبير» في مكة وأخذ البيعة لعبد الملك ، أسند إليه هذا مقاليد ولاية الحجاز بالإضافة إلي اليمن واليمامة (4)، وهو ما يؤكد نظرية الحوافز والتشجيع أو المكافآت في علم النفس التربوي.

ص: 275

-
- 1- ابن عبد ربه : نفس المرجع السابق : ص 54 - ابن الأثير : ج 4 ص 469 - المسعودي : المروج ، ج 3 ص 166.
 - 2- ابن عبد ربه ، ج 4 ، ص 46 (وينقل أبو داوود المصنف عن النضير بن شمير، أنه سمع هشاماً يقول : أحصوا من قتل الحجاج صبوا فوجدوهم مائة ألف وعشرون).
 - 3- ابن الأثير: ج 4 ص 587.
 - 4- جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية ص 120.

7- ثورة زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام):

هو أبو الحسين، زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (عليه السلام) (1). وكان قيامه في عهد « هشام بن عبد الملك بن مروان » الحاكم الأموي، ويوسف بن عمر الثقفي الوالي (2).

ومما يؤخذ علي « هشام » إمعانه في الانتقام من العلويين والتنكيل بهم كلما أمكنته الفرصة، ناهيك بما فعله « يزيد » (و يحيي) ابني «علي بن الحسين»، هذا إلي ما عرف عنه من الغلظة وخشونة الطبع وقسوة القلب (3).

كان «زيد» عين إخوته بعد «أبي جعفر الباقر (عليه السلام) وأفضلهم، عابدا ورعا فقيها سخيا شجاعا جريئا، سعي إلي الإصلاح، فظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ويطلب بثارات الحسين (عليه السلام) ويدعو إلي الرضا من آل محمد .

وقد اتفق علماء الإسلام علي جلاله «زيد» وورعه وفضله ، فقد اكتتفته الفضائل من شتي جوانبه : علم متدقق ، وورع موصوف ، وبسالة معلومة ، وشدة في البأس ، وشمم يخضع له كل جامع ، وإباء يكشف عنه أي ضيم ، كل ذلك موصول بشرف نبوي . ومجد علوي ، وسؤدد فاطمي ، وروح حسيني .

فأعد نفسه للخلافة ، واستجمع كل الشروط التي يراها لازمة لحمل هذا العبء من عدالة وعلم وشجاعة ، ولم يبق إلا أن يطالب بها، فانتظر الفرصة السانحة لذلك (4). ويبين أسباب خروجه بقوله :

ص: 276

-
- 1- الطبري : ج 8، ص 263.
 - 2- ابن الأثير : ج 5، ص 229.
 - 3- حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي والديني، ج 1، ص 415.
 - 4- أحمد شلبي : موضوعة التاريخ الإسلامي ج 2، ص 181 - علي الخربوطلي : 10 ثورات ، ص 160 - الموسوي الكاظمي: زيد بن علي : ص 40.

(وإنما خرجت علي بني أمية لأنهم قاتلوا جدي الحسين، وأغاروا علي المدينة يوم الحرة، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار) (1).

لقد خرج «زيد» طالبا للحق، وناصرنا للكتاب والسنة، وليوقد مصباح الإسلام بعد أن أطفأه الأمويون (إني أعطي الله عهدا إن دخلت يد في طاعة هؤلاء ما عشت) (2).

وخرج «زيد» بعد إخراجات شديدة من «هشام بن عبد الملك» وقد رأي أن كرامته قد دثيت بالصغار في آخر لقاء بينه وبين هشام، الذي قلل من شأنه واستصغر جراته حين نصحه ذات يوم قائلا: اتق الله . فقال هشام مستنكرا : ومثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوي الله ؟ فقال زيد: إنه لا يكبر أحد فوق أن يوصي بتقوي الله ، ولا يصغر دون أن يوصي بتقوي الله (3).

وعندما عرف «هشام» عن أمره قال له : بلغني أنك تربص نفسك للخلافة وتطمع فيها وأنت ابن أمة «فرد عليه زيد» (مهلا يا هشام، فلو أن الله علم في أولاد السراري - تقصيرا عن بلوغ غاية، ما أعطي «إسماعيل بن إبراهيم» (عليه السلام) ما أعطي) (4). واعتزم «زيد» الخروج بعد أن دعاه العراقيون وبايعوه علي (العمل بكتاب الله وسنة نبيه (صلي الله عليه واله وسلم) وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم الفيء بين أهله بالسواء،

ص: 277

-
- 1- علي الخربوطلي : 10 ثورات ص 160 - الموسوي الكاظمي ص 40 - حسن إبراهيم ج 1، ص 416.
 - 2- ابن الأثير : ج 5، ص 229 - محمد أبو زهرة : الإمام الصادق (عليه السلام) ص 138.
 - 3- علي الخربوطلي : 10 ثورات ص 160 - الموسوي الكاظمي ص 40 - محمد أبو زهرة : ص 49.
 - 4- الموسوي الكاظمي : ص 43 - ابن قتيبة : المجلد الأول من عيون الأخبار ص 212 ط مصر.

ورد الظالمين، والدفاع عن آل البيت ضد أعدائهم الذين اغتصبوا حقوقهم(1).

لكل ذلك خرج «زيد» وخرج معه بعض أهل بيته وقلعة من أصحابه ، فانتشرت دعوته في (المدائن و واسط والموصل وخراسان والري وجرجان والجزيرة)، كما بايعه خمسة عشر ألفا من أهل الكوفة ، إلا أنه عندما أذن لهم بالخروج تقاعد عنه الكثيرون، فخرج معه مائتان وعشرون رجلا. فقد وجدها «حسينية» قد تخاذل عنه العراقيون، كما تخاذلوا من قبل عن جده الحسين (عليه السلام)، فاقتتلوا مع أهل الشام ، وهزم «زيد» وأصيب في جبهته ثم مات (2).

لقد حارب «زيد» مع قلعة ناصريه أهل الشام حربا كبيرة، وقتل في معاركه كثيرا منهم، وجرح منهم جرحي كثيرة ، كما أنه انتصر في أول الأمر علي الوالي الأموي بالكوفة ، ولكن سهما أصابه فقتله (3).

ويذكر (أبو الفرج الأصفهاني)، «إن أصحاب «زيد» خمسمائة ، وأهل الشام اثني عشر ألفا. علي أن من بايعوه كانوا اثني عشر ألفا ولكنهم غدروا» (4).

وقد سأل «زيد» نصر بن خزيمة» بعد أن انصرف عنه رفاقه وناصروه : أتخاف أهل الكوفة أن يكونوا فعلوها حسينية ؟ فقال : جعلني الله فداك . أما

ص: 278

1- الطبري: ج 5، ص 492 - محمد أبو زهرة ص 138.

2- أبو الفرج الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص 139 - أبو زهرة ص 138- ابن الأثير : ج 5، ص 246.

3- الطبري: ج 8، ص 272.

4- أبو الفرج الأصفهاني، ص 139.

أنا فوالله لأضرب بن بسيفي هذا معك حتي أموت. وقد صدق الرجل فصلب معه (1).

ومما روي عن انصراف مؤيديه عنه ، (أنه لما علم أهل الكوفة بحركة زيد، اجتمع إليه فريق من رؤسائهم وسألوه عن رأيه في أبي بكر وعمر، فقال زيد: رحمهما الله وغفر لهما . ما سمعت أحدا من أهل بيتي يتبرأ منهما، ولا يقول فيهما إلا خيرا. فقالوا: تطالب إذا بدم أهل هذا البيت إلا أن وثبا علي سلطانكم فنزعه من أيديكم؟ فقال : إن أشد ما أقول فيما ذكرت، إنا كنا أحق بسلطان رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) من الناس أجمعين، وأن القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا، قد لولا فعدلوا في الناس، وعملوا بالكتاب والسنة). فانصرف عنه بعضهم ونكثوا بيعته (2).

إن الموقف الذي نحن بصدده - أعني موقف أهل الكوفة من انصرافهم عن مناصرة قائدهم المجاهد ونكث بيعته - لم يكن حسينا في الحقيقة كما ذكر «زيد بن علي»، بل كان علوي الأصل، فقد فعلوها من قبل مع الإمام علي (عليه السلام) ثم ابنه الحسن (عليه السلام) فالحسين (عليه السلام) وأرجح في اعتقادي ، أنهم كانوا يحبون آل البيت ويتشيعون لهم حقا، ولكن إسميا أي ظاهريا، فهم مستعدون للجمععة، وإشهار السيوف عاليا، وتنظيم المظاهرات الصاخبة ، والتنديد بعدوهم وتهديده بأصواتهم العالية ، وحينما تطلب منهم البيعة، يبائعون إمامهم علي أجمل الأهداف وأعظم الأمانى وأسمى المقاصد، كالعمل علي كتاب الله وسنة نبيه (صلي الله عليه واله وسلم) وجهاد الظالمين والدفاع عن آل البيت ورد حقوقهم من مغتصبيهم، إلا أنه عندما يحين التنفيذ والجد في الشروع الفعلي للعمل المقصود ، يأتون بأعذار هي أقبح من ذنوبهم، ويجادلون في

ص: 279

1- أبو الفرج الأصفهاني : مقاتل الطالبين / ص 139 .

2- الطبري ج 5، ص 498 - ابن الأثير : ج 5، ص 243.

آراء جانبية وأفكار هامشية يخترعونها وبيتدعونها علي أنها حق، مع أنها خارجة عن صلب الموقف الخطير الذي هم فيه ، فينكثون العهد، وتكون النتيجة حينئذ الخيانة والغدر، فيهرب من يستطيع الهرب ، ويتسلل من يمكنه التسلل، وينكث مع هو طبعه الغدر، فتحل الكارثة بالقائد وناصريه القلة .

وقد أمر الوالي «يوسف بن عمر» أن يصلب «زيد» بعد إخراجه من القبر بالكناسة ، بعد أن قطع رأسه وبعث به إلي «هشام بن عبد الملك» الذي نصبه علي باب دمشق ثم أرسل إلي المدينة في سنة 122 هـ (1) حتي مات «هشام» فأمر «الوليد بن عبد الملك» بإحراقه بعد سنين أربعة.

ويقال أن رأسه الشريف بمصر . وكان عمره عندئذ (42) سنة (2).

ولم يصلب «زيد» لوحده، بل كان معه أصحابه : نصر بن خزيمة العبسي، ومعاوية بن إسحاق الأنصاري، وزيايد النهدي» (3).

وكان لمقتله أثر في قلب كل مؤمن ، وترك ندوبا في قلوب المحبين لآل البيت (عليه السلام). وكان أيده وشجعه علي موقفه ، الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) الذي حينما أخبره جماعة عنه قال : «بايعوه فهو والله أفضلنا وسيدنا» (4).

وكان الإمام الصادق (عليه السلام) يجلب موقفه ، وقد بكاه وفرق الأموال في أسر المقتولين معه، ولام أشد اللوم الذين دعوه إلي الخروج وخذلوه ، والذين وعدوه بالنصر ثم تركوه ، وقال فيه :

(رحمه الله ، أما أنه كان مؤمنا وعارفا، عالما وصدوقا، ولم يدعكم

ص: 280

-
- 1- ابن الأثير : جه، ص 246 - أبو الفرج الأصفهاني، ص 130 - القلقشندي : ج 1، ص 152 - الطبري : ج 8، ص 272.
 - 2- الموسوي الكاظمي: ص 43 - ابن الأثير : ج 5، ص 246.
 - 3- الطبري : ج 8 ص 272 - أبو الفرج : ص 143 - ابن الأثير : جه، ص 246 .
 - 4- ابن الأثير : ج 5، ص 246.

إلي نفسه وإنما دعاكم إلي الرضا من آل محمد، أما أنه لو ظفر لوفي، ولو ملك لعرف كيف يضعها، فإنما خرج إلي سلطان مجتمع لينقضه (1).

وكان الإمام «أبو حنيفة» من مؤيديه لموقفه أيضا، فقد قال فيه :

(من يأتي زيدة في هذا الشأن من فقهاء الناس).

وقد حدث (علي بن الحسين) فقال : سمعت «محمد بن جعفر بن محمد» في دار الإمارة يقول:

(رحم الله أبا حنيفة ، لقد تحققت مودته لنا في نصرته زيد بن علي) (2).

كما ذكر «أبي الجارود» أنه «قدمت المدينة فجعلت كلما سألت عن زيد بن علي ، قيل لي ، ذلك حليف القرآن» (3).

وقد وصفه عدوه «هشام بن عبد الملك» بأنه : حلو اللسان شديدا للبيان (4).

كما أنه قد رويت عدة أحاديث وروايات عن النبي (صلي الله عليه واله وسلم) وآل البيت ، تؤكد مكانته وتبرز منزلته وأهليته ، وتنبئ عن مصيره المحتوم.

8- ثورة - «يحيي بن زيد بن علي»

في عهد «الوليد بن يزيد» الحاكم، «ونصر بن سيار» الوالي .

«ويحيي هو أحد أبناء «زيد بن علي بن الحسين» الذين نذروا أنفسهم

ص: 281

1- أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص 130 - أبو زهرة - ص 49.

2- أبو الفرج الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص 146.

3- أبو الفرج الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص 130.

4- علي الخربوطلي : 10 ثورات - ص 160.

لله بالجهاد في سبيله تأسيساً بجهاد الحسين بن علي (عليه السلام) وثورته الكبرى، فتابعت ثوراتهم وخروجهم علي الظالمين والمعطلين لحدود الله أيام الأمويين والعباسيين. فكان «الحسين بن علي» معهم في قلوبهم مبدأ وإيماناً وأصالة وأهدافاً في سبيل أن تسقط دولة الظلم والبغي.

وقد كان نهوض «يحيي» أيام ضعف الدولة الأموية واحتضارها، حين كان يحكم الدولة الإسلامية «الوليد بن يزيد بن عبد الملك» الخليفة بعد «هشام» بن عبد الملك (1)، والذي عرف عنه إفراطه في الشراب وطلب اللذات حتي نهره هشام بقوله : ويحك يا وليد، والله ما أدري أعلي الإسلام أنت أم لا؟ ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيته غير منحاش . فكان «هشام» يعيب «الوليد» ويتنقصه ويقصر به، وقطع عنه ما كان يجري عليه . فابتعد عنه «الوليد» إلي الأردن مع خاصه حتي مات «هشام»، وعندما تولى، استولي علي كل ما كان لهشام بعد موته وضيق علي أهله وأصحابه (2).

وقد انتهت حياته بالقتل ، حيث قتل بسبب مجونه وفسقه وشربه الخمر واللهو واللذة والركوب إلي الصيد ومنادمة الفساق وتماديه في كل ذلك عام 126 هـ، ودفع برأسه إلي أخيه «سليمان بن يزيد» الذي قال فيه : (بعدا له ، أشهد أنه كان شروباً للخمر ماجناً فاسقاً. ولقد أرادني في نفسي الفاسق). وقد كان «سليمان» ممن سعي في أمره (3).

كما أن «الوليد» يشتهر في التاريخ بأنه خاطب القرآن الكريم بعد أن ألقاه ورماه بالسهم :

ص: 282

1- محمد حسين الزين : مرجع سابق ص 196.

2- ابن الأثير: ج 5، ص 264 .

3- ابن الأثير : ج 5، ص 288.

في هذا العصر، وفي هذا الجو المتأثم خرج «يحيى بن زيد» وهو شاب صغير بلغ من العمر الثامنة عشر، ولكنه رجل مكتمل بعمله، خرج بعد مقتل أبيه حتى نزل بالمدائن ثم اتجه إلي الري، فإلي نيشابور من خراسان، حيث قبض عليه واليها «نصر بن سيار»، الذي أخلي سبيله بعد أن نصحه وأمره بتقوي الله، وحذره الفتنة. فقال له يحيى: (وهل في أمة محمد (صلي الله عليه وآله وسلم) فتنة أعظم مما أنتم فيه، من سفك الدماء وأخذ ما لستم له بأهل)؟ (2). فرحل ونزل الجوزجان (كورة من كور بلخ بخراسان) حيث لحقه قوم من أهلها بلغوا خمسمائة (500) رجل، لم يثبت معه في الحرب منهم إلا سبعون فارساً، قاتل بهم عشرة آلاف، فاقتتلوا ثلاثة أيام حتى قتل جميع أصحابه، وبقي وحده فقتله «عمرو بن زرارة القسري أمير أبراشهر» واستباح عسكره وأصاب منه دواب كثيرة. وكان ذلك عام 125 هـ (3).

وبعث برأسه إلي «الوليد بن يزيد» الذي بعثه إلي أمه بالمدينة .

وقد أبدي «الوليد» ارتياحاً تاماً لمقتل «يحيى» وبعث إلي والي الكوفة «يوسف بن عمر الثقفي»: (إذا أتاك كتابي هذا، فانظر عجل العراق - يعني زيد بن علي - فأنزله من جذعه وأحرقه بالنار ثم انسهه باليم نسفاً) (4).

وأما «يحيى» فصلب علي باب مدينة الجوزجان إلي أن ظهر «أبو مسلم الخرساني» فأنزله ودفنه بعد أن صلي عليه . وثار له «مسلم» فقتل كل من

ص: 283

1- محمد حسين الزين: ص 196 - ابن الأثير: ج 5، ص 288 .

2- الموسوي الكاظمي: ص - أبو الفرج الأصبهاني: مقاتل الطالبين: ص 156.

3- أبو الفرج الأصفهاني: ص 156 (وذكر أنه بمساعدة 120 مائة وعشرون رجلاً فقط تمكن من أن يهزم جيش عمرو بن زرارة). / أحمد شلبي: مرجع سابق ص 182.

4- الطبري: ج 8، ص 301 - ابن الأثير: ج 5، ص 272 .

خرج لقتاله بعد أن عرفهم من الديوان فنظر إلي كل من كان في بعثه فقتله إلا من أعجزه (1).

وقد خرج من أبناء «زيد» (عيسى ومحمد) أثناء الدولة العباسية ، وهي الفترة التي لا تدخل في نطاق بحثنا .

9- ثورة «عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب» :

وقد خرج أيام الحاكم الأموي : إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، وحينما كان عبدالله بن عمر بن عبد العزيز، واليا علي الكوفة .

وقد قام إليه نفر من أهل الكوفة منهم: منصور بن جمهور، وإسماعيل بن عبدالله القسري ، أخو خالد، يطالبونه بالدعوة إلي نفسه، (ادع إلي نفسك فبنو هاشم أولي بالأمر من بني مروان)، فدعا إلي نفسه، لا إلي الرضا من آل محمد. وقد كانت دعوته سرية في بادئ الأمر، ثم بايعه جم من الأهالي، فجهر بدعوته ، فدارت الحرب بينه وبين «عبدالله بن عمر» عام 127 هـ في الحيرة. وقد فر أكثر أصحابه من القتال ، فاضطر أن يأخذ الأمان مع رفاقه علي أن يرحلوا حيث شاءوا .

وارتحل عام 128 هـ إلي «اصطخر» بإقليم فارس، وبسط سلطانه علي أرجاء واسعة في شرق الدولة الإسلامية ، وزاد أتباعه. كما خرج إليه عبيد أهل الكوفة ، وأتته جماعات عديدة من بني أمية وبني العباس الذين لم يأمنوا علي أنفسهم في أوطانهم . فقصده من بني هاشم : السفاح وأبو جعفر المنصور، وعبدالله وعيسى بن علي بن عبدالله بن عباس ، وكذلك قصده

ص: 284

1- أبو الفرج الأصفهاني : ص 156.

وجوه من قريش من بني أمية وغيرهم مثل : سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وعمرو بن سهل بن عبد العزيز بن مروان.

وقد رحب بهم، ومن أراد منهم عملاً أعطاه ، ومن أراد صلة وصله (1).

وانضم إليه أيضا الخوارج الفارين من «محمد بن مروان» الخليفة الأموي الجديد عام 129 هـ الذي عين والياً آخر علي الكوفة هو (يزيد بن عمر بن هبيرة).

وقد جدا في محاربة «عبدالله بن معاوية» وتمكنا من هزيمته في 130 هـ، نظرا لعدم إجابة أصحابه له قتال «محمد بن مروان»، فقصده خراسان للانضمام إلي حركة «أبي مسلم الخراساني» الذي تركزت دعوته « في الرضا من آل محمد) إلا أن «أبو مسلم» أمر بالقبض عليه وقتله ، فقتل .

وتعتبر ثورته آخر ثورة شيعية علي الأمويين وولاتهم، وعلي الوضع الذي كان يجبر الإنسان المسلم ويضطره ويدفعه إلي أن يحاربه جهادا في سبيل الله .

10 - ثورة أبي مسلم الخراساني وقيام الدولة العباسية :

بالرغم من الكوارث التي نزلت بآل البيت منذ مصرع الحسين (عليه السلام) وما عمدت إليه الدولة الأموية من تصفية الحركات العلوية والقضاء علي زعمائها بكل وسيلة مستطاعة حتي تخمد أنفاسهم، ولا تقوم لهم قائمة بعد ذلك، إلا أنه جاء الوقت لزوالها وفنائها علي يد آل بيت الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) ولا غيرهم. فعندما ظهر فضل البيت العباسي وعرفه الناس ، احترموه لقربته القريبة من

ص: 285

1- مقاتل الطالبين: ص ص 166: 167 - ابن الأثير، ج 5 ص ص 324، 371 - أبو الفرج الأصفهاني:

بيت علي (عليه السلام) ومن رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) فلم يكن الناس في حاجة إلي أن يفرقوا بين آل البيت، فقد نظر الجميع إليهم جملة علي أنهم كل متضامن لا ينازع أحد منه أحد، وإن كانوا بيوتا مختلفة، لكل بيت دوره ووجهته ، كما كان من الطبيعي أن ينظر آل البيت بعين الرضا لكل تنظيم يدعو إلي آل محمد

(صلي الله عليه واله وسلم).

ولم تكن دولة بني العباس مجرد انتقال الخلافة من الأمويين إليهم ، ولم يكن حلولهم محل الأمويين مجرد تغيير الأسرة الحاكمة ، بل إنها كانت ثورة في تاريخ الإسلام، ثورة دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية بالإضافة إلي أنها كانت ثورة انتقامية أي إنها انتقام نهائي من الأمويين أجراه العباسيون.

وقد نجح العباسيون بفضل شعاراتهم التي بثها دعواتهم ، والتي تركزت في الدعوة إلي الإصلاح، وهي الدعوة إلي الكتاب والسنة ، وهي صيحة الأجيال علي اختلاف مذاهبهم وأجناسهم . فقد كانت هناك أحداثا تركت في النفوس آثارا مريرة ، من سفك دماء أهل البيت، وحصار الكعبة وضربها، وانتهاك حرمة المدينة يوم الحرة، وسياسة الجبر والقهر والاستبداد، واضطهاد المعارضة، والابتعاد عن سيرة السلف الصالح، وحب اللهو والترف وكثرة مظاهره . وكثرة المذاهب وتصارعها، وظهور أقوال كثيرة غير مألوفة من قبل، والاعتماد علي العصبية في الحكم. فلم يكن غريبا بعد كل هذا أن ينضوي تحت لواء «أبي مسلم» وتبايعه جهات كثيرة ومتعددة ، فقد جاءته الوفود من مدن خراسان كلها ومن القرى الصغيرة، ومن أهل الثغور من كرمان وكابل وخوارزم وجرجان والديلم وأهل ما وراء النهر وأهل طخارستان ، بل إن العرب آمنت به فدخلت قبائل عربية مثل خزاعة وطيء وبكر وتغلب وتميم (1) .

ص: 286

1- الطبري : ج 9، ص 88.

فالذين اشتركوا في الثورة العباسية ، جميع العناصر الساخطة علي الأمويين والأرستقراطية العربية ، وهم بنو هاشم من علويين وعباسيين ، وجمهرة المسلمين الذين كانوا يعتبرون الأمويين مغتصبين للخلافة، وطبقات الموالي.

ومن المصادفات الغريبة أن ينتفع «أبو مسلم» من أمور أسسها الأمويين وشجعوا عليها . فقد انتفع من العصبية القبلية التي سادت تلك الجهات وتأججت نارها. فقد انحاز بجانبه في حربه الفاصلة بخراسان ضد الوالي «نصر بن سيار» ولد «الكرماني» الذي غدر به نصر وقتله غدرا ، فتحالف أصحاب الكرماني مع «أبي مسلم» وتمكنوا من الاستيلاء علي «مرو» حيث هرب «نصر» تاركا أهله. والقبائل اليمينية هي التي ساندته في موقفه ومكنته من هذا الانتصار الكبير .

وفي الكوفة ، عندما تمكن «قحطبة بن شبيب الطائي» أحد زعماء الدعوة لأبي مسلم وقائده الحربي، من الانتصار علي جيش «ابن هبيرة» الوالي الأموي في العراق، فرح أهل الكوفة لما وصلهم الخبر وثاروا علي واليهم ورفعوا الألوية السوداء بزعامه محمد بن خالد بن عبدالله القسري» وهو ابن الوالي السابق في العراق ، انتقاما لأبيه الذي عزله «هشام».

وبعد استيلاء «أبي مسلم» علي خراسان ومعظم الأمصار الإسلامية ، جرت معركة «الزاب» الفاصلة بين الأمويين والعباسيين عام 131 هـ التي حسمت الموقف لصالح بني العباس ، لم يترددوا لحظة في أخذ ثأر بني عمهم الحسين وآله (عليه السلام) وأتباعهم وأشياهم ومن كان علي موقفهم، فهم لم يخرجوا علي بني أمية لينزعوا الخلافة منهم فحسب، بل إنهم قتلوهم شر قتله ، حتي إنه لم ينج منهم إلا رضيع أو هارب ، بل لم ينج الأموات منهم . فقد أخرج (أبو العباس السفاح : عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن

عباس) بني أمية من القبور وحرقتهم وذراهم في الهواء، فنبش قبر معاوية ويزيد وعبد الملك وهشام بن عبد الملك، وضربهم وصلبهم فحرقهم. ولما أحضر إليه برأس «مروان» قال :

(الحمد لله الذي لم يبق ثأرنا قبلك وقبل رهطك . الحمد لله الذي أظفرنا بك وأظهرنا عليك . ما أبالي متي طرقتني الموت، وقد قتلت بالحسين (عليه السلام) ألفا من بني أمية وأحرقت شلو هشام بابن عمي «زيد بن علي» كما أحرقوا شلوه . أما مروان فقتلناه بأخي إبراهيم . وقتلنا سائر بني أمية بحسين (عليه السلام) ومن قتل معه وبعده من بني عمنا أبي طالب(1).

وعندما استولي (عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس) علي عسكر «مروان بن محمد» قتل من أصحابه خلقا عظيما، ثم قتله مع خواصه وبطانته كلها . واستصفي أموالهم وكذلك فعل ولاته. حينما كان «بنهر أبي فطرس» بالأردن، أخذ يصلبهم منكسين ويسقيهم النورة والصبر والرمد والخل ويقطع الأيدي والأرجل، وقتل تسعين من بني أمية وأكل الطعام علي جثتهم قبل أن يموتوا حتي كان يسمع أنينهم . فقد أمر بضربهم بالعمد حتي ألقتوا علي الأرض وكان ذلك وقت حضور الطعام فأمر أن تبسط عليهم الأنطاع ويمد عليهم الخوان، وأكل الناس وهم يسمعون أنينهم حتي ماتوا جوعا.

وكذلك فعل أخوه «داود بن علي» بالحجاز مثله، فكان يمثل بهم، يسمل العيون، ويقر البطون، ويجدع الأنوف، ويصطمم الأذان.

كما أن «سليمان بن علي» بالبصرة كان يضرب الأعناق ، وقتل منهم جماعة وألقاهم في الطريق فأكلتهم الكلاب (2).

ص: 288

1- أحمد القلقشندي : ج 1، ص 167 - ابن أبي الحديد: الشرح: ج 7، ص 121 - الطبري: ج 9، ص 120.

2- ابن أبي الحديد: الشرح ج 7، ص 156 - القلقشندي : ج 1، ص 167 - ابن الأثير : ج 5، ص 430.

وعندما قتل «مروان» ببوصير في مصر، قال الحسن بن قحطبة: أخرجوا إلي إحدى بنات مروان ، فأخرجوها إليه وهي ترتعد، قال : لا بأس عليك ، قالت : وأي بأس أعظم من إخراجك إياي حاسرة ولم أر رجلا قبلك قط. فأجلسها ووضع رأس مروان في حجرها، فصرخت واضطربت . فقيل له : ما أردت بهذا ؟ فقال : فعلت بهم فعلتهم ب «زيد بن علي» لما قتلوه جعلوا رأسه في حجر «زينب بنت علي بن الحسين (عليه السلام)» (1).

وقد رضي من نجا من الأمويين ومن أولاد «مروان» أن يعيشوا سوقة بعد أن كانوا ملوكا ، فتقلوا هم ومواليهم في البلاد مستترين، وهربوا إلي الأراضي النائية وساروا فيها متخفين . فبعد مقتل «مروان» هرب ابنه «عبدالله وعبيد الله» إلي الحبيشة ، حيث قاتلهم الأحباش فقتل عبدالله ونجا عبدالله عام 132 هـ (2)، وقد غشي «عبدالله بن مروان» بلاد النوبة وسأله ملكها عن سبب زوال عزمهم وملكهم ، فقال كلاما لم يعجب الملك الذي رد عليه :

(ما الأمر كما ذكرت. ولكنكم قوم استحللتم ما حرم الله عليكم، وركبتم ما عنه نهيتم، وظلمتم فيما ملكتم، فسلبكم الله العز، وألبسكم الذل. وإن له سبحانه فيكم لنقمة لم تبلغ غايتها بعد، وأنا خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم بأرضي فينالني معكم، والضيافة ثلاث، فاطلبوا ما احتجتم إليه وارتحلوا عن أرضي) (3).

ص: 289

1- ابن أبي الحديد: نفس المرجع السابق ، ص 153.

2- ابن الأثير: ج 5، ص 427.

3- ابن أبي الحديد الشرح ج7، ص 163.

إشارة

ارتبك البيت الأموي نفسه بعد مصرع (الحسين - عليه السلام) وموت يزيد، فقامت عدة تمردات وثورات هنا وهناك، وطمع في الحكم ولاتهم وقادتهم وأنصارهم فتنازعوا فيما بينهم في تقسيم التركة واشغلوا عن مصالح الأمة بمصالحهم الخاصة .

وفيما يلي نقدم موجزا لتلك الحركات التي عمت الأقطار الإسلامية من أقصاها إلى أدناها، وحتى الشام نفسها وهي مركز الحكم والعصبية الأموية لم تسلم منها.

1- معاوية الثاني :

زهّد في الحكم وتنازل عن الخلافة وقال في أهله :

(يا ليت ما كان لي معاوية أبا ولا الخبيث يزيد) (1).

2- الضحاک بن قيس الفهري :

خرج في دمشق وبإيعه أهل الشام في محاولة للاستقلال عن دولة بني أمية ، وكان في طاعة «ابن الزبير» ويدعو سرا إلى نفسه. وبدأت الحرب بين

ص: 290

1- أحمد بن عبدالله القلقشندي : مرجع سابق : ج 1، ص 122 (انظر ص 213).

الأطراف كلامي، ثم الضرب في المسجد فالقتال. وكان يحارب «ابن قيس» في هذه الفترة «مروان بن الحكم» فتقابلا في وقعة «مرج راهط» سنة 65 هـ وقاتلا قتالا شديدا، وقتل يومئذ من أهل الشام مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قط من القبائل كلها، وقتل ثمانون من أشرف الشام (1).

3- النعمان بن بشير :

كان واليا علي «حمص» يخطب لابن الزبير «وماليا للضحاك بن قيس» ولما قتل الضحاك ، هرب من حمص فتبعه «خالد بن عدي الكلابي» وقتله وبعث برأسه إلي «مروان بن الحكم» (2).

4 - زفر بن الحارث الكلابي :

أمير قرقيسيا، وقف إلي جانب التوابين وأحسن إليهم ، وهو الذي نصح «سليمان بن صرد» زعيم التوابين بالخروج إلي «عين الوردة» لحرب أهل الشام سنة 65 هـ. خرج علي عبد الملك بن مروان وحاربه حتي أعطاه الأمان فاستقر الأمر بينهما. وكان «زفر» قد بايع ابن الزبير وبقي علي بيعته سنة 71 هـ.

5- عمرو بن سعيد بن أبي العاص الأشدق:

خرج علي «عبد الملك بن مروان» سنة 69 هـ. واستولي علي دمشق وغلب عليها وعلي خزائنها. حاربه «عبد الملك» ثم سالمه بعد أن أمنه، ولكنه غدر به فقتله في مجلسه الذي دعاه إليه لمجالسته .

وكان «عبد الملك» قد كتب له: (إنك لتطمع نفسك بالخلافة ولست لها بأهل) فرد عليه عمرو: (استدراج النعم إياك أفادك البغي، ورائحة الغدر

ص: 291

1- ابن الأثير : ج 4، ص 150 - الطبري ج 7، ص 36.

2- المسعودي : المروج، ج 30- ص 88.

أورثتك الغفلة (1). وبعد قتله رمي «عبد الملك» رأسه إلي أصحابه خارج القصر، فثار أخوه «يحيى بن سعيد» مع جماعته، عندئذ قام «عبد العزيز بن مروان» بإلقاء الأموال عليهم، فلما رأى الناس الأموال والرأس، انتهبوا الأموال وتفرقوا، إلا أن «عبد الملك» أمر بتلك الأموال فأخذت وردت إليه. «وعمر بن سعيد» يلتقي مع «عبد الملك بن مروان» في النسب إلي بني أمية، وأم «عمرو» تكون عممة عبد الملك. وقد هم عبد الملك بقتل يحيى أخيه، فنهاه «عبد العزيز بن مروان» بقوله:

(أترك قاتلا بني أمية في يوم واحد)؟، فحبس أبناء عمرو كلهم.

ومما ذكره «ابن الزبير» في غدر عبد الملك وقتله عمرو: (أن ابن الزرقاء قتل لطيم الشيطان).

وقال «ابن الحنفية» فيه: (يرفع له يوم القيامة لواء علي قدر غدرته) (2).

6- «سلم بن زياد»:

دعا إلي البيعة لنفسه في خراسان عام 65 هـ، واستمرت بيعته شهرين ثم نكثوها، فدخلها، «عبدالله بن خازم» وحارب فيها «المهلب بن أبي صفرة» الذي كان «سلم» قد استخلفه عليها، وقد تصدى: «أوس بن ثعلبة» زعيم «بكر بن وائل» لمحاربة «عبدالله بن خازم» لمدة تزيد علي العام انتصر فيه «ابن خازم» ومات «ثعلبة» إثر جراحه، وقتل يومئذ من «بكر» ثمانية آلاف. وقد استقل «عبدالله بن خازم» بعد ذلك لولايته في خراسان (3). وخرج أيام المختار علي الحكم الأموي. قتل في مرو علي يد جماعة عبد الملك بن مروان في سنة 72 هـ بعد أن مناهم إن هم قتلوا «ابن خازم». (1) (2) (3)

ص: 292

1- المسعودي: المروج ج 3، ص 102 - ابن عبد ربه: العقد الفريد ج 4، ص 409.

2- ابن الأثير: ج 4، ص 297 - الطبري: ج 7، ص 176.

3- الطبري: ج 7، ص 43، 45، 197.

7- يزيد بن المهلب بن أبي الصفرة :

خرج علي : «يزيد بن عبد الملك» في البصرة. وهو أحد رجالات بني أمية ، بعث بعماله إلي الأهواز وكرمان وفارس وخراسان. وكان يقول في قتاله أهل الشام : (إن جهاد أهل الشام أعظم ثوبا من جهاد الترك والديلم).

وقد ساعده إخوته في حروبه. كما حارب معه ابنا «إبراهيم بن الأشر» وهما : النعمان بن إبراهيم، ومالك بن إبراهيم . حيث إن عبد الملك كان قد قتل أباهم «إبراهيم» بجمع الحطب عليه وحرقه بالنار. وكان يصرخ في أعوانه مشجعا لهم في الحروب بقوله :

(ويحكم أتصدقون بني أمية يعملون بالكتاب والسنة وقد ضيعوا ذلك منذ كانوا؟ إنهم يخادعونكم ليكمروا بكم فلا يسبقوكم إليه. إنني لقيت بني مروان فما لقيت منهم أمكر ولا أبعد غدرا).

وقتل «يزيد بن المهلب» في سنة 102 هـ- ولكن الحروب استمرت بعد مقتله بين الجانبين من قبل إخوته حتي قتلوا عن آخرهم وكذلك أبناؤه . وبعثت برؤوسهم إلي «يزيد بن عبد الملك» الذي قتل الأسري منهم حتي الغلام الصغير . ويذكر المؤرخون أن آل المهلب كانوا قوما كراما (1).

8- وفي عام 106 هـ- جرت حروب طاحنة بين «مضر واليمانية» فيأرض بلخ بخراسان (2).

9- واضطربت دولة بني أمية في سنة 126 هـ- واستعر هياج الفتنة . فبعد قتل «الوليد بن يزيد بن عبد الملك» وحكم : «يزيد بن الوليد الناقص»، اضطربت البلاد، واشتعلت الفتن والثورات في عمان وحمص وفلسطين .

ص: 293

1- ابن الأثير : ج 5، ص 71 - القلقشندي : ج 1، ص 148 - الطبري: ج 8، ص 159.

2- ابن الأثير : ج 5، ص 127 - الطبري ج 8، ص 184.

فقد قاتل «منصور بن جمهور» الوالي: «يوسف بن عمر» وأبعده عن العراق . واستولي «نصر بن سيار» علي خراسان .

وقامت الحرب بين أهل اليمامة وعاملهم الذي طردوه . وكثر القتل بين القبائل للثأر فيما كان بينهم في الماضي.

وتولي «عبدالله بن عمر بن عبد العزيز العراق بدلا من منصور بن جمهور» حيث شب القتال بين أهل الشام والعراق هناك .

ودب الخلاف بين «نصر بن سيار» «والكرماني» في خراسان ، ودارت الحرب بين النزارية واليمانية (1) ومات «نصر» في جو الهزيمة القاتم ذاق فيه الفشل مرة بعد مرة دون أن يكسب معركة من المعارك وذاق مرارة الهرب والترمل والشكل، فقد وقعت امرأته في يد أعدائه ، وقتل ابنه ، وذلك أثناء حروبه مع «أبي مسلم الخراساني» (2).

10 - عبد الرحمن بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع :

استولي علي إفريقية بعد حروب طاحنة ، حتي نهاية الدولة الأموية ، فقام يخطب للعباسيين ، وكانت مدة إمارته هناك عشر سنين (3).

11 - مروان بن محمد:

أظهر الخلاف مع «يزيد بن الوليد» وانصرف إلي الجزيرة طالبا بدم «الوليد بن يزيد» ثم بايعه.

ولكنه خالف «إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك» الخليفة في الشام الذي خلعه «مروان» وحاربه ، في معارك عين الجر، وقد كان «مروان» أميرا

ص: 294

1- ابن الأثير : ج 5، ص 288 .

2- الطبري: ج 9، ص 88.

3- ابن الأثير : ج 5، ص 311.

في الحيرة في سنة 127 هـ، وهرب «إبراهيم» واختفي فدخل «مروان» دمشق وتمت له البيعة (1).

12 - أهل حمص

انتفاضة أهل حمص علي «مروان بن محمد» الذي قاتلهم وصلب خمسمائة من القتلي حول المدينة سنة 127 هـ - (2).

13 - يزيد بن خالد القسري :

قام أهل الغوطة بزعامته بحصار دمشق سنة 127 هـ. واستطاع «مروان» من قتله، واستباح عسكره وأحرق القرى اليمانية.

فخرج أهل فلسطين والأردن، علي مروان، وقتلوا عامله، ولكن «مروان» تمكن من هزيمتهم وقتلهم واستباحة عسكرهم (3).

14 - سليمان بن هشام بن عبد الملك .

كان في السجن بعمان، وكان يلعن «الوليد» ويعيبه بالكفر. ثم خرج علي «مروان» في سنة 127 هـ. واجتمع له سبعين ألفا من أهل الشام، فاشتد بينهم القتال في «فنسرين» وانهزم «سليمان» فقامت خيل مروان تقتل وتأسر وتستبيح العسكر. وكان عدد القتلي ثلاثون ألفا.

وتجددت الحروب في حمص، وجري القتل أيضا، فهرب «سليمان» إلي تدمر ثم سار إلي العراق (4).

15 - محمد بن خالد بن عبدالله القسري :

خرج بالكوفة ليلة عاشوراء مسودا، ودخل الكوفة وأصبح من أنصار

ص: 295

1- ابن الأثير : ج 5، ص 321.

2- الطبري : ج 9، ص 23

3- ابن الأثير : ج 5، 338 - الطبري: ج 9 ص 63.

العباسيين فأصبح أميراً عليها من قبلهم عام 132 هـ.

وكانت الدول والمدن الإسلامية قد بدأت قبل هذا العام تدخل تباعاً تحت حكم أبي مسلم الخراساني (1).

ص: 296

1- ابن الأثير: ج 5، ص 404 - الطبري ج 9، ص 120.

إشارة

بالرغم من أن الخوارج خانوا الإمام (علي) في معركة صفين ، بعد أن كانوا فئة جيدة في صفوفه ، وعنصرا محاربا شديدا في جيشه، وبالرغم من أنهم تسببوا في وقف الحرب والمعركة الفاصلة ضد معاوية ، وبالرغم من أنهم قبلوا التحكيم المزور بعد أن رفضه الإمام (عليه السلام) وأوضح لهم تزويره وخدعته فأجبروه علي القبول، وبالرغم أيضا من أنهم رفضوا بعد ذلك التحكيم كلية وموقف «علي» ونددوا به لقبوله التحكيم، وبالرغم كذلك ، من أنهم فرضوا علي الإمام شخصا ينوب عنهم في مؤتمر التحكيم لم يكن علي (عليه السلام) راضيا عنه وغير مرغوب لديه ، وبالرغم من أنهم حاربوا عليا (عليه السلام) بعد ذلك وحار بهم وقضي علي الآلاف منهم في معارك متواصلة، وبالرغم من أنهم أنهوا حياة الإمام (عليه السلام) بقتله ، وبالرغم من كل ذلك نجد أن الإمام (عليه السلام) يقول عنهم وهو علي فراش الموت :

(لا تقتلوا الخوارج بعدي ، فليس من طلب الحق فأخطأه ، كمن طلب الباطل فأصابه). حيث إن عليا (عليه السلام) حار بهم لأنهم تمردوا علي حكم يتجاوب مع مصالح الشعب العليا انسياقا مع أفكار خاطئة ، ولكن هذا لن يغير موقفهم من الحكم الأموي الذي كانوا يرونه حكما بغير حق . فأصبح الخوارج شوكة في جنب الحكم الأموي، وأثرت ثوراتهم المتكررة في

ضعف الدولة الأموية وإنهاكها اقتصاديا وسياسيا ثم انحلالها فسقوطها في النهاية ، فحينما كان عهد «مروان بن محمد» آخر خلفائهم، كان قد أتعب الجيش في قتالهم، حتى إذا تلاقت الجيوش الأموية بجيوش أبي مسلم الخراساني دارت الدائرة علي «مروان» فغابت شمس الدولة الأموية.

ونحن سنتتبع أعمالهم وثوراتهم منذ عصر «يزيد بن معاوية» وبعده ، ولا يعني ذلك أنهم ابتدأوا عملياتهم في هذا الوقت بل إنهم قاموا ونهضوا منذ أيام معاوية ، إلا أن حركاتهم اشتدت منذ «يزيد» إلي نهاية الدولة الأموية .

ومن أشهر الشخصيات التي خرجت من الخوارج وجاهدت الأمويين :

1- مرداس أبو بلال :

كان قد شهد صفين مع الإمام علي (عليه السلام) وأنكر التحكيم، وشهد النهروان ولكنه نجا. قبض عليه «ابن زياد» وحبسه ، ولكنه خرج من حبسه فعزم علي الخروج وقال لأصحابه : «والله ما يسعنا المقام مع هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم مجانين للعدل مفارقين للفصل، والله إن الصبر علي هذا لعظيم».

وفي أثناء طريقه لقيه : «عبدالله بن رباح الأنصاري» وهو صديقه فسأله أين يريد؟ فقال : «أريد ن أهرب بديني ودين أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة». وعندما وصل «الأهواز» قابل بعضهم يحمل مالا إلي «ابن زياد» فحط ذلك المال وأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه وترك ما بقي وقال : (قولوا لصاحبكم أننا أخذنا أعطياتنا) فقال له أصحابه : لماذا تترك الباقي؟ قال : إنهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلوهم ما داموا علي الصلاة.

وقد تمكن جيش «مرداس» البالغ أربعين نفرا من هزيمة جيش «ابن

زياد» البالغ ألفين من المحاربين ، والقضاء عليه . وقد احتدم القتال في يوم الجمعة فأصبح وقت الصلاة فطلب منهم «مرداس» الموادعة للصلاة فوادعوههم. ولكن لما دخلوا في الصلاة شدوا عليهم فقتلوهم عن آخرهم وهم بين راعع وساجد وقائم وقاعد في الصلاة (1). وكان خروجه في 59 هـ - وقتل في سنة 61 هـ.

2- نجدة بن عامر الحنفي :

خرج باليمامة والبحرين، حين قتل الحسين (عليه السلام) في سنة 62 هـ.

هزم جيش «مصعب بن الزبير» القادم من البصرة، فاستولي علي عمان والقطيف وقاتل بني تميم في كاظمة . ثم أخذ صنعاء وحضر موت وجبي صدقات أهلها وسيطر علي نجران . وقد حج في سنة 69 هـ - فصالح «ابن الزبير» الذي ساعده «نجده» في حصار الأمويين للكعبة .

وقد بايعه بالطائف: «عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي» الذي هدده الحجاج : يا ذا الوجهين بايعت نجدة ؟ فقال : أي والله وذو عشرة أوجه، أعطيت نجدة الرضا ودفعته عن بلدي وقومي . وكان «عبد الملك بن مروان» قد كتب إلي «نجده» يدعوه إلي طاعته ، علي أن يوليهِ اليمامة ، ويهدر له ما أصاب من الأموال والدماء .

قتله أحد زعماء الخوارج هو: «أبو فديك» (2).

3- نافع بن الأزرق :

وهو زعيم الخوارج الأزارقة، استغل الفوضى في البصرة من جراء الحروب والفتن بين القبائل العربية . قتل في سنة 65 هـ في البصرة .

ص: 299

1- ابن الأثير : ج 4، ص 201 - ابن عبد ربه : ج 1، ص 218 / الطبري : ج 6، ص 271 .

2- ابن الأثير: ج 4، ص 205.

4- عبدالله بن الماحوز :

أصبح أميراً للأزارقة بعد «نافع». قاتله المهلب بن أبي صفرة في البصرة والأهواز مع جماعة الخوارج قتالاً شديداً فهزموا في سنة 66 هـ، وقتل في الأهواز (1).

5 - قطري بن الفجاءة المازني :

أصبحت له الرئاسة علي الأزارقة. قاتل «المهلب» أشد قتال في الأهواز لمدة ثمانية أشهر «واشترك معه في حروبه» «أبو فديك». وقتل «قطري» في سنة 77 هـ، وأخذ رأسه إلي عبد الملك بن مروان . وقد خلع بعض الأزارقة «قطريا» و بايعوا : «عبد ربه الكبير» الذي قضى عليه المهلب بن أبي صفرة (سنة 77 هـ) (2).

6- عمير بن الحباب بن جعدة السلمي :

خرج في سنة 70 هـ.

وكان في جيش «عبيدالله بن زياد» في حرب المختار الثقفي، وتمكن من التأثير علي «ابن زياد» علي أن يوجه سير الجيش إلي نهر الخازر لحرب «الأشتر» ، ولكنه خرج منه إلي «الأشتر» الذي تمكن من هزيمة الجيش الأموي وقتل «عبيدالله بن زياد» .

ثم اجتمع مع «زفر بن الحارث الكلابي» في قرقيسيا محاربين «عبد الملك بن مروان» فترة طويلة، فقد كان «عمير» علي رأس قيس، وحارب تغلب حرباً وقتالاً شديداً، وهي حروب القبائل العربية علي الأسلوب التقليدي الجاهلي، «الأيام» ومنها:

ص: 300

1- ابن الأثير : ج 4، ص 287 / الطبري : ج 7، ص 86، ص 194.

2- ابن الأثير: ج 4، ص 340.

(يوم الثرثار الأول والثاني ، ويوم الفدين، ويوم السكير ويوم البليخ، والحشاك ، وفي هذا اليوم الأخير غلبت تغلب وهزمت قيس فقتل عمير وبعث برأسه إلي عبد الملك بدمشق فأعطي الوفد وكساهم) (1).

7- أبو فديك :

غلب علي البحرين، وقتل نجدة بن عامر الحنفي، بعث عبد الملك بن مروان جيشه من البصرة والكوفة لقتاله في البحرين سنة 73 هـ- فقتله، بعد قتال عنيف (2).

8- عبدالله بن الجارود :

أراد «الحجاج بن يوسف» أن ينقص من عطاء أهل البصرة عما كان مقررا لهم من قبل «ابن الزبير» فلم يقبل «ابن الجارود» وثار محتجا علي سياسة الحجاج . وكان خروجه في البصرة في سنة 75 أو 76 هـ ولم يكن مع الحجاج إلا خاصته وأهل بيته ، وانضم الجميع إلي «ابن الجارود» الذي تمكن مع رجاله من نهب معسكر الحجاج . وقد قتل «ابن الجارود» بعد معركة عنيفة ، ونصب الحجاج رأسه ورأس عشرة من أصحابه في محاولة لتخويف الخوارج. وقتل معه أيضا: «عبدالله بن أنس بن مالك الأنصاري». فما كان من الحجاج إلا أن أخذ يشتم «أنس بن مالك» فشكاه هذا إلي «عبد الملك» الذي بعث إلي الحجاج يشتمه ، فاعتذر إليه (3).

وقد حدثت ثورة «ابن الجارود» قبل ثورة (عبد الرحمن بن الأشعث) الذي ظهر بعد أن أخفق «ابن الجارود» في قيادة ثورة أهل العراق .

ص: 301

1- ابن الأثير : ج 4، ص 309-317.

2- الطبري : ج 7، ص 195 - ابن الأثير : ج 4، ص 340.

3- لطيبي : ج 7، ص 214 - ابن عبد ربه : ج 1، ص 58 - ابن الأثير: ج 4، ص 382.

9- رباح: ويلقب «شير زنجي» أي أسد الزنج .

فهو زعيم الزنج، خرج في البصرة عام 76 هـ، قاتلهم الحجاج فقتله .

10- «صالح بن مسرح التميمي»:

وهو أحد بني امرؤ القيس ، خرج في سنة 76 هـ .

كان رجلا ناسكا وصاحب عبادة ، يقرأ القرآن علي أصحابه ويعلم الفقه في أرض الموصل والجزيرة . فدعاهم إلي الخروج و إنكار الظلم وجهاد المخالفين لهم، فأجابته جماعة الخوارج الصفرية .

وقد بايعه :

11- «شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني الحروري»:

من بني شيبان .

سويد بن سليم الهندي ، من بني شيبان .

قال «شبيب» في اجتماعهم: (أخرج بنا رحمك الله ، فوالله ما تزداد السنة إلا دروسا ولا يزداد المجرمون إلا طغيانا) . وكان خروجهم في سنة 76 هـ بالعراق أيام «عبد الملك بن مروان» حاربوا «الحجاج» فقتل «صالح» وهرب «شبيب» إلي حصن، وبويع من أصحابه رئيسا. فهاجم جيش الحجاج وهزمه ، ثم سار إلي أرض الموصل نحو أذربيجان حتي أتى النهروان ، وهو يجول ويعبث ، فأرعب أهل المدائن وعبث بها وهرب جندها، ثم سار نحو الكوفة بعد أن هزم وقتل جمعا كبيرا من جيش الحجاج، واقتحم المسجد الأعظم وقتل بعضا من حرسه. ثم دارت معركة كبرى في الكوفة قتل فيها كثيرا من أمراء وقادة الجيش الأموي.

وقد سار في أثره : «عبد الرحمن بن الأشعث» عبر خانتقين وجلولاء

ص: 302

وسامراء فالموصل، فأتعب الجيش الذي لقي منه كل بلاء. وهزمت الجيوش كلها أمامه عام 77 هـ.

وكان أصحابه يبايعونه بعد قتل أي أمير من أمراء تلك الجيوش. وقد كتب الحجاج إلي «عبد الملك» يستمده ويعرفه عجز أهل الكوفة عن قتال «شيبيا» فبعث جيشا كبيرا من أهل الشام لملاقاته. ولكن «شيبيا» قتل منهم وأوقع بهم من الضرب والطعن ما لم يروا مثله عند جسر الأهواز، حتي سقط عن فرسه وغاص في الماء فقال: (ليقضي الله أمرا كان مفعولا) ولما انغمس في الماء قال: (ذلك تقدير العزيز العليم) فغرق. واستخرجوه بالشباك واجتز رأسه وبعث إلي الحجاج الذي قتل أمه وامرأته في سنة 78 هـ.

كان من أهداف «شيبيا» الذي تحرك من أجلها: (ندعو إلي كتاب الله وسنة رسوله (صلي الله عليه واله وسلم) وأن الذي نتمنا من قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية) (1).

12- «مطرف بن المغيرة بن شعبة»

وهو من الذين تابعوا شيبيا، فلما عرف مبدأه قال:

«ما دعوتكم إلا إلي حق، وما نقمتم إلا جورا ظاهرا، أنا لكم متابع فتابعوني علي ما أدعوكم إليه ليجتمع أمري وأمركم».

وقد ذكر «مطرف» لنصائحه ظلم «الحجاج وعبد الملك» وأنه يؤثر مناهضتهم:

«وإني أشهد الله أنني قد خلعت عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف، فمن أحب منكم صحبتي وكان علي مثل رأيي فليتابعني، ولست

ص: 303

1- ابن الأثير: ج 4، ص 388، 393 - الطبري: ج 7، ص 220 - اليعقوبي: ج 3، ص 20.

أحب أن يتبعني من ليست له نية في جهاد أهل الجور. أدعوكم إلي كتاب الله وسنة نبيه وإلي قتال الظلمة».

فكان من أهم أهدافه : الشوري بين المسلمين في الحكم، وخلع عبد الملك والحجاج. وخرج من المدائن في سنة 77 هـ إلي الجبال وسار إلي همدان وقم ، ثم جري قتال شديد بين الطرفين انتهى إلي قتله وحمل رأسه إلي الحجاج (1).

13 - شريح بن هانيء :

كان من أصحاب الإمام علي (عليه السلام) خرج بالكوفة سنة 79 هـ ضد الوالي : عبيدالله بن أبي بكره وكان «شريح» ينادي في الحرب : (يا أهل الإسلام تعاونوا علي عدوكم).

قتل «شريح» بعد اقتتال شديد (2).

14 - شوذب : واسمه : بسطام من بني يشكر :

خرج في عام 100 هـ في عهد الخليفة : عمر بن عبد العزيز، الذي ناظره فذكر له بسطام ظلم أهله وجورهم، ولما رأي «بسطام» من عدله وأنه أخذ من أهله ما بأيديهم. وسمي ذلك مظالم ، تركه وهدأ .

ولكنه نشط بعد موت «عمر بن عبد العزيز» وقاتل أهل الكوفة وقتل كثيرا منهم وهزم الجيش الأموي، ثم قتل بعد تلك المعارك العنيفة عام 101 هـ- (3).

ص: 304

1- ابن الأثير : ج 4، ص 434 - الطبري : ج 7، ص 260 - 262.

2- ابن الأثير : ج 4، ص 451.

3- ابن الأثير : ج 5، ص 45 - الطبري ج 8، ص 143.

وهو من الخوارج الصفرية، خرج في المغرب الأقصى في سنة 117 هـ.

فاستولي علي طنجة وبويع بالخلافة من قبل جماعته البربر وخطب بأمير المؤمنين .

حارب والي «هشام بن عبد الملك» وقاتله قتالا لم يسمع بمثله ، وقتل العرب جميعا، حماة العرب وفرسانها في «غزوة الأشراف» فانتفضت البلاد وخرج أمر الناس وبلغ أهل الأندلس الخبر فثاروا بأميرهم الوالي الأموي وعزلوه وولوا أحدهم. وبلغ الخبر «هشام» فقال :

(لأغضين للعرب غضبة وأسير جيشنا يكون أولهم عندهم آخرهم عندي) (1).

ولكن البربر تمكنوا من قتلهم فرجعوا إلي القيروان، فضعف بعد ذلك أمر العرب فظهر:

16- عكاشة بن أيوب الفزاري :

بمدينة «قابس» علي رأس الخوارج الصفرية ونزلوا القيروان . واجتمع الفريقان بمكان يعرف بالأصنام. وكان البربر في ثلاثمائة ألف مقاتل انهزموا هذه المرة وقتل زعيمهم «عكاشة». وكانت عدة القتلي كما قيل (180) ألف. وقيل في هذه المغازي:

(ما غزوة إلي الآن أشد بعد غزوة بدر من غزوة العرب بالأصنام).

ص: 305

17- بهلول بن بشر، الملقب - كثارة :

وهو من شيبان في الموصل. خرج علي الوالي الأموي: «خالد بن عبدالله القسري» الذي اتهم بأنه كان يهدم المساجد ويبيعي البيع والكنائس ويولي المجوس علي المسلمين. وينكح أهل الذمة المسلمات. فقد كان الإسلام ذليلاً في عهده والحكم فيه إلي أهل الذمة، حيث كانت أمه نصرانية رومية ولم تسلم. وبنى لها «خالد» بيعة فذمه الناس والشعراء. وقد أمر بهدم منار المساجد وكان يقول: «لعن الله دينهم إن كان شراً من دينكم».

وكان يقول أيضاً: «أن خليفة الرجل في أهله أفضل من رسوله في حاجته» يعني أن الخليفة «هشام» أفضل من الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) - نبراً إلي الله من هذه المقالة -.

وقال فيه الفرزدق :

فكيف يؤم الناس من كانت أمه *** تدين بأن الله ليس بواحد .

بنى بيعة في النصاري لأمه *** ويهدم من كفر منار المساجد

ولذا، رأي «بهلول» الخلاص منه فقال: «لعلنا نقتله فيريح الله منه».

وقعت الحرب في الكوفة وهزم «خالد» وأهل الشام. ثم جرت معارك دون الموصل فقتل «بهلول» وكثيراً من أصحابه في سنة 119 هـ.

ثم عزل «خالد» من العراق وتولاه «يوسف بن عمر» الذي عذب «خالداً» بأمر «الوليد بن يزيد» حتي قتله سنة 126 هـ - (1).

ص: 306

18 - أبو حمزة الخارجي :

واسمه : المختار بن عوف الأزدي السلمي البصري :

وهو من الخوارج الإباضية ، وخرج في سنة 128 هـ يدعو الناس في مكة للخروج علي « مروان بن محمد و آل مروان » .وقد بايعه بالخلافة :

19 - عبدالله بن يحيى :

المعروف «بطالب الحق» . فخرج إلي حضرموت، ودارت معركة «قديد» بين أهل المدينة وبين أبي حمزة فقتل كثير من قريش .

وخطب «أبو حمزة» في أهل المدينة مبينا أهدافه من خروجه :

(يا أهل المدينة ، الناس منا ونحن منهم إلا مشركا عابد وثن، أو مشرك أهل الكتاب ، أو إماما جائرا .

لم نخرج أشرا ولا- بطرا ولا- عبثا، ولا لدولة ملك ، ولا لثأر قديم ، وإنما رأينا أن : مصاييح الحق عطلت، وأن القضاء علي قائل الحق أمر عادي ، ويقتل العادل . فنحن ضد طاعة الشيطان وحكم بني مروان).

وقد أحسن السيرة مع أهل المدينة في سنة 129 هـ، فساروا إلي «مروان - بالشام فاقتتلوا وقتل أبو حمزة (1). ثم حاربوا «طالب الحق» فقتل كذلك .

20 - الضحاك بن قيس الشيباني :

خرج بالكوفة مع الخوارج في سنة 127 هـ، وبايعه كل من : عبدالله بن عمر بن عبد العزيز، وسليمان بن هشام بن عبد الملك ،

ص: 307

ومنصور بن جمهور، فاستولي علي الموصل ولكن «مروان بن محمد» قتله بعد حروب طاحنة بينهما في سنة 128 ، أو سنة 129 هـ (1).

21 - شيان بن سلمة الجروري الخارجي: (شيان بن عبد العزيز الشكري:

خرج بالموصل في سنة 129، وجرت حروب طويلة متواصلة بينه وبين «مروان بن محمد» وقتله «أبو مسلم الخراساني» بعد ذلك (2).

22 - «الحارث بن سريج»:

اشتهر الحارث في الحروب التي جرت بين المسلمين والأتراك في بلاد ما وراء النهر، وهو من «تميم»، وكان مع الجيش الأموي يحارب في صفوفه الأتراك، ولكنه غير خطته في عهد الوالي (الجنيد بن عبد الرحمن) وتمكن من تحريض الموالي ووعدهم بالعمل علي إسقاط الجزية عنهم وإشراكهم في الأعطيات الخاصة بالمحاربين والمقاتلين المسلمين في سنة 111 هـ.

وقد اشترك معه في ثورته علي الحكومة الأموية، الكثير من العرب، من تميم والأزد والدهاقين وأهل القري فتمكن من السيطرة علي: بلخ والجوزجان، والطالقان، ومرو الروذ، ثم تقدم إلي «مرو» حاضرة خراسان، فاندلعت الحروب بينه وبين «عاصم بن عبدالله» الوالي الجديد لخراسان، ولكن «الحارث» انهزم في هذه المعارك.

وعندما تولي أسد بن عبدالله القسري ولاية خراسان في سنة 117 هـ حاربه «الحارث» الذي انصرف إلي «طخارستان» وانضم إلي «خاقان» صاحب الترك. ولكن «أسد» سيطر علي الموقف بعد قتل «الخاقان»

ص: 308

1- ابن الأثير: ص 334 - الطبري: ج 9، ص 62.

2- ابن الأثير: ج 5، ص 353.

والانتصار عليه . ويعين «نصر بن سيار» واليا علي خراسان بعد موت «أسد» فخرج إلي ما وراء النهر محاربا الترك الذي حالفهم «الحارث» وقد خرج «الحارث» إلي «فاراب» وظل بها إلي عام 126 هـ .

وفي هذا الوقت كانت الثورات قد اشتدت علي الدولة الأموية ، وقوي ساعد «الحارث» وامتدت ثورته وكثر مناصريه ، فبعث إليه «نصر» وفدا يعرض عليه المصالحة ، كما بعث إليه الخليفة الأموي «يزيد بن الوليد» أمانا : (فأقبل أمانا أنت ومن معك فإنكم إخواننا وأعواننا، وقد كتبت إلي «عبدالله بن عمر بن عبد العزيز» برد ما كان اصطفي من أموالكم وذراريكم).

فأقبل «الحارث» عندئذ إلي «مروم في سنة 127 هـ وأنزله «نصر» قصرا ورد إليه أمواله. وعرض عليه ولاية إحدى الولايات، ومنحه مائة ألف دينار، فلم يقبل وأرسل إليه قائلا: (إني لست من هذه الدنيا ولا من هذه اللذات، ولا من تزويج عقائل العرب في شيء، وإنما أسأل كتاب الله عز وجل والعمل بالسنة واستعمال أهل الخير والفضل ، فإن فعلت ساعدتك علي عدوك).

فبالرغم من هذه المنح والعطايا، فقد خالف «الحارث» نصرا ، وانضم إليه ناس كثيرون، وبعث إلي «نصر» يطلب منه عزل بعض عماله، فحقق له رغبته ، كما وافق علي تولية عاملين علي ثغري «سمرقند وطخارستان» اختارهما الحارث بنفسه .

ويحاول «نصر» مرة أخرى استمالاته فيعرض عليه ولاية ما وراء النهر، ولكنه رفض لأنه لم يكن يطمئن إليه (1).

ص: 309

1- جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية / ص 160- ابن الأثير: ج 5، ص 183 - الطبري: ج 8، ص 220.

وقد كان علي رأس الأزد، وقبض عليه «نصر بن سيار» ولكنه هرب في سنة 126 هـ وسار إلي «مرو» حيث اجتمع معه جيش من الأزد.

وكان يقول في خروجه مخاطبا نصر بن سيار : (إنما خرجت من هذه البلدة منذ ثلاث عشرة سنة إنكارا للجور وأنت تريدني عليه).

وقد تحالف «الكرماني» مع «الحارث بن سريج» وساعده في الاستيلاء علي «مرو» والغلبة عليها وإخراج الوالي «نصر» منها. ولكن الخلاف دب بينهما وتطور إلي انفصال «الحارث» عنه ثم إلي اشتباك الفريقين في قتال انتهى بهزيمة «الحارث» وأصحابه في سنة 128 هـ- ثم قتله .

وكان هذا الوقت هو زمن أحداث الثورة العباسية وبداية ظهورها، فانحاز «أبو مسلم الخراساني» إلي «الكرماني»، ولكن «نصرا» تمكن من قتل الكرماني وصلبه . كما أن «أبا مسلم» استطاع السيطرة علي خراسان ودخول «مرو» العاصمة، والقضاء علي قوة «نصر بن سيار» الذي هرب إلي «نيسابور» فمات في سنة 131 هـ- (1).

وقد بايعت القبائل العربية والجنود «أبا مسلم» علي (كتاب الله وسنة رسوله (صلي الله عليه واله وسلم) والطاعة للرضا من أهل البيت، وعليكم بذلك عهد الله وميثاقه).

ص: 310

وهكذا انتهت الدولة التي أراد لها مؤسسها أن تبقى طويلة المدد . انتهت لأسباب وعوامل كثيرة ، أهمها ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) التي كانت في الحقيقة الدافع الأول والسبب الأساسي لتلك النهاية .

فما دامت طبيعة نظام الأمة قد تغيرت ، فقد استتبع ذلك أن تغيرت كل التفاصيل تبعاً لذلك .

فالخليفة لم يعد في حقيقة الأمر والواقع خليفة رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) بل أصبح ملكاً .

والأمة لم تعد جماعة متعاونة مع هيئة الحكم لرفع شأنها وتوسيع نطاقها عن طريق الفتوح ونشر الإسلام ، بل أصبحت رعية لا رأي لها . والمقاتلون لم يعودوا مجاهدين في سبيل الله ، بل أصبحوا جنوداً للدولة مأجورين فيها لتحقيق أهدافها وخدمة رجالها .

والأموال لم تعد تقتصر على ما يرضاه الشرع ، بل أصبحت جبايات مفروضة من الخليفة ورجال دولته تستخدم لصالحهم .

والجنود أصبحوا مأجورين من بيت مال الخليفة ، لا من بيت مال المسلمين .

إن مراعاة المصلحة العامة أمر ضروري وجوهري . فالذين لا يعرفون هذه الحقيقة أو يتجاهلون لها ، هم واهمون ، لأن تغليب روح العشيرة ومصالحها الجزئية على روح الأمة ومصالحها الحيوية العامة يؤدي إلى تدمير الأمة ككل (1) .

ص: 311

1- عبد الجبار منسي العبيدي : «قراءة جديدة في أسباب سقوط الدولة الأموية» (عالم الفكر المجلد - 15) / ص 291 .

المراجع والمصادر

- 1- الأزرقى : أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد:
أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (مكة المكرمة - مطابع دار الثقافة - ط (4، 1983)
- 2- الأمين : عبد الحسين أحمد النجفي.
الغدِير . (طهران - مطبعة الحيدري - ط 2 سنة 1372 هـ)
- 3- إبراهيم بيضون :
شخصيات شيعية : سليمان بن صرد الخزاعي . (بيروت - دار التراث الإسلامي سنة 1974
- 4- ابن أبي الحديد: عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المدائني:
شرح نهج البلاغة . (القاهرة - دار إحياء الكتب العربية سنة 1959).
- 5- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني :
الكامل في التاريخ. (بيروت - دار صادر سنة 1979).
- 6- ابن تيمية : شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم :
السياسة الشرعية . (القاهرة - دار الكتاب العربي سنة 1951)

7- ابن حجر: الحافظ أحمد بن علي العسقلاني :

المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية . (الكويت - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - التراث الإسلامي - ح 4، ط 1، سنة 1972)

8- ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد:

الفصل في الملل والأهواء والنحل . (القاهرة - المطبعة الأدبية سنة 1317هـ).

9 - ابن حنبل : الإمام أحمد:

المسند . (بيروت - دار صادر للنشر بدون تاريخ).

10 - ابن سعد: أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع القرش الهاشمي :

الطبقات الكبرى . (بيروت - دار بيروت سنة 1957)

11- ابن الطقطقي : محمد بن علي:

الفخري في الأدب السلطانية والدول الإسلامية . (القاهرة - مكتبة المعارف سنة 1938).

12- ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد:

الاستيعاب في معرفة الأصحاب . (القاهرة - مكتبة نهضة مصر - بدون تاريخ).

13 - ابن عبد ربه الأندلسي: أبو عمر أحمد بن محمد:

العقد الفريد . (القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1965).

14 - ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين :

تاريخ دمشق . (بيروت - مؤسسة المحمودي للنشر ط 1، سنة 1978).

15 - ابن الفقيه : أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني:

مختصر كتاب البلدان (طبعة ليدن سنة 1302هـ).

- 16 - ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبدالله بن مسلم :
الإمامة والسياسة. (بيروت - مؤسسة الوفاء - ط 3، سنة 1981).
- 17 - ابن قدامة : أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد:
المغني والشرح الكبير (المدينة المنورة - المكتبة السلفية - بدون تاريخ).
- 18 - ابن كثير : الحافظ عماد الدين أبي الوفاء :
البداية والنهاية . (بيروت - مكتبة المعارف - ط 3، سنة 1979).
- 19 - ابن ماجة : أبو عبدالله محمد بن يزيد:
السنن . (القاهرة - دار إحياء الكتب العربية سنة 1952).
- 20 - ابن هشام: أبو محمد عبد الملك :
سيرة النبي (صلي الله عليه واله وسلم)، (القاهرة - «كتاب التحرير» - دار التحرير للنشر سنة 1383 م).
- 21 - ابن واضح: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب :
تاريخ اليعقوبي، (النجف - المكتبة الحيدرية سنة 1964).
- 22 - أبو داود : الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث الجستاني الأزدي :
السنن ، (القاهرة - دار إحياء السنة النبوية)
- 23 - أبو زيد شلبي:
تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، (القاهرة - مكتبة وهبة - ط 2، سنة 1964).
- 24 - أبو الفرج الأصفهاني : علي بن الحسين الأموي:
مقاتل الطالبين ، (بيروت - دار المعرفة - بدون تاريخ).
- 20 - أحمد بهجت:
الله في العقيدة الإسلامية ، (القاهرة - المختار الإسلامي للطباعة

والنشر - بدون تاريخ).

26 - أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي - 2 - الدولة الأموية، (القاهرة - النهضة المصرية - ط 6، 1982).

27 - أحمد عادل كمال :

الطريق إلي المدائن، (بيروت - دار النفائس - ط 3، سنة 1977).

28 - إسماعيل أحمد إسماعيل :

المسجد النبوي الشريف ومزارات أهل البيت، (القاهرة - دار الشعب سنة 1974).

29 - باقر القرش:

حياة الحسين، (العراق - النجف الأشرف).

30 - البلاذري: أحمد بن يحيى:

أنساب الأشراف، (القاهرة - دار المعارف سنة 1960).

31- البيضاوي: عبدالله بن عمر:

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (جدة سنة 1305 هـ).

32 - البيهقي: إبراهيم بن محمد:

المحاسن والمساوي، (القاهرة - نهضة مصر سنة 1961).

33 - الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة:

السنن، (حمص - مطابع الفجر الحديثة سنة 1967).

34- جعفر الخليلي:

موسوعة العتبات المقدسة، (بغداد - دار التعارف 1966).

30- جرجي زيدان :

العرب قبل الإسلام، (بيروت - دار مكتبة الحياة سنة 1966).

36- حسن إبراهيم حسن :

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (القاهرة - النهضة المصرية - ح 1 - ط 9، سنة 1979).

37 - حسن الأمين :

«ثورة الأحرار علي الحجاج»، مجلة العرفان، (بيروت - م 58، العدد الأول - مايو سنة 1970).

38 - الحموي: ياقوت الرومي البغدادي :

معجم البلدان، (بيروت - سنة 1955).

39 - خالد محمد خالد:

أبناء الرسول في كربلاء، (القاهرة - دار ثابت للنشر والتوزيع . ط 3، سنة 1981).

40 - الخوئي : أبو القاسم الموسوي الإمام:

البيان في تفسير القرآن، (بيروت - مؤسسة الأعلمي - ط 3، سنة 1974).

41 - الدميري : كمال الدين محمد بن موسى :

حياة الحيوان الكبرى - كتاب التحرير، (القاهرة - دار التحرير للطبع والنشر سنة 1990).

92 - الرازي : فخر الدين محمد بن عمر:

- مفاتيح الغيب، (القاهرة - سنة 1307 هـ).

- التفسير الكبير، (القاهرة - الطبعة الأزهرية - بدون تاريخ).

43 - الزمخشري : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر:

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (القاهرة - مكتبة الحلبي سنة 1966).

ص: 317

44 - سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن غزا أوغلي:

تذكرة الخواص، (النجف - المطبعة العلمية سنة 1369 هـ).

45 - سلمان هادي آل طعمة:

«ومضات من تاريخ كربلاء»، منابع الثقافة الإسلامية 77، (العراق - النجف الأشرف - مطبعة الآداب - السنة الثامنة سنة 1387 هـ).

46 - سنية قراعة:

الرسالات الكبرى، (القاهرة - مكتب الصحافة الدولي سنة 1966).

47 - السيد أحمد الهاشمي:

مختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية، (بيروت - مؤسسة عبد الحفيظ البساط - بدون تاريخ).

48 - السيد سابق:

فقه السنة، (بيروت - دار الفكر سنة 1977).

49 - الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد:

الملل والخلل، (بيروت - دار المعرفة سنة 1982).

50 - الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب:

الاحتجاج. (النجف الأشرف - مطابع النعمان سنة 1966).

51 - الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير:

تاريخ الأمم والملوك، (بيروت - دار القلم - بدون تاريخ).

- التفسير الكبير، جامع البيان في تفسير القرآن، (بيروت - دار المعرفة سنة 1972).

02 - طه حسين:

الفتنة الكبرى، (المجلدات الكاملة - بيروت - دار الكتاب اللبناني سنة 1973).

53 - العاملي : محمد بن الحسن الحر:

وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، (بيروت - دار إحياء التراث العربي سنة 1983).

54 - عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي):

تراجم سيدات بيت النبوة، (بيروت - دار الكتاب العربي سنة 1982) ط 3.

55 - الشيخ عباس القمي:

مفاتيح الجنان، تعريب: السيد محمد رضا النوري النجفي، (بيروت - دار إحياء التراث العربي - بدون تاريخ).

56 - عباس محمود العقاد:

عبقرية الإمام علي (إقرأ)، (القاهرة - دار المعارف . ط 2، سنة 1964).

57 - عباس محمود العقاد:

أبو الشهداء الحسين بن علي، (بيروت - المكتبة العصرية - بدون تاريخ).

58 - عبد الجبار منسي العبيدي:

«قراءة جديدة في أسباب سقوط الدولة الأموية»، عالم الفكر، (الكويت - وزارة الإسلام - المجلد 15 العدد 3، أكتوبر سنة 1984).

59 - عبد الحسين إبراهيم الحسيني:

سفينة النجاة، (بيروت - مطبعة الأنصاف ط 6، سنة 1963).

60 - عبد الحسين شرف الدين الموسوي:

النص والاجتهاد، (بيروت - مؤسسة الأعلمي - ط 4، سنة 1966).

61 - عبد الحميد جودة السحار:

حياة الحسين ، (القاهرة - مكتبة مصر - بدون تاريخ) .

62- عبد الرحيم فودة :

من معاني القرآن ، (القاهرة - الدار القومية للنشر - بدون تاريخ).

63 - عبد العزيز سيد الأمل :

زين العابدين ، علي بن الحسين، (القاهرة - المكتبة العلمية - ط 2، سنة 1961).

64 - عبد الفتاح عبد المقصود:

الإمام علي بن أبي طالب، (القاهرة - مكتبة مصر - ط 2، بدون تاريخ).

65 - كريم زيدان:

أصول الدعوة ، (بغداد - مكتبة المنار الإسلامية - ط 3، سنة 1976).

66 - عبد الكريم الحسيني القزويني :

الوثائق الرسمية لثورة الحسين - القسم الأول، (النجف الأشرف - مطبعة النعمان سنة 1971).

67 - عبدالله العلايلي :

الإمام الحسين، (بيروت - دار مكتبة التربية سنة 1972).

68 - عفيف عبد الفتاح طبارة :

روح الدين الإسلامي ، (بيروت مطبعة الجهاد - ط 5، بدون تاريخ).

69 - علي حسني الخربوطلي :

تاريخ الحضارة الإسلامية، (القاهرة - الأنجلو المصرية - بدون تاريخ).

70- علي حسني الخربوطلي :

المختار بن أبي عبيدة الثقفي، (القاهرة - المؤسسة العامة المصرية للتأليف والترجمة والنشر).

71 - علي حسني الخربوطلي :

عشر ثورات في الإسلام، (بيروت - دار الآداب ط 2، سنة 1978).

72 - علي محمد جريشة :

المشروعية الإسلامية العليا، (القاهرة - مكتبة وهبة - 1976).

73 - عمر أبو النصر:

آل محمد في كربلاء، (القاهرة - دار إحياء الكتب العربية سنة 1947).

74 - فتحي عثمان :

الفكر القانوني الإسلامي بين أصول الشريعة وتراث الفقه، (القاهرة - مكتبة وهبة - بدون تاريخ).

75 - فؤاد علي رضا:

غصن الرسول - الحسين بن علي، (بيروت - مكتبة المعارف سنة 1973).

76 - القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري:

الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة - دار الكاتب العربي - سنة 1967).

77 - القلقشندي : أحمد بن عبدالله :

مآثر الإنافة في معالم الخلافة، (الكويت - وزارة الإرشاد والأنباء سنة 1964).

78 - القندوزي : الحافظ سليمان بن إبراهيم :

ينابيع المودة - (بيروت - مؤسسة الأعلمي - بدون تاريخ).

79 - الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري :

الأحكام السلطانية ، (بيروت - دار الكتب العلمية سنة 1978).

80 - محسن الأمين:

أعيان الشيعة ، (بيروت - مطبعة الأنصاف سنة 1951).

81 - محمد أبو زهرة :

الإمام الصادق ، (القاهرة - دار الفكر العربي - بدون تاريخ).

82 - محمد البهي:

الدين والحضارات الإنسانية - كتاب الهلال ، (القاهرة - دار الهلال - العدد 157 ، أبريل 1964).

83 - محمد جواد مغنية :

من هنا وهناك ، (بيروت - مؤسسة الأعلمي سنة 1968).

84 - محمد جواد مغنية :

فلسفات إسلامية ، (بيروت - دار التعارف سنة 1978).

85 - محمد جمال الدين سور:

قيام الدولة العربية الإسلامية ، (القاهرة - دار الفكر العربي - ط 3 ، سنة 1959).

86 - محمد جمال الدين سرور:

الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة ، القاهرة - دار الفكر العربي سنة 1960 .

87 - محمد حسين الزين:

الشيعة في التاريخ ، (بيروت دار الآثار ط 2 ، سنة 1979).

88 - محمد حسين المظفر:

تاريخ الشيعة ، (بيروت دار الزهراء ط 2 ، سنة 1979).

89 - محمد رضا :

الحسن والحسين ، (بيروت - دار الكتب العلمية سنة 1975).

90 - محمد ضياء الدين الرئيس :

النظريات السياسية في الإسلام، (القاهرة - دار التراث سنة 1979).

91- محمد العفيفي :

القرآن، القول الفصل بين كلام الله وكلام البشر، (الكويت ذات السلاسل (1977).

92 - محمد فؤاد عبد الباقي . جمعة. راجعه : عبد الستار أبو غدة:

اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، (الكويت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - التراث الإسلامي سنة 1977).

93 - محمد قطب :

دراسات قرآنية ، (بيروت - دار الشروق - بدون تاريخ) .

94 - محمد قطب :

الإنسان بين المادية والإسلام، (بيروت - دار الشروق - ط 5، 1978).

95 - محمد كامل سليمان :

الأيدولوجية الشيعية في رثاء الحسين، (بيروت - دار الكتاب اللبناني سنة 1981).

96- محمد مهدي شمس الدين :

ثورة الحسين ، (بيروت - دار الأندلس - بدون تاريخ) .

97 - محمد مهدي الموسوي الكاظمي :

زيد بن علي ، (بغداد - مطبعة المعارف سنة 1924).

ص: 323

98 - المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي :

مروج الذهب، (بيروت - دار الأندلس ط4، سنة 1981).

99 - مصطفى السباعي :

السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، (القاهرة - الدار القومية للطباعة والنشر سنة 1966).

100 - مصطفى سعيد الحسن :

عبدالله بن عباس - أعلام المسلمين (15)، (بيروت - دار القلم سنة 1978).

101 - ممدوح حقي :

الفرزدق - نوابع الفكر العربي (12)، (القاهرة - دار المعارف سنة 1963).

102 - المنذري : الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبدالله بن سلامة :

مختصر صحيح مسلم. التراث الإسلامي (3)، (الكويت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . ط 3، سنة 1979).

103- موسي محمد علي :

سيد الشهداء الإمام الحسين ، (القاهرة - دار التراث العربي - ط 2 ، سنة 1982).

104 - الندوي: أبو الحسن علي الحسيني :

السيرة النبوية ، (جدة - دار الشروق سنة 1977).

105 - نوري جعفر :

علي ومناوئوه ، (بيروت - مؤسسة الوفاء سنة 1982) .

106 - هاشم معروف الحسيني :

سيرة الأئمة الاثني عشر، (بيروت - دار القلم ط 2 ، سنة 1978).

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

